كشف الفضائح اليونانية

ورشف النصائح الإيمانية

لشهاب الدين عمر بن محمد السهروردي (632 هـ)

تحقيق وتقديم

دكتورة / عائشة يوسف المناعي
وكيلة كلية التربية بجامعة قطر

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

كشف الفضائح اليونانية

ورشف النصائح الإيمانية

لشهاب الدين عمر بن محمد السهروردي (632هـ)

تحقيق وتعليق

دكتورة / عائشة يوسف المناعي

وكيلة كلية الشريعة بجامعة قطر

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطَّبْعَة الأولى

1420 هـ - 1999 م

قام بالإخراج والإشراف على دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة – مصر 120 شارع الأزهر ص ب 161 الغورية

هاتف 5932820 - 2704280 - 2741578 (202) فاكس 2741750 (202)

الإهداء

إلى أستاذي العالم الجليل والمفكر المدقق ، معالي وزير الأوقاف بجمهورية مصر العربية ، الأستاذ الدكتور / محمود حمدي زقزوق ، الأنموذج والمثال والقدوة

مع خالص الاحترام

تلميذتكم

عائشة المناعي

الأول من ذي الحجة 1419 هـ

الثامن من مارس 1999 م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يرجع اهتمامي بهذا الكتاب الذي أقدم له إلى سنة 1982 م ، حين كنت أتابع فكر السهروردي شهاب الدين عمر أبو حفص (632 هـ) وبعد أن أخذت شخصيته وتصوفه موضوعًا لأطروحة الماجستير [1] التي تقدمت بها لكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر ، وكان هذا الكتاب لا يزال ضمن مؤلفات السهروردي المخطوطة ، والتي لم يطبع منها سوى موسوعته الصوفية « عوارف المعارف » التي يعرف بها دائمًا وتقترن باسمه ، فيقال : « السهروردي صاحب عوارف المعارف » تمييزًا له عن غيره ممن ينتسبون إلى سهرورد .

هذا الكتاب هو « رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية » وهو يعد من أمهات كتب التراث الإسلامي ، وإن كان لم يلق من الباحثين العرب أية عناية تذكر [2] .

فلم يحقق حتى الآن ولم يطبع ، وترك قابعًا هنا وهناك في خزائن المخطوطات بالمكتبات المختلفة ، وذلك على الرغم من أهميته في إبراز جهود الصوفية في الرد على

---

(1) طبعت هذه الرسالة ونشرت بعنوان : أبو حفص عمر السهروردي حياته وتصوفه - دار الثقافة - الدوحة (قطر) - ط 1 - 1991 م .

(2) جدير بالإشارة هنا أن هذا الكتاب لقي اهتمامًا قديمًا في التراث الفارسي ؛ حيث ترجمه إلى الفارسية معين الدين جمال بن جلال الدين محمد المشهور بمعلم يزدي (ت 789 هـ) وقد حقق هذه الترجمة - حديثًا - وصححها نجيب مايل هروي أيضًا بالفارسية . طبع بإيران 1365 هـ في حوالي 522 صفحة غير أن المترجم قد أخل بنص السهروردي كما يقول نجيب هروي فتصرف فيه كما لو كان قد ألفه من جديد « فزاد وأضاف فوائد مستحدثة رأى أنها لابد أن تضاف ، وكأنه بذلك قدم دراسة على رشف النصائح الإيمانية ، وجعل لكل باب من أبوابه الخمسة عشر مقدمة لا وجود لها أصلًا في الأصل العربي ، وزيادة على ذلك أضاف مقالتين أخريين مفصلتين على الترجمة عبارة عن خاتمتين ألحقهما بالمتن العربي » (انظر مقدمة الكتاب السابق) غير أننا نعتقد أن الخاتمتين في النص العربي من عمل السهروردي نفسه ، وليستا مضافتين على كتابه بقلم هذا المترجم ، والدليل على ذلك ، أولًا : أن السهروردي نفسه ذكر ذلك خلال تقديمه لكتابه حيث قال في جميع النسخ التي بأيدينا : « .. وبوبته خمسة عشر بابًا وختمته بخاتمتين » والدليل الثاني : اختلاف خاتمتي معين يزدي عن خاتمتي الشيخ السهروردي في المتن العربي وإن كانتا متفقتين في عنوانيهما . وحقيقة الأمر : أن هناك خاتمتين من تأليف السهروردي وأن يزدي أدخل عليهما كثيراً من التغييرات والإضافات .

الفلاسفة وبيان تهافتهم في فلسفتهم ومحاولة إسقاط هذه الفلسفة ببيان عيوبها ، والكشف عن وجوه قصورها ، وعجز الفلاسفة المسلمين أنفسهم عن الوصول إلى الحقيقة ، رغم أنها هدف مشترك ينشده الفلسفي كما ينشده الصوفي . ويدور الكتاب حول ما أسماه السهروردي « بالفضائح اليونانية » التي حرص على كشفها من خلال مناظرات أدارها بينه وبين الفلاسفة لإثبات ضعف أداتهم في إدراك عوالم الغيب . تدفعه في كل ذلك غيرة واضحة على دين اللّٰه تعالى الذي يدين به فلاسفة الإسلام ، ومع ذلك لا يقدرونه حق قدره لاغترارهم بالعقل وشغفهم بمطالعة الفلسفة اليونانية والأخذ منها ... ويعجب السهروردي من الفلاسفة عجبًا شديدًا : كيف أنهم يدعون الإيمان بالإسلام وفي الوقت ذاته يبتعدون عن نور الشرع . وقد كانت هذه الغيرة وهذا التعجب من وراء تأليفه هذا الكتاب والدافع الأساسي لتصنيفه ، يقول : « وقد اتفق في هذا الزمان طائفة من الشبان صرعتهم الجهالة ، وحملتهم البطالة على أن شغفوا بمطالعة كتب الفلاسفة ، استحلاء لزخارفهم واستمراء لوبيء مصارفهم عن جدد الرشاد ... استدبروا علوم الشريعة ... واستهانوا بالعلوم المستنبطة من الأحاديث والقرآن ... تحرك عندي عرق أريحية الإيمان غيرة على العلوم الشرعية أن تنبذ وتراغم وعلوم الفلسفة أن تطالع وتناغم » [1] .

إذن فموضوع هذا الكتاب هو محاولة التصدي للفلسفة اليونانية وكشف عوراتها ؛ لتبتعد عنها عقول تلك الطائفة من أبناء المسلمين ، ولترجع إلى خالص الإيمان القائم على الكتاب والسنة ، وكما يقول بروكلمان : فإن هذا الكتاب « محاولة تحريرية مؤيدة للإسلام ، موجهة ضد دراسة الفلسفة الإغريقية ، ومهداة للخليفة الناصر الذي ذكر اسمه مرارًا كحافظ للتراث » [2] : وقد نجح السهروردي في محاولته إلى حد كبير ، كما سيتبين للقارئ من خلال تحقيقنا لنص هذا الكتاب .

وقد ألف السهروردي هذا الكتاب قبل وفاته بإحدى عشرة سنة (621 هـ) . وقد أملاه على أحد تلامذته ، حيث إن بصره بدأ بالضعف الذي كُف بعده . يقول : « ...حتى أخذت العناية الأزلية بمجامع قلبي ، وصدق اهتمامي بإنشاء هذا الكتاب في جمادى الأول من شهور سنة إحدى وعشرين وست مائة وفي بصري ضعف يمنع من

---

(1) رشف النصائح الإيمانية – مخطوط بمعهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة – رقم 136 توحيد – ورقة 5 .

(2) Gechichte Der Arabischen Litteratur - Carl Brockelmann , 1943 , P.569 .

المطالعة والكتابة ، فاستعنت بمن يكتب ما أملي ، ويقرأ عليَّ ما أريد .. » [1] .

منهج التحقيق :

حرصت في تحقيقي لهذا النص الهام – وقدر الطاقة – أن أتبع المنهج العلمي للتحقيق كما تعلمته من اطلاعي على منهج كثير من المخطوطات المحققة ، إضافة إلى الكتب المؤلفة في فن التحقيق وكيفيته وطرقه . وكان منهجي : أن أتثبت – أولًا – من عنوان الكتاب وصحة نسبته إلى صاحبه ؛ وذلك لأن السهروردي لم يسم هذا الكتاب في مقدمته ، كما سمى العوارف وغيره من الرسائل والكتب في مقدماتها ، وقد ثبتت لي صحة عنوان الكتاب من مقارنة متن الكتاب بعنوانه ، واتضح لي أنهما متطابقان تمام التطابق ، هذا أولًا ، أما ثانيًا : فمقارنة عناوين النسخ الأربع التي عثرت عليها من المخطوط كلها تثبت صحة العنوان ؛ لأنها – أيضًا – متطابقة فيما بينها ، وما بينها من اختلافات محصور في فروق التأخير والتقديم بين العبارتين ، وأعني بهما عبارة « كشف الفضائح اليونانية » وعبارة « رشف النصائح الإيمانية » فقد ورد في غلاف النسخة الأولى الذي كتب فيه العنوان باللغة الإنجليزية « كشف الفضائح اليونانية ، ورشف النصائح الإيمانية » ثم ورد في الغلاف الداخلي للنسخة العنوان العربي « رشف النصائح الإيمانية ، وكشف الفضائح اليونانية » . أما النسخة الثالثة : فقد كتب الناسخ عند افتتاحها بالبسملة عنوان « عوارف المعارف » إلا أنه في بداية الخاتمة الأولى للكتاب قال : « خاتمة رشف النصائح .. » . والنسخة الرابعة قدم الناسخ فيها عبارة : « كشف الفضائح » إلا أنها صححت بعلامة وضعت على عبارة « رشف النصائح الإيمانية » تشير إلى أنها يجب أن تسبق العبارة الأخرى .

والأمر الثالث الذي يثبت صحة العنوان ونسبته – هو تصنيف المؤرخين [2] لهذا الكتاب ضمن مؤلفات السهروردي . وحين أخطأ محمد إقبال في نسبته إلى السهروردي المقتول الذي عرض فلسفته عرضًا وافيًا في كتابه « تطور الميتافيزيقا في فارس » [3] أشار

(1) رشف النصائح – نسخة 2 – ورقة 144 .

(2) انظر بروكلمان – المرجع السابق – نفس الصفحة ، وانظر دائرة المعارف الإسلامية – ترجمة الشنتناوي – مادة سهروردي – جـ 12 – ص 297 ، أيضًا وفيات الأعيان لابن خلكان – تحقيق د . إحسان عباس – بيروت – تعليق 496 – جـ 7 – ص 323 .

(3) ترجمه عن الإنجليزية د . حسن محمود الشافعي ود . محمد السعيد جمال الدين – طبع الدار الفنية للنشر – 1989 م – ص 96 – 110 .

الدكتور عبد الحميد مدكور إلى أن هذه النسبة ليست صحيحة ؛ بل إنه لسهروردي آخر هو شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي صاحب كتاب عوارف المعارف [1] .

أما الطريق الرابع : فهو تطابق أسلوب التأليف وطريقة العرض بين عوارف المعارف من ناحية ورشف النصائح الإيمانية من ناحية أخرى ، إضافة إلى ورود الكثير من الاستدلالات بالآثار والأحاديث النبوية الشريفة بنصها وأسانيدها ، وكذلك تردد ذكر عمه وشيخه أبو النجيب السهروردي (597 هـ) وسماعه عنه في العوارف والرشف معًا .

وصف النسخ

وقد رتبت النسخ في مقابلتها ببعضها حسب ما وقفت عليه من تاريخها .

فالنسخة التي اعتمدتها أصلًا ورمزت لها بالنسخة : 1 ؛ هي موجودة بقسم المخطوطات بمكتبة جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، تحت رقم 5286 ، وقد كتبت بخط نسخ واضح ومقروء ، ولا يوجد بها ذكر لاسم الناسخ ، وعلى هوامشها تعليقات وتصحيحات ، وتاريخ نسخها مكتوب على الغلاف الأول باللغة الإنجليزية ، وهو في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ، ومقاس هذه النسخة 2×15 سم وعدد لوحاتها 32 لوحة . والعنوان مكتوب على ورقة أخيرة مرفقة مكتوب عليها العبارة التالية : « من الكتب النادرة ، ينقص الورقة الأخيرة ، غير مطبوع وغير موجود » وفي الحقيقة فإن النقص في هذه النسخة قد بلغ مقدار ورقتين من ضمنها الخاتمتين ، وتنتهي النسخة بهذه العبارة : « وذلك أنه قال : الكرامية بالنسبة إلى الحنابلة مشبهة ، والحنابلة بالنسبة ... » .

● النسخة الثانية ورمزت لها بالنسخة : 2 ؛ وتوجد بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم (136 توحيد) ، مصورة عن (كوبرلي 728) بخط نسخ واضح ، عدد لوحاتها 164 لوحة ويرجع تاريخ كتابتها إلى القرن التاسع ، ويوجد بها نقص في لوحة 10 ، من قوله : « عن عقيل عن بن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة (رضي اللَّه عنها) قالت : أول ما بُدئ به رسول اللَّه ﷺ » إلى قوله : « فقال لرسول اللَّه ﷺ : هذا الناموس الذي أنزل على موسى » ، وتكاد هوامشها تخلو من التصحيحات ، اللهم إلا بعض كلمات صححت في حوالي أربع لوحات من النسخة. كلها إضافة إلى تعليق

---

(1) انظر الدين والفلسفة عند إقبال – تعليق 48 – مجلة منبر للحوار – العدد 16 السنة الرابعة 1990 م – بيروت .

مطول في هامش ورقة 57 . وجاء ذكر ناسخها في صدر صفحة الغلاف وهو « الشيخ شهاب الدين بن البدر الشافعي المقري بطرابلس » وقد كتب تحت الاسم عبارة « كاتب هذه الأحرف الفقير عبد الله الطالباني » وأحسبه مالك النسخة ، وهو الذي كتب اسم الناسخ بدليل ما كتب على هامشها من عبارة « ملك الفقير عبد الله الطالباني » .

● النسخة الثالثة رمزت لها برقم : 3 ، وتوجد بمكتبة برلين - كما يذكر بروكلمان - تحت رقم 2078 وقد علمت خلال محاولاتي للحصول عليها أنها نقلت مع كثير من مخطوطات برلين إلى بولندا ، وقد وفقني الله تعالى للحصول عليها أخيرًا من قسم المخطوطات بمكتبة جاجيلونين ببولندا تحت رقم (MS . 769) . وهي مكتوبة بخط رديء للغاية ، وتتكون من 122 لوحة ، ضمن مجموعة يشغل نص السهروردي فيها من ورقة 94 - 216 ، وقد زيدت فيها خاتمة ثالثة كتبت بالفارسية وأظنها زيادة من الناسخ . وبهوامش هذه النسخة بعض التعليقات ، وبها نقص في كثير من العبارات تزيد على السطر والسطرين ، إضافة إلى نقص في لوحاتها بلغ حوالي ثلاثة ألواح من قوله : « ... ودنوا ، وقد أخبر التنزيل في آيات يكثر عددها قوله تعالى ... » ويوافق ذلك السطر الثاني قبل الأخير في لوحة 27 من النسخة (1) إلى قوله : « أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها ، قال : ثم ننصرف إلى منازلنا » ويوافق ذلك السطر الخامس من لوحة 28 من النسخة (1) .

● النسخة الرابعة وهي النسخة المرموز إليها في التحقيق برقم : 4 ، وتوجد بدار الكتب المصرية تحت رقم (ب 37808) ميكروفيلم رقم 10397 ولم يكتب عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ ، وتتكون من 120 لوحة ، كتبت بخط نسخ واضح ، وعلى هوامشها تعليقات وتصحيحات أحيانًا بالعربية وأحيانًا بالفارسية ، بها نقص بدأ من قوله : « من لم يكن علمه مقتبسًا من مشكاة النبوة » ويوافق ذلك السطر الثالث قبل الأخير من لوحة 161 في نسخة (2) إلى آخر الكتاب .

● وقد حرصت - قدر المستطاع - على المحافظة على نص المؤلف ، ولم أتصرف فيه إلا للضرورة ، واقتصر ذلك على إثبات كلمة أرى صحتها من النسخ الثلاث في صلب النص ، وأذكر ما يخالفها من النسخة الأصل وغيرها في الهامش ، وقد أثبت أيضًا الهمزة في الكلمات التي حذفت منها في جميع النسخ - كما هي طريقة القُدامى في الكتابة - مثل : الشرايع ، الأيمة ، الشعاير ، الزايغين ، خزاين ، الإبا ، السما ، تسعماية ،

ثلثماية ، وكذلك أثبت الألف في بعض الكلمات التي حذفت منها مثل : ثلث ، السموات ، إسمعيل ، إسحق ... وهكذا .

● أما التعليقات العلمية في الهوامش فكانت لعزو آية إلى موضعها من القرآن الكريم ، وتخريج حديث نبوي شريف ، وتوثيق بعض الأخبار ، إضافة إلى تصحيح فكرة وإيضاحها ، أو بيان لمصطلح علمي وتوضيحه .. وهكذا .

● وقد فضلت طريقة فصل الهوامش إلى قسمين : القسم الأول يختص بالمقابلات بين النسخ وبيان الفروق بينها ورقمته بالتسلسل ، والقسم الثاني يختص بالتعليقات العلمية ورمزت له بالأحرف الأبجدية ، وقد راقت لي هذه الطريقة ؛ لما استشعرته فيها من راحة للقارئ في متابعته للتعليقات التي ربما تعنيه ويهتم بها أكثر من المقابلات [1] .

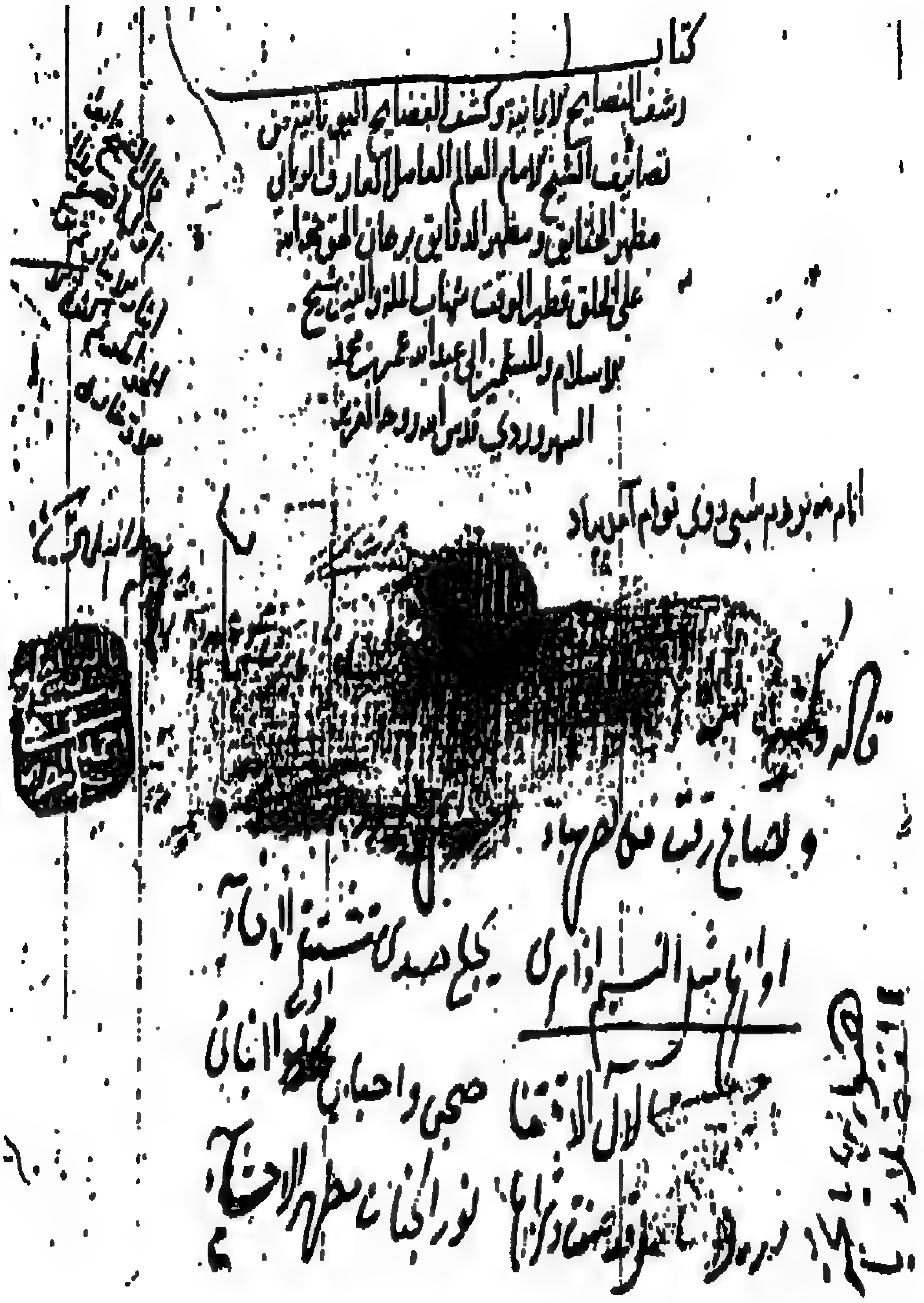
● وقد يكون من الفائدة ذكر النسخ التي كتبت بالفارسية ، والتي وردت في الفهرس القيم الذي وضعه الأستاذ أحمد منزوي ، وهي النسخ التي اعتمد عليها محقق الرشف بالفارسية الذي سبق ذكره :

1 – نسخة توجد بمتحف بريطانيا تحت رقم Add 23580 . وهي نسخة قليلة الأخطاء ، وهي أكثر مطابقة للنص العربي وتبلغ 156 ورقة ، ناسخها : عبد الله بن فضل الله النيسابوري (891 هـ) .

2 – النسخة الثانية توجد في مكتبة مدرسة الشهيد مطهري ، تحت رقم 1346 وهي مزودة بمقدمات لعين القضاة الهمداني ، نسخها محمد صالح محمود بن برهان . ويقول معين الدين يزدي فيها : وهذه النسخة مليئة بالأخطاء . ومما يقلل من قيمتها أن كاتبها شيعي ، وحيثما وجدت روايات وأحاديث أو أخبار لا تتفق وميوله وأهواءه لم يكن ليتردد في حذفها وإسقاطها من النص .

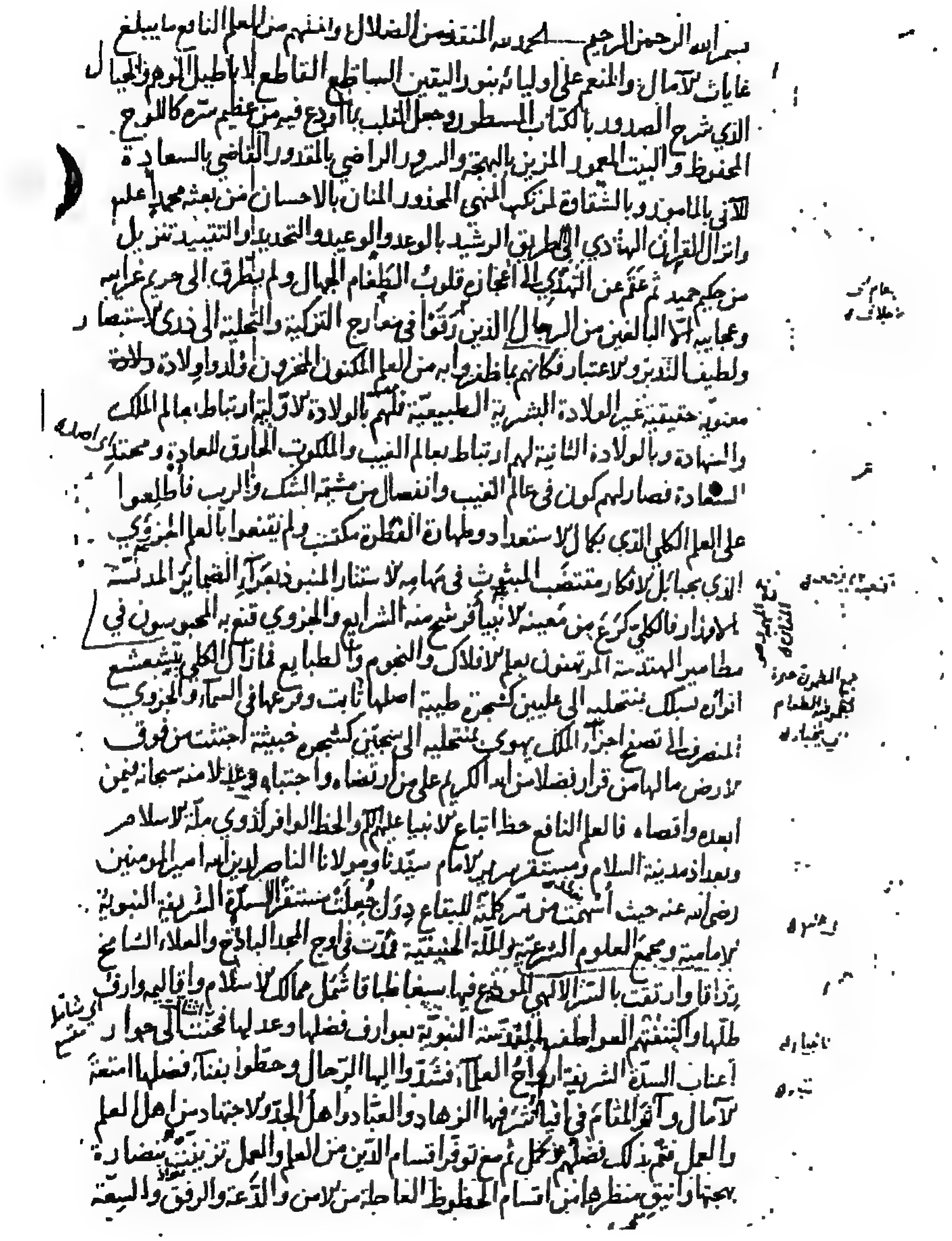
---

(1) سبقني إلى اختيار هذا النظام في التحقيق كثير من الأساتذة المحققين ، أقربهم عهدًا أستاذنا الدكتور عبد الحميد مدكور في تحقيقه للجزء الثاني من كتاب مدارج السالكين لابن قيم الجوزية – دار الكتب المصرية 1996 م .



كتاب
رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية من
تصانيف الشيخ الإمام العالم العامل العارف الرباني
مظهر الحقائق ومظهر الدقائق برهان الموحدين
على الخلق قطب الوقت شهاب الملة والدين شيخ
الإسلام والمسلمين أبي عبد الله عمر بن محمد
السهروردي قدس الله روحه العزيز

غلاف النسخة الأولى

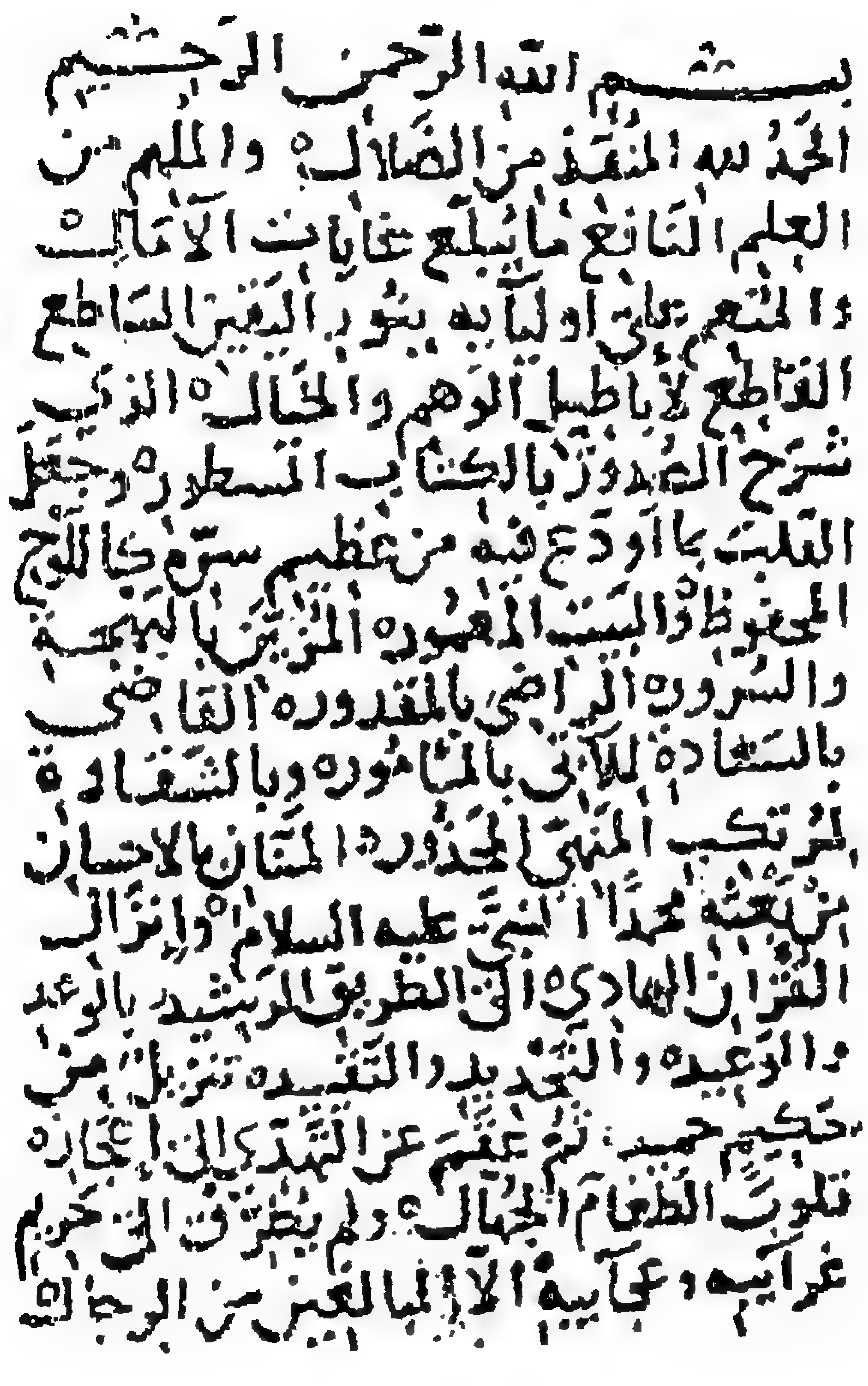


بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المنقذ من الضلال والملهم من العلم النافع ما يبلغ
غايات الآمال والمنعم على أوليائه بنور اليقين الساطع القاطع لأباطيل الأوهام والخيال
الذي شرح الصدور بالكتاب المسطور وجعل القلب بما أودع فيه من عظيم سره كاللوح
المحفوظ والبيت المعمور المزين بالبهجة والسرور الراضي بالمقدور القاضي بالسعادة
للآتي بالمأمور وبالشقاوة لمرتكب المنهي المحذور المنان بالاحسان من بعثه محمدا أعلم
وأنزل القرآن الهادي إلى طريق الرشيد بالوعد والوعيد والتهديد والتشديد تنزيل
من حكيم حميد ثم عقب عن التهدي له إعجاز قلوب الطغام الجهال ولم يطرق إلى حرم غرائبه
وعجائبه إلا البالغين من الرجال الذين رقوا في معارج التزكية والتحلية إلى ذروة الاستبصار
ولطيف التدبر والاعتبار فكأنهم بما طرقوا به من العلم المكنون المخزون ولدوا ولادة ولادة
معنوية حقيقية غير الولادة البشرية الطبيعية فلهم بالولادة الأولية ارتباط بعالم الملك
والشهادة وبالولادة الثانية لهم ارتباط بعالم الغيب والملكوت الخارق للعادة ومحتذى
السعادة فصار لهم كون في عالم الغيب وانفصال من شيم الشك والريب فاطلعوا
على العلم الكلي الذي بكمال الاستعداد وطهارة الفطرة مكتسب ولم يقنعوا بالعلم الجزوي
الذي بحبائل الأفكار مقتنص المبثوث في مهامه لاستتار المنبوذ بعراء القفار بل المدنس
بالأوزار فالكلي كرع من معين الأنبياء فرشح منه الشرايع والجزوي قنع به المحبوسون في
مطامير الهندسة المرتسمون بعلم الأفلاك والنجوم والطبايع فإن الكلي يتشعشع
أنواره تسلك بمتحليه إلى عليين كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء والجزوي
المنصرف إلى تصنيع أجزاء الملك يهوي بمتحليه إلى سجين كشجرة خبيثة اجتثت من فوق
الأرض ما لها من قرار فضلا من الله الكريم على من ارتضاه واجتباه وعدلا منه سبحانه فيمن
أبعده وأقصاه فالعلم النافع حظ أتباع الأنبياء عليهم السلام والحظ الوافر لذوي ملة الإسلام
وبغداد مدينة السلام ومستقر سرير الإمام سيدنا ومولانا الناصر لدين الله أمير المؤمنين
رضي الله عنه حيث أسهمت من بركة [illegible] جعلت مستقر الأسرة الشريفة النبوية
الإمامية ومجمع العلوم الشرعية والملة الحنيفية [illegible] أوج الجد الباذخ والعلاء الشامخ
رزداقا وارتقت بالسر الإلهي الموضوع فيها أسبغ أطباقا تشمل ممالك الإسلام وأقاليم وأرق
ظلها واكتنفتهم العواطف المقدسة النبوية بعوارف فضلها وعدلها فحنت إلى حوار
أعتاب السدة الشريفة أرواح العلماء فشدوا إليها الرحال وحطوا بفنائها فضلها امتعوا
الآمال وآثروا المقام في أفنائها فتشرفها الزهاد والعباد وأهل الجد والاجتهاد من أهل العلم
والعمل فعمر بذلك فضلهم وكمل ثم مع توفر أقسام الدين من العلم والعمل تزينت بنضارة
بهجتها وانتزع منظرها من أقسام الحظوظ العاجلة من الأمن والدعة والرفق والسعة

الورقة الأولى من النسخة الأولى



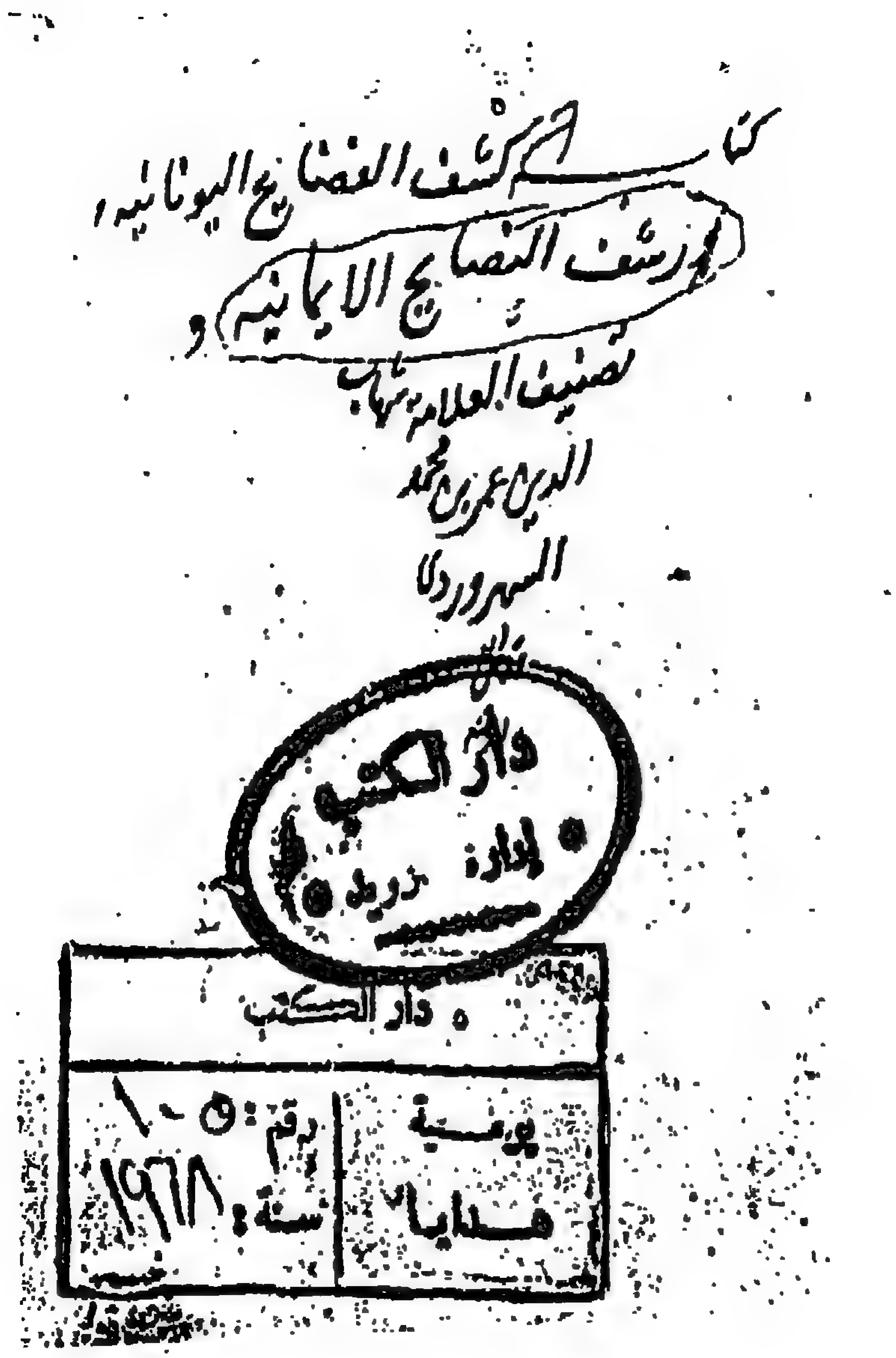
غلاف النسخة الثانية


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله المنقذ من الضلال، والملهم من
العلم النافع ما يبلغ غايات الآمال،
والمنعم على أوليائه بنور اليقين الساطع
القاطع لأباطيل الوهم والخيال، الذي
شرح الصدور بالكتاب المسطور، وجعل
القلب بما أودع فيه من عظيم سره كاللوح
المحفوظ والبيت المعمور، المزين بالبهجة
والسرور، الراضي بالمقدور، القاضي
بالسعادة للآتي بالمأمور، وبالشقاوة
لمرتكب المنهي المحذور، المنان بالإحسان
من بعثه محمداً النبي عليه السلام، وإنزال
القرآن الهادي إلى الطريق الرشيد بالوعد
والوعيد والتهديد والتشديد تنزيل من
حكيم حميد، ثم عظم عن التهدي إلى إجازة
قلوب الطغام الجهال، ولم يتطرق إلى حريم
غرائبه وعجائبه إلا [illegible] من الرجال

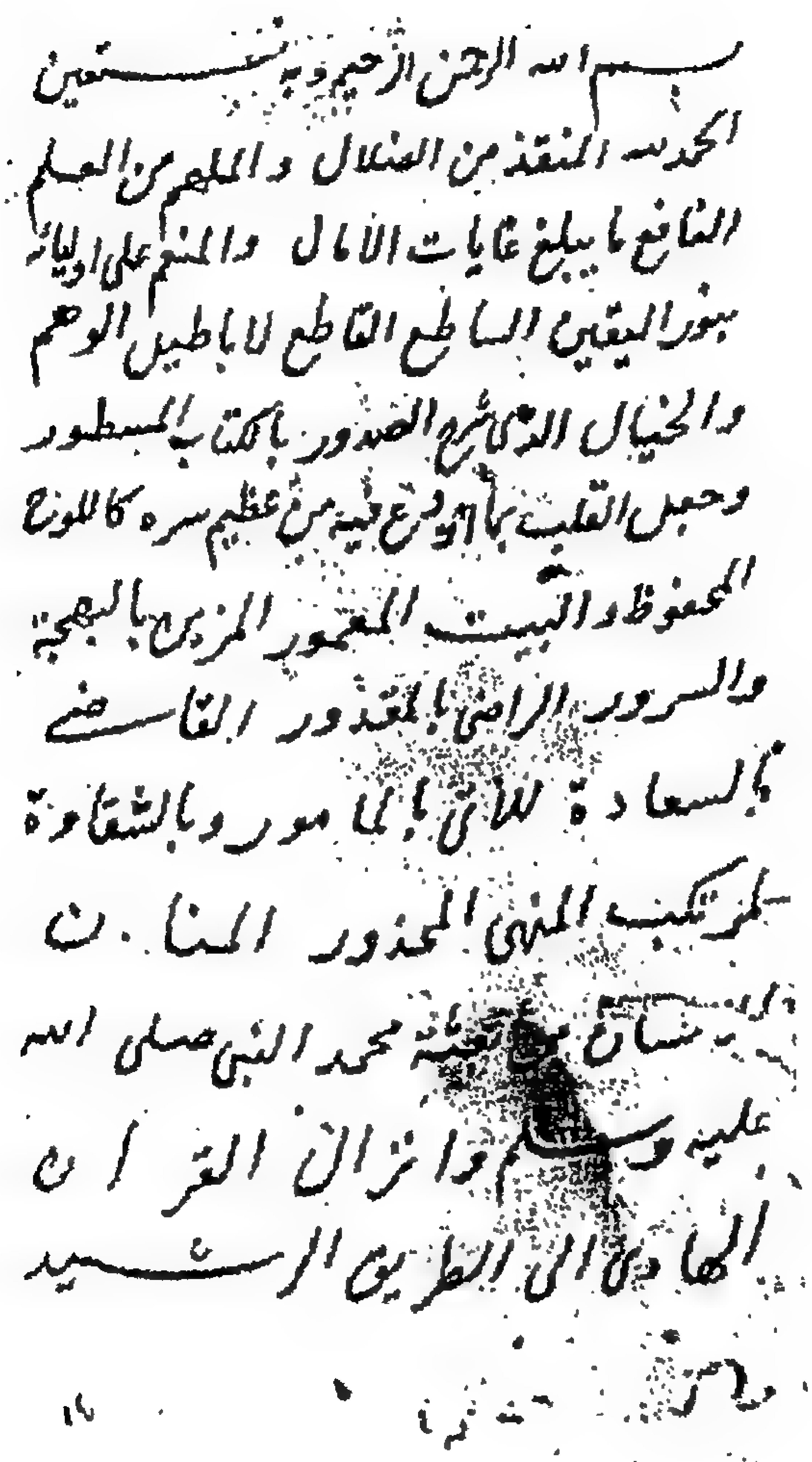
الورقة الأولى من النسخة الثانية


عوارف المعارف
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله المنقذ من الضلال الملهم للعلم النافع ما يبلغ
غايات الآمال والمنعم على اوليائه بنور اليقين الساطع
القاطع لاباطيل الوهم والخيال الذي شرح الصدور بالكتاب
المسطور وجعل القلب

الورقة الأولى من النسخة الثالثة



غلاف النسخة الرابعة


بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله المنقذ من الضلال والملهم من العلم
النافع ما يبلغ غايات الآمال والمنعم على أوليائه
بنور اليقين الساطع القاطع لأباطيل الوهم
والخيال الذي شرح الصدور بالكتاب المسطور
وحبس القلب بما أودع فيه من عظيم سره كاللوح
المحفوظ والبيت المعمور المزين بالبهجة
والسرور الراضي بالمقدور القاضي
بالسعادة للآتي بالمأمور وبالشقاوة
لمرتكب المنهي المحذور المنان
[illegible] محمد النبي صلى الله
عليه وسلم وإنزال القرآن
الهادي إلى الطريق الرشيد

الورقة الأولى من النسخة الرابعة

القسم الأول

دراسة حول الكتاب [1]

---

(1) بحث منشور بمجلة الزهراء تحت عنوان « السهروردي البغدادي ونقده للفلسفة الإسلامية » - كلية الدراسات الإسلامية والعربية (فرع البنات بالقاهرة) - العدد 14 - 1996 م .

تعريف بالسهروردي :

الشيخ السهروردي أحد أئمة التصوف الذين بذلوا مهجهم للوصول إلى المرتبة الثالثة في منظومة الإسلام – وهي الإحسان [1] – وهو يدعى أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله ابن عمويه السهروردي البغدادي (539 هـ – 632 هـ) ، مؤسس الطريقة السهروردية ، التي تعد من أشهر طرق الصوفية في القرنين السادس والسابع الهجريين ، وأهم ما يميزها أنها تجمع بين الشريعة والحقيقة ، فالتصوف في نظر صاحبها : « طريق جامع بين الشريعة والحقيقة » [2] وقد عرفت بالطريقة الصديقية تبعًا للخليفة الأول أبو بكر الصديق . ويُخرج السهروردي من التصوف الحق كل من يتهاون بالشريعة ، يقول : « يتسترون بلبسة الصوفية ... ويزعمون أن ضمائرهم خلصت إلى الله تعالى ، ويقولون : هذا هو الظفر بالمراد ، والارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام ، والقاصرين الأفهام ... وهذا هو عين الإلحاد والزندقة والإبعاد ، فكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة ، وجهل هؤلاء المغرورون أن الشريعة حق العبودية ، والحقيقة هي حقيقة العبودية ، ومن صار من أهل الحقيقة تقيد بحقوق العبودية ، وحقيقة العبودية ، وصار مطالبًا بأمور وزيادات لا يطالب بها من لم يصل إلى ذلك ، لا أنه يخلع عن ربقة التكليف ، ويخامر باطنه الزيغ والتحريف » [3] .

وقد تأثر السهروردي بالسراج الطوسي (378 هـ) صاحب كتاب اللمع ، وبالقشيري (465 هـ) صاحب كتاب رسالة القشيري ، والمكي (386 هـ) صاحب كتاب قوت القلوب ، والغزالي (505 هـ) صاحب كتاب إحياء علوم الدين ، هؤلاء وغيرهم كثيرين تأثر بهم ونقل عنهم وتتلمذ على شيخه أبي النجيب السهروردي (563 هـ) والشيخ عبد القادر الجيلاني (561 هـ) وأبو محمد القاسم بن عبد البصري (580 هـ) وغيرهم .

وقد ألف السهروردي كثيرًا من الكتب والرسائل من أهمها :

1 – عوارف المعارف .

---

(1) وهي المرتبة التي جاء ذكرها في حديث الرسول ﷺ حين سأله جبريل (عليه السلام) عن الإيمان والإسلام والإحسان ... فقال في الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

(2) زاد المسافر وأدب الحاضر – مخطوطة بمعهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة – رقم 246 تصوف – ورقة 1 .

(3) عوارف المعارف – مكتبة القاهرة 1973 م – ص 77 .

2 - أعلام الهدى وعقيدة أرباب التقى .

3 - نغبة البيان في تفسير القرآن .

4 - حلية الفقير الصادق في التصوف .

5 - رسالة السير والطير .

6 - جذب القلوب إلى مواصلة المحبوب .

7 - زاد المسافر وأدب الحاضر .

8 - رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية .

ويعد تصوف السهروردي من التصوف المعترف به سنيًّا ؛ حيث إنه ملتزم بالكتاب والسنة ، واتصفت كتاباته بالاستدلالات الكثيرة جدًّا بآي الكتاب وخبر الرسول ﷺ ، فلا تخلو صفحة من صفحات تأليفاته إلا وبها حشد كبير من الاستدلالات النقلية .

ويؤكد كثير من الباحثين على أن السهروردي متأثر في تصوفه بالإمام الغزالي (505 هـ) وبحيث يعد تصوف الأول امتدادًا أو صدى لتصوف الثاني ، الأمر الذي يفسر لنا ظاهرة طبع كتاب عوارف المعارف على هامش إحياء علوم الدين مرات عديدة ، ويرى هؤلاء أيضًا أن الفرق بين الكتابين يكاد ينحصر في « أن كتاب عوارف المعارف يخاطب الصوفية على الخصوص ، وكتاب الإحياء يخاطب عموم المؤمنين » [1] . وهذا الرأي صحيح إلى حد بعيد ؛ لأننا نجد نصوصًا عديدة تكاد تكون منقولة بنصها من أقوال الإمام الغزالي مما يدلنا على تأثره بالغزالي تأثرًا قويًّا ، إلا أننا نؤكد أن هذا التأثير لا يعني أن السهروردي كان ناقلًا أو مقلدًا للإمام الغزالي ، وأنه لا جديد لديه سواء في مجال التصوف أو غيره من مجالات العلوم الأخرى .

ولقد كان للسهروردي - أيضًا - مثلما كان للغزالي من قبله - مجهود خاص ومتميز في مجال الدفاع عن الفكر الإسلامي في مقابلة الفكر الإغريقي والفلسفة اليونانية ممثلة في التيار الفلسفي المشائي لدى فلاسفة المسلمين من أمثال ابن سينا وغيره ، وقد ألف في هذا الموضوع هذا الكتاب الذي وصفته دائرة المعارف الإسلامية بأنه

(1) البارون كارادوفو - الغزالي - ترجمة عادل زعيتر - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - الطبعة الثانية 1984 م - ص 206 .

« كتاب يقوم على المناظرة ، حمل فيه على دراسة الفلسفة اليونانية ، وانتقد الفلاسفة النازعين منزع اليونان » [1] ، كما أكدت الدائرة على تأثير السهروردي في هذا الكتاب بمنهج الإمام الغزالي في كتابيه « مقاصد الفلاسفة ، وتهافت الفلاسفة » ، وإن كانت تتحفظ بأنه لم يصل إلى مستوى فهم الغزالي للفلسفة وقدرته على النقد ، فالسهروردي « انتقد الفلاسفة النازعين منزع اليونان متبعًا طريقة المتكلمين ، وطريقة الغزالي ، على أنه ينم في هذا الكتاب عن إدراك للفلسفة أقل بكثير من إدراك صاحب كتاب التهافت » [2] .

منهج السهروردي في نقده للفلاسفة :

ونستطيع أن نتعرف – من خلال قراءة متأنية لكتاب « رشف النصائح الإيمانية ، وكشف الفضائح اليونانية » على المواطن التي تأثر فيها السهروردي بالإمام الغزالي ، والمواضع التي انفرد فيها بذوقه الخاص ووجدانه المتميز .

في مقدمة هذا الكتاب يفخر السهروردي بعصره الذي واكب عصر الخليفة الإمام الناصر لدين الله [3] الذي ازداد العلم على يديه وغطى المجتمع – والمقصود بالعلم هنا علم خاص في مفهوم السهروردي وهو : علوم الشريعة والأخلاق وعلوم القرآن والتفسير والحديث ؛ لأن السهروردي يؤكد بعد ذلك اندحار سائر العلوم الأخرى في عصر هذا الخليفة ، وخصوصًا علم الفلسفة الذي يعد من ينتسب إليه على عهد الناصر عدوًّا للإسلام يستوجب ردع الإمام وعقوبته ، وبرغم من ذلك يشكو السهروردي من أناس مزجوا النص الشرعي بالمفهوم العقلي ، مما سبب له شيئًا من القلق والانزعاج دفعه إلى أن يؤلف كتابًا يرد به على هؤلاء الذين يسمون فلاسفة الإغريق ، وفي مواطن كثيرة يربط السهروردي بين هؤلاء وبين الدهريين والزنادقة والملحدة ، ويسوي بينهم في الحكم بأنهم عبدة لأصنام ابتدعوها هي إدراكات عقولهم وأفهامها ، كما يشبه هذه الأصنام باللات

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية – ترجمة الشنتناوي – جـ 12 – مادة سهرورد – ص 297 .

(2) نفس المصدر – نفس الصفحة .

(3) أبو العباس أحمد الناصر لدين الله ابن المستضيء بالله (622 هـ) ، أطول خلفاء بني العباس مدة في الخلافة ، حيث قضى فيها 46 سنة وعشرة أشهر ، وفي عهده انتهى ملك السلجوقيين بالعراق . انظر عبد الملك ابن حسين المكي – سمط النجوم العوالي – المطبعة السلفية – جـ 3 – ص 378 .

والعزى وهبل وغيرها من معبودات الجاهلية [1] ، ولا يجد السهروردي بأسًا في الحكم على فلاسفة الإسلام بالكفر والخروج من الملة وفي مقدمتهم ابن سينا والفارابي ، يقول الشيخ : « والطامة الكبرى والفتنة العظمى قوم أبطنوا الكفر واستغشوا جلابيب الملة ، وأظهروا أنهم من الأمة ، وامتزجوا بأهل الإسلام ، ودرسوا علوم الفلاسفة والدهرية ، وادعوا الحذق ، واستزلوا بواطن بعض طلاب العلم بادعاء أن ما يشيرون إليه هو لباب العلم والحكمة ، فأفسدوا قلوبًا ساكنة مستقرة في دعة الفطرة ، أزعجوها عن استقرارها وأوردوها غمرات أوزارها ، واستجنوا بمجن الإسلام ، ورشقوا بنبال الوبال ، وقصدوا الدين بنضال المحال ، فهم جيل الشيطان وقبيله ، مشاركون في الإغواء والاختفاء كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [2] ولعل علومهم تدرس في مواطن علم الشريعة ويتظاهر بها في أندية العلم ومحافل المناظرات ويتباهون على الأمثال والأقران بمعرفتهم بشيء من تلك العلوم والمشار إليهم ممن ينتسب إلى الإسلام ابن سينا وأبو نصر الفارابي اللذان اختارا مذهب أرسطاطاليس وعقدا عليه الخناصر » [3] .

ثم إن هؤلاء الفلاسفة قد استغنوا بالعقل عن الشرع ، حيث « مزجوا الشرعيات بالعقليات وخلطوا الدينيات بالدُّنيات » [4] لكن يجب أن نأخذ في الحسبان أن السهروردي لا يقصد بالفلاسفة الفارابي وابن سينا فقط كما كان الأمر عند الغزالي من قبله ، بل إنه يوسع الحكم ليشمل عددًا كثيرًا من الفلاسفة يسميهم بأسمائهم في قوله : « يا معشر المنتمين إلى الإسلام من المتقدمين والمتأخرين كيعقوب الكندي وحنين بن إسحق ويحيى النحوي وأبي الفرج المفسر وأبي سليمان السجزي وأبي سليمان محمد ابن مسعر المقدسي وأبي بكر ثابت بن قرة الحراني وأبي تمام يوسف بن محمد النيسابوري وغيرهم كالفارابي وابن سينا » [5] .

مدى تأثر السهروردي في نقده للفلاسفة بالإمام الغزالي :

لا يجد الباحث كبير عناء في أن يكشف علاقة التأثير والتأثر بين الإمام الغزالي والسهروردي في مجال نقد الفلسفة اليونانية – منذ أول نظرة يلقيها على نتاج هذين الإمامين

(1) انظر رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية – ورقة 29 .

(2) سورة الأعراف آية : 27 .

(3) رشف النصائح اليونانية – ورقة 28 .

(4) المصدر نفسه – ورقة 6 .

(5) المصدر نفسه – ورقة 96 .

في هذا المجال ، ولعل ذلك راجع في المقام الأول إلى أن شروط مسألة التأثر وعواملها متوافرة ومهيأة بصورة كاملة : فالغزالي عاش معظم حياته في بغداد وتقع حياته في الفترة ما بين 405 – 505 هـ ، وله مؤلف مشهور في نقد الفلسفة والفلاسفة هو كتاب « تهافت الفلاسفة » . ونفس الشيء نجده عند السهروردي الذي ولد عام 539 هـ أي بعد وفاة الغزالي بنحو 34 سنة ، وعاش في بغداد ، ثم طالعنا بكتابه « رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية » الذي كرسه لنقد فلاسفة الإغريق وأتباعهم في دوائر الفكر الإسلامي . فها هنا ، لا مفر من تقدير علاقة التأثير والتأثر بين الغزالي والسهروردي بحيث يؤثر الأول في الثاني ، ويأخذ الثاني عن الأول في نقده للفلسفة والفلاسفة . وهكذا يلاحظ المطلع على الكتابين :

أولًا : في المقدمة :

تكاد تتحد مقدمة الكتابين من حيث الموضوع والهدف اتحادًا كاملًا ؛ فالغزالي – وهو يكشف عن سبب تأليفه هذا الكتاب – يبين بأن طائفة اعتقدت في نفسها التميز على غيرها فرفضت العبادات ، واستحقرت شعائر الدين ، واستهانت بالآخرة ، وانخدعت بفلاسفة الإغريق كسقراط وأفلاطون وأرسطو ، وبخاصة في استدلالاتهم وبراهينهم الهندسية والمنطقية والطبيعية والإلهية ، فضلوا وزلوا وبخاصة في القضايا الإلهية ، ومن ثم شعر الغزالي بغيرة تدفعه إلى المنافحة عن الإسلام وعلومه وقضاياه ضد هؤلاء ومن نهج نهجهم ، فألف كتابه هذا وبين فيه تهافتهم وضعف عقولهم [1] .

والسهروردي ينحى نفس المنحى في بيان سبب تأليفه لكتابه : وهو وجود تلك الطائفة التي يذكرها الغزالي ، بل وينتقي السهروردي نموذجين ممثلين للفلاسفة وهما ابن سينا والفارابي ، وبخاصة أنهما « اختارا مذهب أرسطاطاليس وعقدا عليه الخناصر ، ورجحا مسلكه على غيره من الفلاسفة واستحسنا مخالفته لأستاذه أفلاطون لما قال : أفلاطون صديق والحق صديق ، والحق أولى بالصداقة ، وإنكاره على أستاذه مصيره إلى القول بحدث العالم ... » [2] وهذا هو نفس ما يقوله الغزالي في تهافت الفلاسفة : « فنقتصر على إظهار التناقض في رأي مقدمهم الذي هو الفيلسوف المطلق والمعلم الأول ؛ فإنه رتب

(1) انظر تهافت الفلاسفة – تحقيق سليمان دنيا – دار المعارف بمصر – الطبعة السادسة – 1980 م – ص 73 – 78 ، وانظر كذلك رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية – السهروردي – ورقة 5 – 6 .

(2) رشف النصائح الإيمانية – ورقة 28 – 29 .

علومهم وهذبها بزعمهم ، وحذف الحشو من آرائهم ، وانتقى ما هو الأقرب إلى أصول أهوائهم وهو أرسطاطاليس ، وقد رد على كل من قبله حتى على أستاذه الملقب عندهم بأفلاطون الإلهي ، ثم اعتذر عن مخالفته أستاذه بأن قال : أفلاطون صديق ولكن الحق أصدق منه »[1] ثم بعد ذلك يقول : « فنقتصر على إبطال ما اختاره ورأياه الصحيح من مذهب رؤسائهما في الضلال ؛ فإن ما هجراه واستنكفا من المتابعة فيه لا يتمارى في اختلاله ؛ فليعلم أنا مقتصرون على رد مذاهبهم بحسب نقل هذين الرجلين »[2] .

وبرغم أن مقدمة الكتابين كانت واحدة في مضمونها مما يعني تأثر السهروردي بالغزالي تأثرًا تامًّا في تحرير الباعث على تأليف كتابه وتحديد خصومه ومجال الاختصام - فإن الباحث لا يعييه أن يلاحظ فارقًا أساسيًّا لا تخطئه العين في كل قضايا الكتاب . هذا الفارق يتمثل في غياب « الحوار العقلي والعلمي الدقيق » الذي تميز به الغزالي في مجادلة خصومه ودحض آرائهم وتفنيد شبهاتهم ، وربما كان ذلك راجعًا إلى عدم تعمق السهروردي في أفكار الفلاسفة واطلاعه عليها الاطلاع الكافي مثلما فعل الغزالي ؛ فقد ساد أسلوب السهروردي ظاهرة الوعظ والإرشاد ، واعتمد في الحجاج على النقل وعلى ما فاتحه به الله تعالى من كشوف ، وأظهره عليه من علم ومعرفة ، وهو نفسه يصرح بذلك في قوله : « فاستخرت الله تعالى طويلًا ، وبسطت يد الرجاء تأميلًا ، وتوكلت على الله ثقة وتعويلًا ، وأنشأت هذا الكتاب وأسسته على أحاديث مستخرجة من الأسانيد التي شرفت بالإجازة الشريفة في روايتها ، وأردفت ذلك بما سنح لي من كلمات من جذوتها اقتبست »[3] .

ثانيًا : في القضايا الفلسفية :

استعرض السهروردي في هذا الشأن قضايا كثيرة نثرها في كتابه « رشف النصائح الإيمانية » وهي - على كثرتها - لا تخرج عن أصول القضايا التي أجملها الغزالي في أقسام ستة :

1 - الرياضة وهي علوم الحساب والهندسة ، وليس يتعلق شيء منها بالأمور الدينية نفيًا وإثباتًا .

2 - المنطقيات ولا يتعلق شيء منها بالدين نفيًا وإثباتًا ؛ لأنها تنظر في طرق الأدلة والمقاييس .

---

(1) تهافت الفلاسفة - ص 76 . (2) تهافت الفلاسفة - ص 77 - 78 .

(3) رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية - ورقة 6 .

3 – علم الطبيعيات وهي علوم تبحث عن عالم السموات والأرض ، ولا تأثير لها على الدين .

4 – السياسات ومجموع كلامهم فيها يرجع إلى الحكم المصلحية المتعلقة بالأمور الدنيوية .

5 – الخلقية ويرجع كلامهم فيها إلى حصر صفات النفس وأخلاقها وكيفية معالجتها ومجاهدتها .

6 – الإلهيات : وفيها أكثر أغاليطهم كما يقول الغزالي : « فما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوه في المنطق ؛ ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيها » (1) .

وهذا أيضًا ما أثبته السهروردي باقتضاب شديد حين قال : « لا تنكر القضايا التي تشهد بصحتها العلوم الهندسية والرياضية والطبيعية ، فلما تعدوا طورهم وجدهم فيما سلم لهم من الهندسية والرياضية والطبيعية ، وتطلعوا إلى ما ليس لهم القدوم عليه كبحت أعنة أفكارهم ، وافتضحوا باضطرابهم واختلافهم ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ (2) ... » (3) . ويرجع هذا الاضطراب في الإلهيات إلى تقليد ابن سينا والفارابي لفلسفة أرسطو في الإلهيات ؛ يقول الغزالي : « ولقد قرب مذهب أرسطاطاليس فيها من مذاهب الإسلاميين على ما نقله الفارابي وابن سينا » (4) . ونفس الفكرة يرددها السهروردي بقوله : « وإنما وردوا مشارع البوار واحتقبوا أثقال الأوزار بتسليمهم زمام التقليد إلى الفلاسفة وركونهم إليهم ، وكونهم رأوا العلوم الرياضية والهندسية مبرهنة فقلدوهم في الإلهيات وهي غير مبرهنة » (5) .

إذن فما هي القضايا الفلسفية التي أبطل فيها الغزالي مذهب الفلاسفة وكفرهم بها ؟ وإذا كان الإمام الغزالي قد أحصى على الفلاسفة عشرين مسألة : كفرهم في ثلاث منها وبدعهم في باقيها ، فإن السهروردي يسلك نفس النهج ، ولكن بأدلة تعتمد أكثر ما تعتمد على الكتاب والسنة ، وسنعقد لمجموع هذه القضايا ثلاثة مباحث نكتفي فيها بعرض رأي الفلاسفة في القضية ثم رد السهروردي عليها .

---

(1) المنقذ من الضلال – تحقيق الإمام عبد الحليم محمود – دار المعارف بمصر – 1981 م – ص 353 .

(2) سورة الحشر الآية : 14 .

(3) رشف النصائح الإيمانية – ورقة 47 .

(4) المنقذ من الضلال – المصدر السابق – ص 353 – 354 .

(5) رشف النصائح الإيمانية – ورقة 67 .

المبحث الأول

صلة الله تعالى بالعالم

رأي الفلاسفة :

بداية يثبت الفلاسفة للعالم صانعًا وهو اللّٰه تعالى ، ودليلهم على ذلك : أن العالم يحتاج إلى محدث وصانع يوجده بعد أن لم يكن موجودًا ... وهذا قول يستلزم اتصاف العالم بالحدوث وإخراجه من العدم ... إلا أن الفلاسفة يثبتون قدم العالم مع كونه مصنوعًا للّٰه تعالى في آن واحد ، وهذا ما ينكره عليهم الغزالي ، ويصف قولهم فيه بالتناقض . وللصانع في منظور الفلاسفة معنى محدد يوضحونه بقولهم : « لم نرد به فاعلًا مختارًا يفعل بعد أن لم يكن يفعل ، كما يشاهد في أصناف الفاعلين من الخياط والنساج والبناء ، بل نعني به علة العالم ونسميه المبدأ الأول ، على معنى أنه لا علة لوجوده ، وهو علة لوجود غيره ، فإن سميناه صانعًا فبهذا التأويل ... وثبوت موجود لا علة لوجوده يدل عليه البرهان القطعي على قرب فإنا نقول : العالم موجوداته إما أن يكون لها علة ، أو لا علة لها ، فإن كان لها علة ؛ فتلك العلة لها علة أم لا علة لها ؟ وكذا القول في علة العلة ، فإما أن تتسلسل إلى غير نهاية وهو محال ، وإما أن تنتهي إلى طرف ، فالأخير علة أولى ، لا علة لوجودها ، فنسميها المبدأ الأول » (1) .

وهكذا يثبت الفلاسفة للعالم صانعًا ، ولكن ليس معنى خالق أو بارئ كما هو معلوم من الدين ، أي بمعنى أن اللّٰه تعالى أخرج العالم من العدم إلى حيز الوجود ؛ بل يثبتون صانعًا بمعنى أنه سبب أول أو علة أولى أو مبدأ أول لإيجاد هذا العالم ؛ لأن العقل لا ينكر احتياج العالم إلى هذا السبب أو العلة ، ولو لم يكن محتاجًا لها لكان موجدًا نفسه أو موجودًا بلا علة ، والأول باطل ، وكذلك الثاني ؛ لما يترتب عليهما من عدم الاحتياج من جهة ، وثبوت القدم الذاتي له من جهة أخرى ، ومعلوم أن العالم لم يكن موجودًا ثم وجد ، ولو وجد بعلة تتصف بالاحتياج لصار الأمر إلى تسلسل العلل حيث إن كل علة تحتاج إلى علة ... وهكذا ، والتسلسل باطل ... إذن فالعالم يحتاج إلى علة أولى أو مبدأ

---

(1) تهافت الفلاسفة – الغزالي – ص 155 ، وانظر ابن سينا – الإشارات والتنبيهات – شرح نصير الدين الطوسي – تحقيق د . سليمان دنيا – القسم الثالث – دار المعارف بمصر – ط 2 – 1968 – ص 19 – 24 .

أول وهو اللّٰه تعالى الصانع للعالم .

هذه العلة متصفة بصفات من أهمها :

- أنها واجبة الوجود بذاتها وإلا سميت معلولة ، يقول ابن سينا في ذلك : « إن كان تعينه (واجب الوجود) لأنه واجب الوجود ؛ فلا واجب وجود غيره ، وإن لم يكن تعينه لذلك ، بل لأمر آخر ؛ فهو معلول » [1] .

- ومن صفات واجب الوجود أنه واحد بحسب تعين وجوده ، فينتفي عنه بذلك التركيب والانقسام ، ويرى ابن سينا أن إثبات واجب الوجود وإثبات وحدانيته وبراءته عن الصفات لا يحتاج إلى دليل إلا دليل الوجود ، يقول الشيخ الرئيس : « تأمل كيف لم يحتج بياننا لثبوت الأول ووحدانيته وبراءته عن الصفات إلى تأمل لغير نفس الوجود ، ولم يحتج إلى اعتبار من خلقه وفعله وإن كان ذلك دليلًا عليه ، لكن هذا الباب أوثق وأشرف ، أي إذا اعتبرنا حال الوجود يشهد به الوجود من حيث هو وجود ، وهو يشهد بعد ذلك على سائر ما بعده في الوجود ، وإلى مثل هذا أشير في الكتاب الكريم ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [2] أقول : إن هذا حكم لقوم ، ثم يقول : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [3] . أقول : إن هذا حكم للصديقين الذين يستشهدون به لا عليه » [4] فالوجود في حد ذاته هو أشرف وأوثق في الاستدلال من الاستدلال بدليل المشاهدة والواقع .

وهذا ما يذهب إليه الفارابي أيضًا في أن تصور الذهن للوجود وحده يؤدي حتمًا إلى الاعتراف بواجب الوجود بذاته ، والواقع والمشاهدة ليسا إلا دليلين مؤيدين ومعضدين لنفس الوجود . هذا وينقسم الوجود بشكل مطلق عند كل من ابن سينا والفارابي إلى واجب الوجود وممكن الوجود ، ويطلق مصطلح : « الواجب » - عندهما - على اللّٰه تعالى ، أما مصطلح « الممكن » فيطلق على العالم ، يقول ابن سينا : « لا شك أن هنا وجودًا ، وهذا الوجود ينقسم إلى واجب وممكن ، أما الواجب : فهو الذي متى فرض غير موجود عرض عنه محال ، وأما الممكن الوجود : فهو الذي متى فرض غير موجود

(1) الإشارات والتنبيهات - القسم الثالث - ص 36 .

(2 ، 3) سورة فصلت آية : 53 .

(4) الإشارات والتنبيهات - المصدر السابق - ص 54 - 55 .

أو موجودًا لم يعرض منه محال ، والواجب الوجود هو الضروري الوجود ، والممكن الوجود هو الذي لا ضرورة فيه بوجه ؛ أي لا في وجوده ولا عدمه » [1] .

ويقول في موضع آخر : كل موجود إذا التفت إليه من حيث ذاته ، من غير التفات إلى غيره : فإما أن يكون بحيث يجب له الوجود في نفسه ، أو لا يكون ، فإن وجب فهو الحق بذاته ، الواجب الوجود من ذاته ، وهو القيوم ، وإن لم يجب ؛ لم يجز أن يقال أنه ممتنع بذاته بعدما فرض موجودًا ؛ بل إن قرن باعتبار ذاته شرط ، مثل شرط عدم علته ، صار ممتنعًا ، أو مثل شرط وجود علته ، صار واجبًا ، وإن لم يقرن بها شرط علة ولا عدمها ، بقي له في ذاته الأمر الثالث وهو الإمكان ، فيكون باعتبار ذاته الشيء الذي لا يجب ولا يمتنع ، فكل موجود : إما واجب الوجود بذاته ، أو ممكن الوجود بذاته » [2] .

إذن فالإمكان هو استعداد وقبول للوجود أو العدم ، والمؤثر الحقيقي في إيجاد الممكن وإعدامه لابد أن يكون شيئًا خارجًا عن ذات الممكن نفسه : « ما حقه في نفسه الإمكان ، فليس يصير موجودًا من ذاته ؛ فإنه ليس وجوده من ذاته أولى من عدمه ، من حيث هو ممكن ، فإن صار أحدهما أولى فلحضور شيء أو غيبته ، فوجود كل ممكن هو من غيره » [3] . وعلى ذلك فوجود العالم أو عدمه بلا مرجح يرجح وجوده أو عدمه أمر مستحيل ، وإذن فلا بد من مرجح ، ولابد أن يكون هذا المرجح خارجًا عن العالم الذي هو الممكن وأجزائه ومختلفًا عنه ، ويتصف بالقدرة على إخراج العالم من العدم إلى الوجود ، أو إبقائه في العدم ، وهذا ما عبر عنه الفلاسفة بالعلة الأولى وما عداها يسمى معلولًا لها : « إن كانت علة أولى فهي علة لكل وجود ، ولعلة حقيقة كل وجود في الوجود » [4] يقول نصير الدين الطوسي شارحًا هذا النص : « إذن إن كان في الوجود علة أولى ؛ فهي علة فاعلية لكل وجود معلول ، ولكل صورة أو مادة هما علتان لتحقق أي معلول كائن في الوجود » [5] .

---

(1) النجاة – طبعة الكردي – القاهرة 1938 م – ص 225 .

(2) الإشارات والتنبيهات – المصدر السابق – ص 19 .

(3) المصدر نفسه – ص 20 .

(4) المصدر السابق – ص 18 .

(5) المصدر نفسه – نفس الصفحة .

قدم العالم :

والمادة والصورة اللتان ذكرهما الطوسي في نصه هما العنصران المكونان للعالم فيما يرى الفلاسفة ، وهنا يقول الفارابي : « وكل العالم إنما هو مركب في الحقيقة من بسيطين من المادة والصورة المختصتين ، فكونه كان دفعة واحدة بلا زمان ... وكذا فساده بلا زمان ، ومن البين أن كل ما كان له كون فله - لا محالة - يكون فساد ، فقد بينا : أن العالم بكليته متكون فاسد ، وكونه وفساده لا في زمان ، وأجزاء العالم متكونة فاسدة ، وكونها وفسادها في زمان ، والله تبارك وتعالى هو الواحد الحق ، مبدع الكل لا كون ولا فساد » [1] وانطلاقًا من مبدأ التوفيق بين الدين والفلسفة ، يثبت كل من الفارابي وابن سينا أن :

1 - مادة العالم وصورته قديمتان في وجودهما ، وكذلك في عدمهما ، إذا قلنا أن العدم يعد شيئًا ، وهذا القدم مساوق لقدم الله تعالى ؛ فكل منهما قديم بالزمان ، وإن كان الفرق أن الله تعالى قديم بالذات كذلك ، بينما العالم حادث بالذات قديم بالزمان فقط ، وواضح من هذا القول أن كلًا من الفارابي وابن سينا يحاول إرضاء الفلسفة .

2 - أجزاء العالم في وجودها وعدمها حادثة ، وتحتاج إلى محدث يحدثها وهو الله تعالى ، ويكون وجودها وعدمها في زمان بعينه ، وهذا القول فيه إرضاء للفلسفة ، والدين معًا .

3 - الله تعالى وهو واجب الوجود ، له وجود وليس له فساد أو عدم ، وهو المؤثر الذي يوجد أجزاء العالم ويحدثها بعد أن لم تكن موجودة ، وهذا قول فيه إرضاء للدين .

إذن فالعلة الأولى يرتبط بها المعلول في وجوده الزماني ؛ أي أن الصورة والمادة وجودهما كان قديمًا ، أو كما يقولون : جنس العالم مرتبط في الوجود بوجود علته الأولى وهي الله واجب الوجود . والارتباط بينهما هو ارتباط المعلول بعلته في الوجود . فهل يفهم من ذلك أن المعلول في وجوده قديم بقدم العلة ، أم أن العلة أحدثته بعد أن لم يكن موجودًا فيسمى حادثًا ؟ .

يرى الفلاسفة - بناء على نص الفارابي - أن العالم قديم قدمًا زمانيًا دون القدم

(1) المسائل الفلسفية - ص 93 - 94 .

الذاتي ، وأن المادة الأولى التي نشأ منها الكون لم تكن مخلوقة من شيء ولم يتقدمها زمان ، وإنما وجودها كان من تلقاء نفسها ... وعلى ذلك فالعالم قديم بالزمان ؛ أي لا أول لوجوده من حيث الزمان ، وهذا الأمر لا يتعارض - في نظر الفلاسفة - مع الدين في قضية الخلق أو نفي الشريك عن اللّه تعالى ، ويصور الغزالي مذهبهم هذا فيقول : «اختلف الفلاسفة في قدم العالم ، فالذي استقر عليه رأي جماهيرهم - المتقدمين والمتأخرين - القول بقدمه ، وأنه لم يزل موجودًا مع اللّه تعالى ، ومعلولًا له ومساوقًا له غير متأخر عنه بالزمان مساوقة المعلول للعلة ، ومساوقة النور للشمس ، وأن تقدم البارئ عليه كتقدم العلة على المعلول وهو تقدم بالذات والرتبة لا بالزمان » [1] .

فمادة العالم موجودة ، ووجودها مساوق لوجود اللّه تعالى ، إلا أن تحققها في الوجود المشاهد بأجزائها ومكوناتها كان حادثًا أحدثته العلة الأولى بعد أن لم يكن موجودًا ؛ فالعالم على هذه الصفة يسمى حادثًا بالذات قديمًا بالزمان ، وكما لو كان محتاجًا للعلة في هيئته الثانية دون احتياجه لها في هيئته الأولى .

ولكي يخرج الفلاسفة من قضية الحكم عليهم بالكفر نتيجة لقولهم بقدم العالم ، قالوا : إن العالم يفترق عن اللّه تعالى بلا شك في أهم خصيصة من خصائصه وهي القدم الذاتي الثابت لواجب الوجود ، بمعنى أن اللّه تعالى لا أول لوجوده ، ومن هنا فوجوده لذاته لا لشيء آخر . أما الممكن الوجود فيحتاج في وجوده إلى موجد يخرجه للوجود ، ويكون تأثيره فيه تأثير العلة في معلولها . فالفرق هنا بين أمرين : عدم أولية الوجود ؛ وهذا أمر لا يختص به واجب الوجود (وهو القدم الزماني) والاحتياج أو (المعلولية) وهو الحدوث الذاتي - وهو أمر يختص ممكن الوجود الذي هو العالم .

صدور العالم عن اللّه تعالى :

هذه القضية أرقت الفلاسفة ودفعتهم إلى القول بنظرية الصدور أو الفيض ، والإشكال العقلي في هذه القضية هو كيفية صدور الكثرة عن الواحد ، فالفلاسفة يثبتون وحدانية اللّه تعالى من جميع الوجوه ، ويقولون ببساطة الذات الإلهية ، وفي نفس الوقت يثبتون تأثير اللّه تعالى في كل شيء ... وهنا يمكن التساؤل : كيف يكون تأثير

---

(1) تهافت الفلاسفة - المصدر السابق - ص 88 .

الواحد البسيط في الأشياء المتكثرة ؛ أي كيف يوجدها أو يخرجها للوجود ؟ .

يجيب الدين على هذا السؤال بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (1) ففكرة الخلق عند الدين تجيب على هذا التساؤل بأن إيجاد اللّٰه تعالى للأشياء هو إخراجها من العدم بعد أن لم يكن لها وجود ، فهو يبرؤها ثم يصورها ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ (2) وتأثير هذا في الإيجاد تأثير مباشر عن طريق الأمر بكلمته (كن) هذه الكلمة التي يسميها الدين عالم الأمر ، وهي قول اللّٰه تعالى الذي يثبت بها فعله في خلق الأشياء ووقوعها .

أما الفلاسفة ويمثلهم الفارابي وابن سينا فلهم تصور آخر قد يتناقض مع فكرة الخلق في الدين وتسمى فكرتهم بنظرية الفيض أو الصدور ... حيث إنهم ينكرون أو يحيلون صدور الكثير (وهو العالم بجزئياته) عن الواحد (وهو اللّٰه تعالى) صدورًا مباشرًا ، ظنًّا منهم أن ذلك يوجب وقوع الكثرة في الواحد وتغيره بتكثر وتغير العالم وجزئياته ، وهذا أمر يخالف تنزيه اللّٰه تعالى ووحدانيته « ولكي يخرج العقل من هذه الحيرة ؛ فليس عليه إلا أن يفترض عدة وسائط تكون بين الذات الواحدة وبين العالم المتكثر » (3) ، فما ينتج عن الواحد إلا واحد مثله ، هذا الواحد يسمى بالعقل الأول ، ومن هذا العقل بدأت الكثرة ، وتأتي هذه الكثرة عن طريق ما يسمى بمبدأ التعقل ، وتتسلسل الكثرة على النمط التالي : الوجود ثلاثة مراتب ، أشرفها وجود واجب الوجود بذاته (اللّٰه تعالى) ، يليه وجود عالم الأفلاك (السموات) ، يليه عالم العناصر (الأرض) « فعالم الأفلاك أو السموات هو النقطة الوسطى بين متناه في الرفعة والمنزلة ، وهو الواجب لذاته أو اللّٰه ، وبين ما يبعد عنه كثيرًا في الدرجة وهو عالم العناصر أو الأرض ، وكما يصور عالم الأفلاك النقطة الوسطى بين درجتين من الوجود بينهما تفاوت كبير ، يمثل بالتالي الصلة بينهما ... ولأن الدين يرى أن السماء مقر الملائكة ، كان لرجاله أن يذكروا أيضًا أن الملائكة – بدل التعبير بالسموات على الإطلاق – هي الصلة بين اللّٰه والعالم الأرضي ، وهكذا هناك في نظر الفلسفة الواجب لذاته ، ثم عقول الأفلاك ، ثم عالم العناصر ،

---

(1) سورة يس آية : 82 . (2) سورة الحشر آية 24 .

(3) د . محمد عبد الستار نصار – في الفلسفة الإسلامية – مكتبي لطباعة الأوفست – القاهرة – 1981 م – ص 91 .

وفي نظر الدين ورجاله الله ، فالملائكة ، فعالم الكائنات الأرضية » [1] فالله تعالى واجب الوجود ، وعالما الأفلاك والعناصر هما الممكن ، والصلة بينهما صلة تأثير وإيجاد عن طريق الصدور أو الفيض ، وقد صدر العقل الأول عن الله ضرورة تعقل الله تعالى لذاته ، هذا العقل موجود قائم بنفسه وليس بجسم ويسمونه واجب الوجود لغيره ، وبتعقل العقل الأول لعلته التي فاض وصدر عنها صدر عنه عقل ثان ، ومن تعقله لذاته الواجبة الوجود بالغير صدرت عنه نفس أولى ، ثم بتعقله لذاته باعتبارها ممكنة الوجود صدر عنه جرم الفلك الأقصى ... ثم يصدر عن العقل عقل ثالث ويلازمه وجود الفردين الآخرين نفس الفلك وجرمه ... وهكذا ، إلى أن تبلغ العقول عشرة ، ثم « يصل الصدور إلى القمر ونفسه وجرمه ، وبهذه الأفراد الثلاثة التي للقمر يتم عالم الأفلاك ويبتدئ عالم العناصر . ولكن دون أن يكون هناك فجوة بين العالمين ؛ إذ إن العقل المفارق المعشوق لفلك القمر (لنفسه وجرمه) هو المتولي تدبير العقل الإنساني في العالم الأرضي ، وهو لهذا - بالنسبة لعقل الإنسان - يأخذ صفة الفعال ، كما يأخذ عقل الإنسان صفة المستفاد » [2] . هذا العقل الفعال هو صاحب الصلة المباشرة بعالم العناصر وأجزائه ومكوناته ... إذن فواجب الوجود - على رأي الفلاسفة - وإن كان هو المؤثر والموجد للعالم ، إلا أن تأثيره يأتي عن طريق العقول العشرة وليس بطريق مباشر ؛ لأن أحكام العقل تحيل - فيما يزعمون - صدور الكثرة عن الواحد وحدة مطلقة .

رأي السهروردي :

لم يعتن السهروردي بترتيب المسائل الفلسفية ترتيبًا منظمًا واضحًا كما فعل الإمام الغزالي ، وكذلك لم يفصل رأي الفلاسفة في المسألة الواحدة وتتبع استدلالاتهم عليها استعدادًا لدحض تلك الأدلة وتفنيدها بمنطق العقل ومنطق النقل ... بل كان يتحدث بصفة عامة عن أباطيل وأوهام الفلاسفة ، ويلوم عليهم اتباعهم لفلاسفة الإغريق الضالين المضلين ... مكتفيًا من هذه الأباطيل بقولهم بكذا أو كذا ... ثم يكر عليهم ويبين عن خطأهم بعرض هذا القول على كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم ... ولكي نستخلص رأيه في مسائل هذا المبحث علينا أن نلقي نظرة شاملة على موضوعات مؤلفة « رشف

---

(1) د . محمد البهي - الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي - دار الكتاب العربي - القاهرة 1967 م - ص 474 .

(2) د . محمد البهي - المرجع السابق - ص 485 - 486 .

النصائح الإيمانية » لنلتقط رده عليها من هنا وهناك :

– يقسم السهروردي – بداية – ميلاد الإنسان وظهوره في واقع الحياة إلى ولادتين : إحداهما : ولادة طبيعية تستند إلى عناصر أربعة : الحرارة ، البرودة ، الرطوبة ، واليبوسة . والثانية : ولادة حقيقية معنوية لا تتم أيضًا إلا بأركان أربعة : الإيمان بالغيب بشروطه ، التوبة النصوح ، الزهد في الدنيا ، ودوام العمل للّٰه تعالى ، ويورد السهروردي خبرًا – لا نعلم مدى صحته – مفاده : « لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين » ويعد الفلاسفة من الطائفة التي حرمت من الولادة الحقيقية ... ولذا فهم محرومون من الولوج في ملكوت السماء ، نتيجة تعدي عقولهم ما حد لها في قضايا الإلهيات .

ويرد السهروردي على الفلاسفة في محاولتهم إثبات الصانع ، بإثبات وجود اللّٰه تعالى وإثبات صفاته وملكيته لعالم الأفلاك وعالم العناصر بقوله : « فللّه الذات الأزلي والصفات السرمدية ، وللّٰه ملك عالمي الغيب والشهادة بما فيهما من الأفلاك والنجوم والبسائط والمركبات والعناصر ، وله الأسماء الحسنى والصفات العلى » (1) هذه الصفات وهذه الأسماء ثابتة للّٰه تعالى أزلًا وأبدًا ولا يسمى اللّٰه تعالى إلا بما سمى به نفسه ، فلا نبتدع ونسميه علة أولى أو واجب الوجود كما يدعي الفلاسفة ، ووحدانيته ثابتة بالعقل والشرع ، فالعقل يحكم بالمشاهدة أن ما وراء خلقه خالق واحد لا شريك له ، فإذا تدبر المرء وتفكر وجد كل ما في الكون يشهد بوحدانيته ، يقول : « وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد . ومن الآيات العظيمة الشمس التي خلقها اللّٰه تعالى وجعلها بإجراء سنته سببًا لتربية الجمادات والناميات والحيوانات ، وهي مقدار الأرض مائة وستة وستون مرة وربع وثمن ثم أعظم الكواكب خمسة عشر كوكبًا من الكواكب الثابتة ، كل واحد منها مثل أربعة وتسعين مرة ونصف مثل الأرض ، ثم زحل وهو مثل الأرض تسعة وتسعين مرة ونصف ... » (2) ، ثم يشرع السهروردي بعد ذلك في سرد الآيات الكونية الدالة على وجود اللّٰه تعالى ، وأنه واحد لا شريك له . ويرى السهروردي أن الفلاسفة قد أخطأوا في تسمية العقل الأول الذي فاض عن تعقل اللّٰه تعالى لذاته بالعلة ، أو علة العلل ، أو واجب الوجود لغيره ، وأن له صفات تشابه صفات الذات الإلهية من عدم اتصافه بالصورة والمادة ... إلخ ، ويرى أن علة العلل هذه إنما هي شبيهة باللات والعزى

---

(1) رشف النصائح الإيمانية – ورقة 34 – 35 . (2) رشف النصائح الإيمانية – ورقة 84 – 85 .

وهبل ، تلك الأصنام التي أشركها المشركون مع اللّه تعالى ، من حيث إن هذه العلة عقل أول يشارك اللّه تعالى في كل شيء ، يقول : « عميت بصائر الفلاسفة وبقوا في تيه أفكارهم أين هم من مطالعة هذه العوالم البعيدة المدى الذي من شام بارقه من أسرارها اهتدى ، فهلا أضاف العلية إلى مثل هذا ؟ وعدولُهُ منه إلى علة العلل المشابه للات والهبل ، فمسارح نظرهم سراب ، وعن أوطان الحقائق اغتراب » [1] وقد ذكر اللّه تعالى أن العقل خلق من مخلوقاته ، وجعل له خاصية تميزه عن بقية المخلوقات ، أفلا يكون من باب أولى أن يسمى هذا العقل علة بدلًا من العقل الذي يدعيه الفلاسفة ، ويذكر السهروردي في ذلك خبرًا عن رسول اللّه ﷺ يقول فيه : « أول ما خلق اللّه العقل فقال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ، ثم قال له : اقعد فقعد ، ثم قال له : انطق فنطق ، ثم قال له : اصمت فصمت ، فقال : وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي وجبروتي وسلطاني ما خلقت خلقًا أحب إلي منك ، ولا أكرم علي منك ، بك أعرف ، وبك أعبد ، وبك أطاع ، وبك آخذ ، وبك أعطي ، وإياك أعاتب ، ولك الثواب ، وعليك العقاب ، وما أكرمتك بشيء أفضل من الصبر » [2] « فكان هذا الخلق العزيز اللّه حريًّا أن تكون العلية مضافة إليه ، وهم جعلوه معلولًا ، وكان بالعلية أولى من المعلولية » [3] ، والفلاسفة على ذلك لم يكن لهم حظ من هذا العقل إلا في إدباره يقول السهروردي : « فكان حظهم في العقل إدباره حيث قال اللّه له : أدبر ، وحظ الأنبياء في العقل إقباله حيث قال اللّه له : أقبل » [4] وإذن فتصور الفلاسفة تصور خاطئ فيما أسموه بالعقل الأول أو علة العلل ، وليست هذه التسمية إلا ضربًا من الخيال والتوهم القاصر عن درك الحقائق ، أما ما يسمى بالعقل الأول فهو العقل الذي ورد ذكره في الخبر السابق ، وهو خلق من مخلوقات اللّه تعالى والفلاسفة قد التبس عليهم الأمر في هذا المخلوق الأول ، وبخاصة أنه لسان الروح وترجمانه « وها هنا زلت أقدام الفلاسفة ، بانتهاء أفكارهم إلى إثبات هذا العقل الذي تخيلوه المعلول الأول ، ... بل المعلول والعلة شيء واحد وهو خلق من خلق اللّه ، ولما انقطع سير عقولهم جعلوه هو الأول ؛ إذ لم يجدوا سبيلًا إلى ما وراء ذلك » [5]

---

(1) رشف النصائح الإيمانية – ورقة 79 .

(2) أخرجه الحافظ العراقي في الإحياء – جـ 1 – ص 142 ، وقال : « رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي أمامة وأبي نعيم من حديث عائشة بإسنادين ضعيفين » .

(3) رشف النصائح الإيمانية – ورقة 78 – 79 .

(4) المصدر نفسه – ورقة 80 .

(5) رشف النصائح الإيمانية – ورقة 2 .

فاختلاط الأمر في هذه المسألة جاء من اختلاط الفهم عليهم بين عالمين من خلق اللّٰه تعالى وهما : عالم الأمر وعالم الخلق ، قال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (1) ففي هذه الآية جمع اللّٰه تعالى ذكر الخلق والخالق والمكون ، وعقل الفلاسفة لا يستطيع معرفة عالم الأمر والفطرة ، وكل ما استطاع معرفته هو عالم الخلق والخلقة ، وهو الذي سموه علة العلل ، يقول السهروردي : « فأرباب العقول القاصرة أدركوا من عالم الشهادة الخلق دون الأمر ، والخلقة دون الفطرة ، وهو ما انتهت أفكار الفلاسفة إليه ، وزعموا أنه علة العلل ... وانتهت أفكار الفلاسفة إلى أن حكموا للصانع جل قدسه وعبروا عنه بالجوهر : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۞ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾ (2) أنزلوا المعلول الأول (يقصد به عالم الأمر أو المخلوق الأول وهو العقل) منزلة الولد ، فانظر إلى هذا الجهل الذي ربى على كل جهل بإطلاق هذا اللفظ على الباري تعالى ... » (3) .

وهذا الاعتقاد مترتب على وصف الفلاسفة للّٰه تعالى بالبساطة ، والبسيط لا ينتج كثرة ، بل ما يصدر عنه إلا واحد مثله ، هذا الواحد هو ما سميناه بالمخلوق الأول وهو يمثل الواسطة بين الواحد والكثرة . وهذه العلة الأولى ينكرها السهروردي إنكارًا شديدًا ، وتقاس عنده - كما سبق أن ذكرنا - بالشريك للّٰه تعالى من حيث إن الواحد - وهو اللّٰه تعالى - ليس له إرادة في إحداث العالم وإنما الإحداث يكون عن طريق العقل الأول يقول : « والعجب كل العجب من اتفاق الفلاسفة الأوائل والأواخر الإسلاميين المتعثرين في أذيال الارتياب المستحلين أكناف الحجاب ، المتسترين بالإسلام ، المصنفين للتصانيف ، كلهم مشيرون إلى علة العلل مقتدون به متخذون منه صنمًا إما ظاهرًا معلنين ، أو باطنًا مضمرين ، متفقين على أن الواحد لا يوجد منه إلا واحد وهذا أساس الإلحاد والزندقة والإبعاد والتحكم الباطل » (4) فالأوائل الذين جاء ذكرهم في النص - المقصود بهم فلاسفة الإغريق ، والأواخر هم الإسلاميون كمقلدين للسابقين ، فهؤلاء - في نظر السهروردي - جميعهم متفقون على أن الواحد لا يوجد منه إلا واحد ، ودافعهم في ذلك تنزيه اللّٰه تعالى عن الشريك ، الأمر الذي جعلهم ينكرون تعدد الصفات على موصوف واحد ، فكان

---

(1) سورة الأعراف آية : 54 .
(2) سورة مريم آية : 90 - 91 .
(3) رشف النصائح الإيمانية - ورقة 44 - 45 .
(4) المصدر نفسه - ورقة 106 - 107 .

قولهم بالعلة الأولى مخرجًا لهم من ذلك ، إضافة إلى تنزيه الله تعالى عن الحدوث ، ولكنهم لم يوفقوا فانقلب توحيدهم إلى إشراك وإلحاد ، وانقلب تنزيههم إلى تشبيه :

- « فغاب عن الفلاسفة جواز تعدد الصفات المتقاضية للفعل ، فانحصروا في مضيق العلة الموجبة للواحد ، ونفروا بالموجب عن الموجد ، والله الموجد للأفراد والأزواج بالإرادة والقدرة الأزلية من غير حادث في ذاته ، فلم تتقيد بصيرة الأنبياء في مضيق علة العلل ، ونزهوا الصانع المبدع أن ينزلوه منزلة الأثر والمؤثر - تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا » [1] .

- « فقضية عقل المتفلسف توهم الحدوث في العلة بتعدد الجهات ؛ فحكم بأن لا يوجد من الواحد إلا واحد فرارًا من التكثر فتعثر في أذيال التدبر وجعل ممكن الوجود ذا طرفين : طرف إلى الوجوب بالواجب ، وطرف إلى الممكن من المعلول الثاني » [2] .

فالأنبياء ينزهون الله تعالى في صلته بخلقه عن أن تكون صلة علة بمعلول متى وجدت العلة وجد المعلول معها ضرورة ، دون أن تكون له إرادة وقدرة ... أما الفلاسفة : فإن اعتقادهم في الذات الإلهية أنها قديمة ، وأنها واجبة الوجود ، إلا أنهم أوقعوا أنفسهم في الهاوية حين أثبتوا للممكن إيجاب الوجود بالغير من جهة صدوره ضرورة عن واجب الوجود بذاته وارتباطه به ، ثم حكموا بعد ذلك بما يناقض هذا القول وهو أنه حادث وممكن من جهة ارتباطه بالمعلول الثاني وهو العقل الثاني في سلسلة عقول الأفلاك التي تصل إلى العقل العاشر ... فكيف يجتمع وجوب الوجود وإمكانه في شيء واحد ؟ وهذا الاعتراض واه - فيما أرى - لأن العقل الأول واجب الوجود - عندهم - بالنظر إلى علته ، وممكن الوجود بالنظر إلى ذاته الممكنة ، فالجهة منفكة فلا تناقض .

وقضية إنكار صدور الكثرة عن الواحد شبيهة - فيما يرى السهروردي - بالعقيدة المجوسية التي تقسم الإله إلى اثنين : إله الخير وإله الشر ، أو إله النور وإله الظلمة ، والكثرة في الشر لا تصدر إلا من أهرمن ، وأهرمن استمد وجوده من إله الخير وهو يزدان ، فحين تفكر يزدان في ذاته تولد أهرمن ، وبعد ذلك صدرت الكثرة من الشر عن أهرمن فكان يزدان المؤثر الحقيقي للشر ، وأهرمن الواسطة بينه وبين هذه الكثرة ، يقول السهروردي : « ومن بقى في مهواة أن لا يوجد من الواحد إلا واحد هو في مطمورة

---

(1) رشف النصائح الإيمانية - ورقة 37 .
(2) المصدر نفسه - ورقة 38 .

مظلمة سدت عليه منافذ النور وهو يستروح إلى أباطيل الغرور والزور ، ويسلك مسلك المجوس في قولهم . أن الخير من يزدان والشر من أهرمن ، فيضيفون التكثر في الشر إلى أهرمن كما يضيف الفلسفي التكثر إلى المعلول الأول » [1] فالكثرة عند المجوسي شر كلها ، ويزدان خير كله ، وأهرمن له طرف وارتباط بإله الخير حيث إنه تولد عنه وهو معلوله ، بينما له طرف آخر يرتبط به وهو الكثرة من الشر ، هذه الفكرة هي ذاتها فكرة الفلسفي عن الصلة بين اللّٰه تعالى الواحد وبين الكثرة من خلقه .

أما قول الفلاسفة بقدم العالم ومساوقة وجوده لوجود اللّٰه تعالى بالزمان دون الذات فهذا اعتقاد يبطله السهروردي ، ويرده بإثباته محاولة هربهم من القول بالسبق الزماني وتأكيدهم على السبق الذاتي للّٰه تعالى ، بمعنى أنهم بعتقدون أن العالم في مادته وصورته قديم في الزمان وموجود بوجود اللّٰه تعالى ، أما بالذات فهو حادث ؛ لأنه محتاج في وجوده إلى محدث . فإذا طرح السؤال الآتي : من الأسبق بالزمان اللّٰه أم العالم ؟ لا تجد عند الفلاسفة إجابة شافية . ولكنهم يجيبون بلا تردد إذا طرح سؤال آخر من الأسبق في الوجود بالذات اللّٰه أم العالم ؟ يقولون : اللّٰه تعالى هو الأسبق لعدم احتياجه إلى موجد يوجده ، أما العالم فمن صفته الاحتياج إلى موجد هو اللّٰه تعالى واجب الوجود ، يقول السهروردي : « ثم فرارهم من السبق الزماني وإثباتهم السبق الذاتي لضيق وعاء عقولهم ، أين هم من الإله الواحد الأزلي الأبدي السرمدي الذي تفانت الأمكنة والأزمنة في أزليته وأبديته ، والكائنات بأسرها في عالمي الغيب والشهادة بأزمنتها وأمكنتها كخردلة وقعت في فضاء إرادته وقدرته ، فيوجد ألفًا ويعدم ألفًا بإرادة سابقة احتوت على سائر المرادات التي انساقت إلى مواسمها من غير أن يحدث في ذاته حادث » [2] . يشير السهروردي في هذا النص إلى قول الفلاسفة بقدم العالم زمانًا لا ذاتًا ، إضافة إلى قولهم بصدور الكثرة عن اللّٰه تعالى عن طريق المعلول الأول أو العقل الأول – أي عن طريق واسطة – ظنًا منهم بأن في ذلك تنزيها للّٰه تعالى عن أن يتكثر بتكثر الأشياء الصادرة عنه ، ومن هنا فإيجاد هذه الحوادث مباشرة بذات اللّٰه تعالى القديمة أمر ينكره العقل – في نظرهم – إضافة إلى أن طبيعة الذات البساطة ، والبسيط لا تنتج عنه الكثرة على الإطلاق ، وكل هذه المعتقدات باطلة – فيما يرى السهروردي – لأن اللّٰه تعالى كان

---

(1) رشف النصائح الإيمانية – ورقة 31 .

(2) رشف النصائح الإيمانية – ورقة 31 – 32 .

ولا شيء معه ، لا مادة العالم ولا صورته ، ولا كله ولا جزئه ، ولا يقال في حقه مكان ولا زمان ... وهو الخالق ، والموجد للمكان والزمان في عالم الشهادة ... وإرادته متصلة بكل شيء ، مخلوق فيوجد ويعدم ، وكل ذلك بإرادة قديمة سابقة على المرادات ، وتكثر المرادات وحدوثها لا يؤثر في ذاته بأي حال من الأحوال بالتكثر ولا بالحدوث .

وهذا الرد - ضمن ردود أخرى كثيرة - يقتبسه السهروردي من الغزالي ؛ لأن الغزالي يرد على الفلاسفة في هذا الموضع بمبدأ « الاختيار » الذي هو خاصة صفة « الإرادة » أي اختيار إيجاد العالم في وقت دون الآخر ، ولا يقال مع صفة الإرادة لم اختار ؟ .... إلى آخر ما قاله الغزالي في تهافت الفلاسفة .

وقد يرتضي السهروردي تقسيم الفلاسفة للعقل إلى قسمين : عقل أول وعقل ثان . إلا أن مفهوم العقلين قد يختلف عنده عن مفهومهما عند الفلاسفة ؛ فهو يعدهما مخلوقين للّه تعالى ، بينما يعد الفلاسفة العقل الأول صدر أو فاض عن اللّه تعالى ، والعقل الثاني فاض أو صدر عن العقل الأول ، وهكذا تتسلسل العقول في مسيرة سماها مسيرة الأفلاك يؤثر بعضها في بعض وصولاً إلى العقل العاشر وهو روح القدس - العقل الفعال - وقضية تأثير الأفلاك بعضها في البعض الآخر ينكرها السهروردي ، ثم يصححها بأن ثمة تأثيرًا للملائكة بأمر من اللّه تعالى ، وليس للأفلاك أي تأثير . والعقل الأول عنده هو العقل المتعلق بعالم الغيب ، ولا يكون هذا إلا للأنبياء وأولياء اللّه الصالحين ، أما العقل الثاني فهو العقل المتصل بعالم الشهادة ، وهذا هو العقل الذي توقف عنده الفلاسفة وحرمهم من معرفة العقل الأول وما يتعلق به يقول : « فما زعموه علة العلل - يعني العقل الأول - وهو الأمر والروح القدس من الأمر الذي جهله الفلاسفة ، وله طرق إلى الخلق وهو ما زعموه أن يكون منه واحد بتوسط عقل آخر المؤدي إلى التكثر ؛ فذاك الذي سموه واحد ممكن الوجود ، واجب بإيجاب واجب الوجود بزعمهم ، هو لسان الروح به يطلع العقل على عالم الغيوب ويدرك منها بعضها ، وتستأثر الروح بكثير منها لا يبرز إلى العقل الذي هو الترجمان ، والعقل الثاني يحيط بعالم الشهادة ، ويطلع على أجزاء الملك المحيط به سور الحس ، فإذا هو ترجمان الترجمان الأول ، فانظر إلى ما ينادي به الفلاسفة بنداء ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾ ... فجهلوا الباري سبحانه ... وإن شئت قلت : أدركوا الحكمة دون القدرة ، فالحكمة سجاف

مسبل على وجه عروس القدرة لتكون محمية أن يكتحل بها غير المحرم الذي ثبتت محرميته بنور الفطرة الذي هو ميراث الروح القدسي ؛ فانحط العقل القاصر في دركات الهبوط ، فنزل إلى جرم الأفلاك ، وأدرك من الأفلاك الخلق دون الأمر ، فجعل له اختيارًا ، وجعل للنجوم تدبيرًا ، وغاب عنه أن الأجرام الفلكية والنجومية موات من ورائها حياة الأملاك الموكلة بها ، منها التدبير ، وسوق الأشياء في الكائنات إلى المقادير ، ثم نزلوا إلى العناصر ، وقد حكم قوم منهم إلى أنها المعلول الأول ، وأثبتوا للعناصر طبيعة مدبرة فهلكوا » (1) فلا شيء من عالم الشهادة يختص بفعل من ذاته ، بل تدبير أمور هذا العالم مرجعها إلى الملائكة المؤتمرة بأمر اللّٰه تعالى ، وهذا ما يحاول السهروردي إثباته والتأكيد عليه في النص السابق ، ويعضده بنص آخر يقول فيه : « ... كما أثبتوا الأفلاك لم يثبتوا الأملاك ، ولم يعلموا بأن تدوار الأفلاك ليس بحركة طبيعية ولا اختيارية ؛ بل الملك الموكل بها هو المدبر لها والمهدي بخصائصها وتأثيراتها ، وهكذا حكم الكواكب أضافوا التأثيرات إليها ، وسموها المدبرات ، والمدبرات هم الأملاك لا الكواكب والأفلاك ، وهكذا نظروا بالعين العوراء » (2) .

---

(1) رشف النصائح الإيمانية – ورقة 46 – 47 . (2) المصدر السابق – ورقة 118 .

المبحث الثاني

علم الله تعالى بالجزئيات بين النفي والإثبات

رأي الفلاسفة :

يؤمن الفلاسفة بأن اللّٰه تعالى عالم بكل شيء : ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [1] ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [2] وهذا العلم صفة من صفات اللّٰه تعالى ، وصفاته لا يلحقها تغير وتبدل ، كما أن ذاته تعالى لا تتغير ولا تتبدل ، ومن أجل ذلك بنوا قضيتهم في نفي صدور الكثرة عن الواحد مباشرة ، حيث إن هذا الأمر يتعلق به القول بتكثر الذات وعدم الوحدانية ... ومن هذا المنطلق التنزيهي للّٰه تعالى قالوا : إن اللّٰه تعالى عالم بكل شيء على وجه كلي ، بمعنى أنه يعلم الأسباب الكلية للجزئيات المادية المتغيرة ، يقول ابن سينا : « الأشياء الجزئية قد تعقل كما تعقل الكليات من حيث تجب بأسبابها منسوبة إلى مبدأ نوعه في شخصه متخصص به ، كالكسوف الجزئي ؛ فإنه قد يعقل وقوعه بسبب توافي أسبابه الجزئية ، وإحاطة العقل بها ، وتعقلها كما تعقل الكليات ، وذلك غير الإدراك الجزئي الزماني الذي يحكم أنه وقع الآن أو قبله ، أو يقع بعده » [3] فعلمه تعالى بالجزئيات من هذا الوجه دون تعلق الجزئيات بزمانها الماضي والحاضر والمستقبل ؛ لأن العلم المرتبط بالزمان هو علم قاصر متغير بتغير الزمان ، وعلم اللّٰه تعالى لا يدخل فيه الزمان ولا المكان يقول ابن سينا أيضًا : « فالواجب الوجود يجب أن لا يكون علمه بالجزئيات علمًا زمانيًا حتى يدخل فيه : الآن والماضي والمستقبل ، فيعرض لصفة ذاته أن تتغير ، بل يجب أن يكون علمه بالجزئيات على الوجه المقدس العالي عن الزمان والدهر » [4] . وتغير علم اللّٰه تعالى هذا الذي ينكره الفلاسفة يعود في ظنهم إلى أن تغير الأشياء المعلومة يحدث إضافة جديدة في العلم ذاته ، وهيئة جديدة للنفس ، مثل من يعلم أن زيدًا سيدخل الدار ، ثم يضاف له علم آخر وهو أن زيدًا في الدار ثم يعلم بعد

---

(1) سورة سبأ آية : 3 . (2) سورة يونس آية : 61 .

(3) الإشارات والتنبيهات – القسم الثالث – ص 286 – 287 .

(4) الإشارات والتنبيهات – المصدر السابق – ص 295 – 296 .

ذلك أن زيدًا خرج من الدار ، فهنا تحدث في نفس العالم ثلاث هيئات تختلف باختلاف العلم بين ماضي وحاضر ومستقبل ، ويضرب ابن سينا لذلك مثلًا بقوله : « مثل أن يكون الشيء عالمًا بأن شيئًا ليس ، ثم يحدث الشيء ، فيصير عالمًا بأن الشيء أيس ، فتتغير الإضافة والصفة المضافة معًا ، فإن كونه عالمًا بشيء ما ، تختص الإضافة به حتى أنه إذا كان عالمًا بمعنى كلي لم يكف ذلك في أن يكون عالمًا بجزئي ؛ بل يكون العلم بالنتيجة علمًا مستأنفًا ، يلزمه إضافة مستأنفة وهيئة للنفس مستجدة ، لها إضافة مستجدة غير العلم بالمقدمة ، وغير هيئة تحققها »[1] .

وكذلك رأيهم فيما يتعلق بما ينقسم إلى المادة والمكان ، كأشخاص الحيوانات حيث يؤكدون على علم اللّٰه تعالى بها على وجه كلي – أيضًا – فاللّٰه يعلم الإنسان علمًا مطلقًا ، ويعلم « عوارضه وخواصه ، وأنه ينبغي أن يكون بدنه مركبًا من أعضاء بعضها للبطش ، وبعضها للمشي ، وبعضها للإدراك ، وبعضها زوج ، وبعضها فرد ، وأن قواه ينبغي أن تكون مبثوثة في أجزائه وهلم جرا ، إلى كل صفة في خارج الآدمي وباطنه ، وكل ما هو من لواحقه وصفاته ولوازمه ، حتى لا يعزب عن علمه شيء ويعلمه كليًا »[2] .

وعلم اللّٰه تعالى – في نظر علماء المسلمين – يتنزه عن هذه الصورة الفلسفية من العلم ، بالرغم من اتفاقهم مع الفلاسفة على أن علم اللّٰه تعالى لا يطرأ عليه التغير والتبدل ، وأن اختلاف أحوال المعلوم ليس إلا إضافات مستجدة ، إلا أنهم يخالفون الفلاسفة في فهم العلاقة بين هذين الأمرين ؛ حيث إن تلك الإضافات هي التي تجد وتتغير ، وذلك لا يستلزم على الإطلاق أي تجدد أو تغير ، لا في العلم ذاته ولا في حال العالم بها ، يقول الإمام الغزالي : « بم تنكرون على من يقول أن اللّٰه تعالى له علم واحد ، بوجود الكسوف مثلًا في وقت معين ، وذلك العلم قبل وجوده علم بأنه سيكون ، وهو بعينه عند الوجود ، علم بأنه كائن ، وهو بعينه عند الجلاء ، علم بالانقضاء ، وأن هذه الاختلافات ترجع إلى إضافات لا توجب تبدلًا في ذات العلم ، فلا توجب تغيرًا في ذات العالم ؛ فإن ذلك ينزل منزلة الإضافة المحضة ؛ فإن الشخص الواحد يكون عن يمينك ، ثم يرجع إلى قدامك ، ثم إلى شمالك ، فتتعاقب عليك الإضافات ، والمتغير

---

(1) المصدر نفسه – ص 292 – 293 .

(2) تهافت الفلاسفة – الغزالي – المصدر السابق – ص 208 .

ذلك الشخص المنتقل دونك ، وهكذا ينبغي أن يفهم الحال في علم اللّٰه عز وجل ، فإنا نسلم أنه يعلم الأشياء بعلم واحد في الأزل والأبد ، والحال لا يتغير ، وغرضهم نفي التغيير وهو متفق عليه » [1] .

رأي السهروردي :

يعزي السهروردي نفي الفلاسفة لعلم اللّٰه تعالى بالجزئيات إلى الجهل بمعرفته تعالى ، ومن دلائل جهلهم به تعالى نفي صفاته عنه ، لتوهم أن إثبات الصفات يستلزم قدحًا في وحدانيته تعالى ، وقد استلزم هذا الأصل الفاسد عند الفلاسفة نفي تأثيره – تعالى – في الكثرة ، ونفي علمه بالجزئيات ، وكل هذه الترتيبات الفاسدة مصدرها الجهل باللّٰه ، يقول : « وهذا باب الجهل القبيح بمعرفة الصانع القديم جل ذكره وتعالى قدسه ، وخامر الباطن نفي الصفات عن الباري سبحانه وتعالى ، وتوهم أن ذلك مضر بالوحدانية الصرفة ، فأنزلوه منزلة الموجب والموجب والمؤثر والأثر ، ونفوا عنه الإيجاد بما صاروا إليه من الضلال ؛ فهو الموجد سبحانه وتعالى المكثر بتكثر أجزاء الكائنات والموجودات ، وحاش أن يقدح ذلك في وحدانيته » [2] ومقصود السهروردي : أن الفلاسفة جعلوا اللّٰه تعالى في منزلة الخالق والمخلوق معًا ، حيث إنهم حاولوا تنزيه علمه عن التغيير بتغير المعلوم ظنًّا منهم أن علمه شبيه بعلم الإنسان الذي تجرى عليه الإضافة والجدة والتغيير ، والانتقال من حال إلى حال ، كأن يكون علمه مرتبطًا بالزمان والمكان والأشخاص ، وهو متعلق بالماضي والحاضر والمستقبل ، ومتصف بالحدوث ؛ لأنه يحدث للإنسان بعد جهل ... وهكذا . وهذا محض جهل بطبيعة علم اللّٰه تعالى المختلفة تمامًا عن علم الإنسان ، فعلمه بجزئيات الزمان والمكان والأشخاص لا يترتب عليه بأي حال من الأحوال تغير في ذاته ؛ لأنه الخالق للكل والجزء ، فكيف يخفى عليه شيء ؟! ويضرب السهروردي لذلك مثلًا بقوله : « لو أخذت كفًّا من الخردل وتركته في وعاء ضيق تتراكم أفراده بضيق الوعاء ، لا تدرك الأفراد لضيق الوعاء ونقصان الشعاع من حدقتك المحيط بالمرئيات من الأفراد ، فإن أنت أخرجته من ضيق وعائه وبسطته ببسط تنفرد آحاده ، واتسع شعاع بصيرتك المحيط بالمرئيات وانطباع المفردات في شعاع حدقتك أدركت أفرادها وآحادها ، فاللّٰه تعالى أخرج خبء الكائنات بالقدرة الأزلية من الكليات

---

(1) تهافت الفلاسفة – المصدر السابق – ص 213 .

(2) رشف النصائح الإيمانية – ورقة 110 .

والجزئيات ، وبسطها ما كان وما يكون في بسيط متصل الطرفين بالأبد والأزل ، فالطرف للمنتهي لا للمنتهى إليه ، فأدركها بالعلم الأزلي ما كان وما يكون . فدع عنك الآن مزاحمة بالقول بأنك تثبت المعدوم شيئًا ؛ فليس هذا ما تكيله بمكيال عقلك القاصر ، وشعاع الشمس المنيرة مبسوط على صفحات بسيط الأرض ، ولا يتوارى من الشعاع إلا محتجب بحجاب ، فإذا برز الحجاب أدركه الشعاع لا محالة ؛ فالكائنات والجزئيات والكليات في بسيط الكون فما برز من حجاب العدم أدركه الشعاع ، لا لحالة تتجدد في الشعاع ؛ بل التجدد للبارز من الحجاب ؛ فالجزئيات تبرزها من حجاب العدم القدرة القديمة إلى شعاع العلم الأزلي ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [1] ... » [2]

ويبدو للمتأمل في هذا النص غرابة لا يمكنه تجاوزها ، وهي أنه قد يفهم منه أن للعلم الإلهي مجالًا يختص به ، كما أن للقدرة الإلهية مجالًا تختص به أيضًا ... فالقدرة القديمة تخرج الجزئيات من العدم ، والعلم لكونه صفة انكشاف وظهور ينكشف ويظهر له القدر الذي أخرجته القدرة من العدم ، وقد يترتب على هذا الفهم فهمٌ آخر ، وهو أن ما لا يبرز من حجاب العدم لا يدركه العلم ... وهذا مقصود لا أظنه للشيخ السهروردي ، وهو المنكر لقول الفلاسفة في العلم الإلهي جملة وتفصيلًا والمكفر لهم به ... إضافة إلى إيمانه المطلق بعلم اللّٰه تعالى الشامل للكليات والجزئيات ، ويثبت ذلك استدلاله بالآية الكريمة ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ فمفهوم الآية أن اللّٰه تعالى يعلم كل شيء حيث إنه الخالق ، ومن المنطقي أن يشمل علم الخالق المخلوق بكله وجزئه .

والمفهوم الذي نميل إليه من النص السابق للسهروردي ما يلي :

أ – بيان الفرق بين علم اللّٰه تعالى وعلم الإنسان ، فعلم الإنسان لكي يكون علمًا صحيحًا لابد له من شرائط معينة ؛ لأنه يعتمد على آلات وأدوات ووسائط منها ما هو في داخل الإنسان نفسه كالعقل والحس ، ومنها ما هو خارج عنه كالأجهزة والمكبرات والمصغرات وغيرها ، أما علم اللّٰه تعالى فهو منزه عن كل ذلك ، ومثال السهروردي يدل على ذلك ، فلو أتينا بوعاء ووضعنا به كمية من خردل ، فعلم الإنسان يقصر عن درك ما في الوعاء من أفراد الخردل وجزئياته ، بمعنى أنه لن يعرفها معرفة بصرية بأن يرى تلك الأجزاء أو يحيط بها إدراكًا ، ويرجع ذلك إلى قصر البصر والبصيرة من ناحية ،

---

(1) سورة الملك آية : 14 .

(2) رشف النصائح الإيمانية – ورقة 112 .

وإلى ضيق الوعاء وتراص أجزاء الخردل من ناحية أخرى ، الأمر الذي جعل المسافة بين تلك الأجزاء داخل الوعاء مظلمة ، فلا يمكن للعين أن تراها ، فإذا أخرج الخردل من الوعاء وبسطه بحيث تتفرق أجزاؤه ، وكان بصره صحيحًا سليمًا ، ووجد الضوء الكافي للرؤية ، استطاع المرء الإحاطة بتلك الأفراد فحصل له العلم بالكل والجزء .

ب – علم اللّٰه تعالى شامل للعدم والوجود ، وقد أخرج الكائنات (بكلياتها وجزئياتها) من وعاء العدم بقدرته الأزلية ، وبسط هذه الكائنات بأجزائها في الماضي والحاضر ، والمستقبل في بساط الكون الواحد ، الذي لا يخالف علم اللّٰه تعالى في كله وجزئه من الأزل إلى الأبد .

جـ – علم اللّٰه تعالى لا يختص بالكليات دون الجزئيات ؛ بل هو يعلمها كلها بعلمه الأزلي ، ما كان منها في الماضي والحاضر والمستقبل ، أما المعدوم وأنه شيء على زعم الفلاسفة ؛ فهذا الأمر مرجعه إلى عقولهم القاصرة عن النظر الصحيح ، وللسهروردي في هذه المسألة رأي – كما هو وارد في نصه – يمثل فيه علم اللّٰه تعالى بالشعاع ، والعدم بالحجاب ، وأن الكائنات والجزئيات والكليات موجودة ... إلا أن العدم حاجب لها ، والقدرة الإلهية القديمة المطلقة هي التي تخرجها من العدم إلى الوجود ، والقدر الذي يزاح عنه حجاب العدم هو الذي يدركه الشعاع (علم اللّٰه تعالى) ، وهذا لا يستدعي تجدد الشعاع أو تغيره ؛ بل الشعاع كما هو موجود مبسوط لا يتغير ، وإنما التغيير والتجديد في القدر الظاهر من وراء حجاب العدم .

إذن فالأشياء تتجدد وتتكثر وتتجزأ ، واللّٰه تعالى يعلمها مجملها ومفصلها دون أن يحدث ذلك تجددًا أو تكثرًا في عمله الأزلي .

المبحث الثالث

حشر الأجساد بين النفي والإثبات

رأي الفلاسفة :

اتفق الفلاسفة الإسلاميون مع غيرهم من المسلمين على أن المعاد في اليوم الآخر حق لا مراء فيه ، إضافة إلى أنه ركن من أركان الإيمان ، لا يمكن لمسلم جحده وإنكاره ، وهذا ما يقرره ابن رشد في قوله : « والمعاد مما اتفقت على وجوده الشرائع ، وقامت عليه البراهين عند العلماء ، وإنما اختلفت الشرائع في صفة وجوده ، ولم تختلف في الحقيقة في صفة وجوده وإنما اختلفت في الشاهدات التي مثلت بها للجمهور تلك الحال الغائبة » [1] . فالعود في يوم آخر للمحاسبة والجزاء أمر متفق عليه بين الشرائع السماوية ، ثابت بالشرع ومؤكد بالعقل ، وإنما الخلاف - كما يقول ابن رشد - في صفة العود ؛ فهل يكون العود للروح والجسد أم للروح فقط أم للجسد فقط ؟ ويترتب على هذا الاختلاف اختلاف آخر في كيفية الثواب والعقاب ، ويفهم من نص ابن رشد أن هذا الأمر من المغيبات ، وقد مثل له الشرع بالسعادة أو العذاب الدنيوي الحسي المشاهد ، والذي ينصب أكثر ما ينصب على جانب الجسد في الإنسان ، وقد اختصت الشريعة الإسلامية بهذا التمثيل بالنسبة للجانب الحسي المشاهد ، وإن كانت لا تعتمد الاستدلال بالشاهد على الغائب بالنسبة للروح ؛ لأن الاستدلال بالأمور الحسية أكثر قدرة على إفهام عامة الناس بطبيعة ومدى العذاب والنعيم من الاستدلال الروحي ، يقول ابن رشد : « ويشبه أن يكون التمثيل في شريعتنا هذه أتم إفهامًا ، لأكثر الناس ، وأكثر تحريكًا لنفوسهم إلى ما هنالك ، والأكثر هم المقصود الأول بالشرائع ، وأما التمثيل الروحاني فيشبه أن يكون أقل تحريكًا لنفوس الجمهور إلى ما هنالك ، والجمهور أقل رغبة فيه وخوفًا له منهم في التمثيل الجسماني ؛ ولذلك يشبه أن يكونَ التمثيل الجسماني من الروحاني ، والروحاني أشد قبولًا عند المتكلمين المجادلين من الناس وهم الأقل » [2] ، وعلى ذلك فظاهر الشريعة ليس حجة على إثبات حشر الأجساد ؛ لأن « الشرائع واردة

---

(1) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة - المكتبة المحمودية التجارية - القاهرة - الطبعة الثالثة - 1968 - ص 149 .

(2) الكشف عن مناهج الأدلة - المصدر السابق - ص 153 .

لخطاب الجمهور بما يفهمون ، مقربًا ما لا يفهمون إلى أفهامهم بالتشبيه والتمثيل ولو كان غير ذلك لما أغنت الشرائع البتة ، فكيف يكون ظاهر الشرائع حجة في هذا الباب ؟ » [1] .

ويفهم من أقوال الفلاسفة أن النعيم والعذاب الأخروي إنما يكون للروح ؛ لأن الروح هي حقيقة الإنسان وجوهره ، وهي نور من نور اللّٰه تعالى ، وبهاتين الخصيصتين تختلف طبيعتها عن طبيعة الجسد المخلوق من مادة متحللة وفانية ؛ فالروح خالدة ، ومن هنا استحقت لوحدها الحشر والجزاء دون الجسد ، وهذا أمر لا يفهمه عامة الناس ، بل يختص به خاصتهم كالحكماء العارفين باللّٰه ، لكن – وبرغم ذلك – يفهم من بعض النصوص الفلسفية أن الفلاسفة يعترفون بالبعث الجسماني مثل قول ابن سينا : « وأما البدن المبعوث : إن كان سعيدًا فيوفى حظه من اللذات البدنية ، وإن كان شقيًا فيوفى حقه من الآلام البدنية ، إلا أن اللذة والأذى الروحانيين كل منهما أبلغ في بابه ، بل لا نسبة إليه » [2] هذا البعث للجسد واستيفاؤه حقه من السعادة أو الشقاء تثبته الشريعة ، ولا طريق لثبوته إلا بها كما يقول ابن سينا ، إلا أن هذا مجرد تمثيل للنعيم والعذاب الجسديين في الدنيا ليقرب به فهم العامي لمعنى النعيم والعذاب في الآخرة ، أما النعيم والعذاب الروحانيان فدليله العقل ، وهذا النوع من النعيم هو الذي يطلبه الحكيم والعارف باللّٰه ؛ لأنه أعرف الخلق بطبيعة الروح ، وما يتعلق بها من سعادة لا تضاهيها سعادة الجسد ولا نعيمه ، يقول ابن سينا : « يجب أن تعلم أن المعاد منه مقبول من الشرع ولا طريق إلى إثباته إلا من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة ، وهو الذي للبدن عند البعث وخيرات البدن وشروره معلومة لا تحتاج إلى أن تعلم ، وقد بسطت الشريعة الحقة التي أتانا بها نبينا المصطفى ﷺ حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن ، ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني ، وقد صدقته النبوة وهو السعادة والشقاوة الثابتان بالمقاييس التي للأنفس ، وإن كانت الأوهام منا تقصر عن تصورها الآن لما نوضح من العلل ، والحكماء الإلهيون رغبتهم في إصابة هذه السعادة أعظم من رغبتهم في إصابة السعادة البدنية ؛ بل كأنهم لا يلتفتون إلى تلك ، وإن أعطوها ، فلا يستعظمونها في

(1) ابن سينا – الأضحوية في المعاد – تحقيق د. حسن عاصي – المؤسسة الجامعية – الطبعة الثانية – بيروت 1987 م – ص 103 .

(2) الهداية – ص 308 – نقلًا عن د . محمد عاطف العراقي – مذاهب فلاسفة المشرق – دار المعارف بمصر – الطبعة السادسة – 1978 م – ص 275 .

جانب هذه السعادة ، التي هي مقاربة الحق الأول » [1] ونرى أن ظاهر النصوص قد يفهم منها اعتراف الفلاسفة بالبعث الجسماني وعذابه ونعيمه ، وأن البعث الروحاني وعذابه ونعيمه هو الأعظم والأشرف لعظم وشرف الروح الخالدة ، غير أنه يستشف ويستنبط مما وراء الظواهر في نصوص الفلاسفة : إنكارهم للبعث الجسماني الذي خالفوا به اعتقادات المسلمين ، وقد بين د .سليمان دنيا بعد استعراض نصوص مطولة لابن سينا – أن إنكار البعث الجسماني هو موقف الفلاسفة ، يقول : « هذا هو رأي ابن سينا في البعث وهو – كما ترى – شطران : شطر رجع فيه إلى الشريعة المحمدية وما جاء فيها عن بعث البدن ونعيمه وعذابه . وشطر رجع فيه إلى العقل وما تأدى إليه من بعث الروح ونعيمها وعذابها ... والذي لا يستطيع المنصف أن يماري فيه أن ما جاء في الشطر الثاني يكاد يؤدي بما جاء في الشطر الأول ؛ إذ قد جعل مناط السعادة والشقاوة في الخلاص من البدن ، فالنفوس التي توفرت لديها أسباب السعادة ، إنما كان يمنعها من الشعور بها البدن ، فإذا خلعته وتخلصت منه استذوقت سعادتها واستكملتها ، والنفوس التي توافرت لديها أسباب الشقاوة إنما كان يحول بينها وبين الشعور بها البدن وشواغله ، فإذا ألقته جانبًا تأذت وتألمت . ولقد ورد في عبارته ما يفيد أن كلا الصنفين من النفوس سيفارق بدنه إلى غير رجعة ، ومعنى هذا : إنكار البعث الجسماني وما يترتب عليه من نعيم البدن وعذابه » [2] وإضافة إلى هذا الاستنتاج نجد نصًا صريحًا لابن سينا ينكر فيه بعث الجسد ، وذلك بعد أن نقد الآراء الباطلة – على حد قوله – في المعاد ، وهي أن المعاد للبدن وحده ، أو للروح والبدن معًا ، يقول : « فإذا بطل أن يكون المعاد للبدن وحده ، وبطل أن يكون للبدن والنفس جميعًا ، وبطل أن يكون للنفس على سبيل التناسخ ، فالمعاد إذًا للنفس وحدها على ما تقرر بعد أن كان المعاد موجودًا ، وذلك ما سنبينه إن شاء اللّه » [3] .

رأي السهروردي :

للسهروردي مفهوم خاص في علاقة الروح بالجسد ، فالروح عنده تنقسم إلى روح روحاني وروح حيواني ، والروح الروحاني هي التي جاء ذكرها في القرآن ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ

(1) النجاة – مطبعة السعادة بمصر – 1331 هـ – ص 477 .

(2) هامش تهافت الفلاسفة – المصدر السابق – ص 294 .

(3) الأضحوية في المعاد – المصدر السابق – ص 126 .

وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [1] ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [2] . أما الحيواني : فهي التي بها حياة الجسد وحركته ؛ ولذلك فهي لها علاقة بالتراب ، ومن هذا المنطلق أكد الإسلام على حشر الحيوانات حتى قيل : « إنه يقاد للجماء من القرناء ، ثم يقال لها : صيري ترابًا فتصير ترابًا ويقول الكافر ياليتني كنت ترابًا ؛ فرارًا من العذاب الأليم » [3] إلا أن الإنسان يختلف أيضًا في هذه الروح الحيوانية عن الحيوانات حيث إن تربة الإنسان التي خلق منها مخمرة بيد اللّٰه تعالى أربعين صباحًا على ما ورد « خمر طينة آدم بيده أربعين صباحًا » وبهذه الخاصية ، كان الروح الحيواني « مستعدًّا لورود الروح العلوي عليه بما اكتسب من شرف التخمير ، فصار نفسًا ممتازًا من جنس أرواح الحيوانات ؛ ولذلك صار مستصلحًا لعمارة الدارين ... ومستصلحًا للثواب والعقاب ... » [4] والفلاسفة – في نظر السهروردي – لم يفهموا العلاقة بين هذين الروحين ، ولم يفصلوا بينهما ، بل كان جلّ حديثهم عن الروح العلوي أو الروحاني في مقابلة الجسد ، ومن هنا أنكروا حشر الأجساد ؛ لأنها تعود ترابًا وتفنى ، ولا يصبح لها تعلق بالروح على الإطلاق . والفاني لا يصح له السعادة أو الشقاء ، أما الروح : فهي تستحق ذلك بخلودها ، وورود الروح الروحاني على الروح الحيواني الذي افترق عن الحيوانات في شرفه ورفعته ، يدلنا على أن بين الروحين صلة قربى ، هذه الصلة هي التي استحق بها الجسد الحشر والجزاء ، إن خيرًا فبميله للروح الروحاني ، وإن شرًّا فبميله إلى أصل خلقته الترابية ، فصار الروح الحيواني وسطًا بين الجسد والروح الروحاني ... وبارتباطه بالتراب استحق الجسد السعادة أو الشقاء ، ويمثل السهروردي لذلك بمثالين من القرآن وهو قصة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) حين قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [5] وقصة العزير الذي أماته اللّٰه مائة عام ثم بعثه يقول السهروردي : « وقد رأى عظام حماره الميت تلوح ، ثم نظر إليها وهي تتركب حسب جسد الحمار ، ثم كساها اللّٰه اللحم ومد عليها الجلد وهو ينظر إلى ذلك حتى نهق الحمار ليسمعك أيها المنكر لحشر الأجساد إن كنت سامعًا ولكن ﴿ أَصَبْنَٰهُم

(1) سورة ص آية : 72 . (2) سورة الإسراء آية : 85 .

(3) السهروردي – رشف النصائح الإيمانية – المصدر السابق – ورقة 61 .

(4) المصدر السابق – ورقة 63 ، وانظر أيضًا السهروردي ، عوارف المعارف – ص 191 .

(5) سورة البقرة آية : 260 .

بِذُنُوبِهِمْۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [1] ... » [2] .

ويمثل السهروردي لعلاقة الروح بالجسد واشتراكهما في استحقاق العذاب أو النعيم بمثال من خياله يرى فيه محاولة الروح – في اليوم الآخر – الفكاك من تحمل المسئولية ، وإلقائها على الجسد ذا الطبيعة المادية الترابية ، ومحاولة الجسد من ناحية أخرى الفكاك من تحمل تلك المسئولية وإلقائها على الروح الذي لولاه لكان الجسد جمادًا لا حياة فيه ، ولما ترتب على طبيعته أية مسئولية ، يقول : « يؤتى بالروح ويقال : أنت محل الثواب والعقاب فيقول : يا رب كنت رضيعًا في مهد عالم الغيب أرتضع الألبان الروحانية ، لم يكن لي نزول إلى عالم الكون والفساد ، فلم أكن مصدرًا للجرائم ، ومنظمًا في سلك الحيوانات والبهائم ، وإنما الجريمة كانت في الجسد المكون من أجزاء ترابية ؛ فهو من طبيعها وركب متون الأخطار وتحمل أثقال الأوزار ؛ فهو المستحق للعقاب ، فيقال للجسد : ماذا تقول فيما أحيل عليك ؟ فيقول الجسد : يا رب كنت جمادًا ملحقًا بالحجر والمدر ، لا بطش لي ولا حركة ، ولو بقيت على حالتي أعمارًا لم يكن مني حراك ولا خضت غمرات الهلاك ، فيقول الله تعالى : أيها الروح والجسد مثلكما كمثل أعمى دخل بستانًا فيه أنواع الفواكه ، فهو لا يراها في البستان إلا زمن يرى الفواكه ، ولا قدم له يسعى إليها فيقول الزمن للأعمى : احملني حتى أوديك إلى الفاكهة فنتناول جميعًا فيأخذ الأعمى الزمن ، فيتناولان باجتماعهما جميع ما يريدان . فأنتما أيها الروح والجسد اشتركتما في الاكتساب والأعمال فتشتركان في تقلب الأحوال ثوابًا كان أو عقابًا ، فذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ [3] ... » [4] فمنطق العقل المهتدي ومنطق النقل يقضيان بأن من العدل اشتراك الجسد والروح في الجزاء ، كما اشتركا في عمل الخير والشر معًا ، إلا أن هذا أمر قد لا تدركه العقول والأفهام ، وهذا ما يعيبه السهروردي على الفلاسفة حيث قال : « وهذا الذي أوردناه علم مجهول عند الفلاسفة لا يكال بمكيال الأفكار ، ولا يوزن بميزان الحماقة والاغترار » [5] .

---

(1) سورة الأعراف آية : 100 .

(2) رشف النصائح الإيمانية – المصدر السابق – ورقة 63 – 64 .

(3) سورة النحل آية : 111 .

(4) رشف النصائح الإيمانية – المصدر السابق – ورقة 64 – 65 .

(5) المصدر نفسه – ورقة 65 .

والبعث والمعاد من الأمور الغيبية التي لا يمكن للفلاسفة إدراكها بعقولهم ، ومن هنا أثبتوا أمرًا ونفوا آخر ، أثبتوا النعيم الروحاني ونفوا النعيم الجسماني ، أما العقول المهتدية بنور اللّٰه تعالى ؛ فلا تنكر ما في عالم الغيب من أمور لا يخضع لها العقل ، والناظر بهذا العقل المهتدي لا يحتاج إلى تمثيل الشاهد على الغائب كما يدعي الفلاسفة « فما أدرك الأنبياء (عليهم السلام) من الأمور الأخروية من البعث والنشور والحساب والصراط والميزان والشفاعة والحوض ، والجنة والنار ؛ أدركوا ذلك بعقول فطرية عبرت عن إدراك الروح القدسي ، والفلاسفة أدركوا عالم الشهادة بعقول خلقية غير مكتحلة بنور الهداية » [1] . وبذلك كان إنكارهم حشر الجسد فيه استخفاف بكلام اللّٰه تعالى ، وقلب لدلالاته ومعانيه ، مما يترتب عليه التقليل من شأن القدرة الإلهية المطلقة التي لا يعجزها أمر مقدور من مقدوراتها ، وهؤلاء كما يقول السهروردي : « نظروا بالعين العوراء ، وأثبتوا النعيم الروحاني ، وأنكروا النعيم الجسماني ، ولم يعلموا أن اللّٰه تعالى أتاح للأرواح والقلوب نعيمًا روحانيًا من أنصبة القرب والنظر إلى اللّٰه الكريم ، وكون نعيمًا جسمانيًا للنفوس التي شاركت الأرواح في خالص العبودية ، الأرواح بما يناسبها ، والنفوس بما يناسبها ، فمن هاهنا نظروا بالعين العوراء ، وأنكروا اشتراك الأرواح مع القوالب في النعيم المقيم » [2] فكون الأرواح لها سعادة وشقاء تختلف به عن سعادة وشقاء الأجساد فهذا أمر يقره السهروردي ويتفق مع الفلاسفة فيه ، إلا أنه يثبت للأجساد ما يثبته للأرواح ، وإن اختلفت صفة النعيم أو العذاب لكل منهما بما يتناسب مع طبيعتهما . ويستدل على هذا الجزاء المشترك بينهما في الآخرة بكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواضحة الصريحة والتي لا تحتاج إلى مزيد تفسير ولا تأويل ، ويستعرض أنواعًا من نعيم الجنة ثم يعلق قائلًا : « ماجت أبحر الأفكار وتلاطمت لطلب الاطلاع على هذه الأسرار ، فمن منكر لا يثبت لذلك وجودًا وعميٌ عن إدراك شيء من الأمور الأخروية ، ومن صائر إلى أن ذلك على ضرب من التمثيل تقريبًا إلى الأفهام العاجزة عن إدراك الحقائق ، وترغيبًا لنفوس ميالة إلى الشهوات ، وربما يتطلع إليها ، وتخيل هذا التمثيل تزندق وإلحاد وإضافة لبس وتمويه إلى الكلام القديم » [3] .

---

(1) رشف النصائح الإيمانية – ورقة 68 – 69 . (2) المصدر نفسه – ورقة 119 .

(3) المصدر نفسه – ورقة 118 .

المبحث الرابع

الكرامات بين النفي والإثبات

رأي الفلاسفة :

قد يتهم الفلاسفة بإنكار الكرامات والمعجزات الحسية من حيث إنهم يعتقدون بالتلازم الضروري في الاقتران المشاهد في الوجود بين الأسباب والمسببات ، فليس في الإمكان إيجاد السبب دون المسبب ، ولا وجود المسبب دون السبب ، ويترتب على هذا – كما يقول الإمام الغزالي – إنكار الفلاسفة الأمور الخارقة للعادة ، التي قد تكون معجزة أو كرامة مثل قلب العصا ثعبانًا وإحياء الموتى وشق القمر ، فمن : « جعل مجاري العادات لازمة لزومًا ضروريًا أحال جميع ذلك ، وأولوا ما في القرآن من إحياء الموتى ... وأولوا تلقف العصا ... وأما شق القمر فربما أنكروا وجوده وزعموا أنه لم يتواتر »[1] . وليس مقصود الغزالي إنكار الفلاسفة للمعجزات على الإطلاق وما شابهها من كرامات ، فإنهم يثبتون ثلاث قوى تصدر عنها الأفعال الخارقة وهي :

أ – القوة المتخيلة .   ب – القوة النظرية العقلية .

جـ – القوة النفسية العملية : فالأولى : إذا استولت وقوت ولم تستغرقها الحواس اطلعت على اللوح المحفوظ ، فانطبعت فيها صور الجزئيات الكائنة في المستقبل ، وهذا للأنبياء في اليقظة ولسائر الناس في المنام ، والثانية : راجعة إلى قوة الحدس وهو سرعة الانتقال من معلوم إلى معلوم ، ومن كانت نفسه مقدسة ، وصافية استمر حدسها في جميع المنقولات وفي أسرع الأوقات ، وهذا ما يكون معجزة للأنبياء ، الثالثة : قد تنتهي إلى حد التأثير في الطبيعيات ، ومثالها أن النفس متى توهمت شيئًا خدمتها الأعضاء والقوى التي فيها ، فتحركت إلى الجهة المتخيلة المطلوبة ، كأن يتخيل الماشي على جذع ممدود في الفضاء طرفاه على حائطين أنه سقط فينفعل جسمه فيسقط ، بل وتتعدى النفس – إذا اشتدت قوتها – فينتقل تأثيرها إلى غير بدنها ، فتتطلع إلى هبوب ريح أو نزول مطر أو زلزال ، فيحدث ذلك من غير سبب طبيعي ظاهر . والإمام الغزالي لا ينكر

---

(1) تهافت الفلاسفة – ص 236 .

ما يثبته الفلاسفة من هذه الفوارق ، ولكن ينكر الاقتصار عليها وإنكار ما عداها ، يقول : « فهذا مذهبهم في المعجزات ونحن لا ننكر شيئًا مما ذكروه ، وأن ذلك مما يكون للأنبياء (صلوات الله عليهم وسلامه) وإنما ننكر اقتصارهم عليه ومنعهم قلب العصا حية ، وإحياء الموتى وغيره » [1] وما نلاحظه على كلام الإمام الغزالي هو الهدوء واللين في الاعتراض الموجه للفلاسفة بهذا الشأن ، وهذا موقف طبيعي ؛ حيث إنه يعترض عليهم على أمر يدخل ضمنه علم الطبيعة الذي لا يعترض عليه ولا يدخله في دائرة نقده ، فهو علم لا يتناقض مع الشرع إلا في بعض المسائل الدقيقة التي لا تؤدي إلى التكفير والحكم على صاحبها بالمروق عن الدين ، وهو علم لا يتضمن إنكار الرسالة أو الرسول ، بل الرسالة والرسول ثابتان بالنقل والشرع إضافة إلى الخارق في المعرفة – على حد تعبير ابن رشد – وهو وضع الشرائع الدال على أن ثبوتها لم يكن بطريق التعلم وإنما بطريق الوحي من الله تعالى وهو المسمى النبوة ، أما المعجز الذي هو أمر خارق للعادة العملية فلم يدعه النبي لإثبات رسالته « وأنت تتبين من حال الشارع ﷺ أنه لم يدعُ أحدًا من الناس ، ولا أمة من الأمم إلى الإيمان برسالته وبما جاء به ، بأن قدم على يدي دعواه خارقًا من خوارق الأفعال ، مثل قلب عين من الأعيان إلى عين أخرى ، وما ظهر على يديه ﷺ من الكرامات الخوارق ، فإنما ظهرت في أثناء أحواله من غير أن يتحدى بها ، وقد يدلك على هذا قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ [2] إلى قوله تعالى : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [3] » [4] .

إذن فالخارق للعادة ليس له أهمية في إثبات الرسالة كما يقول ابن رشد « وأما الخارق الذي هو ليس في نفس وضع الشرائع مثل انفلاق البحر وغير ذلك فليس يدل دلالة ضرورية على هذه الصفة المسماة نبوة ، وإنما تدل إذا اقترنت إلى الدلالة الأولى . وأما إذا أتت مفردة فليس تدل على ذلك ؛ ولذلك ليس تدل في الأنبياء على هذا المعنى إن وجدت لهم ؛ لأن الصنف الآخر من الخارق هو الدال دلالة قطعية ليس هو موجودًا لهم ... فعلى هذا ينبغي أن تفهم الأمر في دلالة المعجز على الأنبياء ، أعني أن المعجز في

(1) تهافت الفلاسفة – المصدر السابق – ص 238 .

(2) سورة الإسراء آية : 90 . (3) سورة الإسراء آية : 93 .

(4) الكشف عن مناهج الأدلة – المصدر السابق – ص 126 .

العلم والعمل هو الدلالة القطعية على صنعة النبوة ، وأما المعجز في غير ذلك من الأفعال فشاهد لها ومقو » [1] فابن رشد لا ينكر الخارق للعادة إلا من حيث كونه لا يصلح أن يكون دليلًا على النبوة ، فإذا اقترن بالخارق في المعرفة ذي الدلالة القطعية على صفة النبوة كان شاهدًا مقويًا ومعضدًا ، بل ويذهب ابن سينا إلى أبعد من ذلك ، فيسقط صفة الخرق للعادة فيما يُرى من هيئات وأفعال توهم خروجًا على الطبيعة ، فتكون خارقة لما تسير عليه عادة الطبيعة ، وهو وإن كان يؤمن بوقوعها على أيدي الأولياء والصالحين ، إلا أنه لا يعدها خارقة للعادة ، ولنمض مع ابن سينا لنتعرف على فكرته تلك ... إنه يعترف بداية للعارفين باللّٰه المقربين إليه بأنه قد يحدث على أيديهم من غرائب الأمور التي قد يستنكرها من يجهل أحوالهم وقدراتهم النفسية والعقلية ، وينصح من يرى ذلك منهم أن يصدق بها ولا ينكرها عليهم ؛ حيث إن الذي لديه معرفة صحيحة بقوى النفس الإنسانية وبالطبيعة وأفعالها ، لا يجد فيما يقع على أيدي هؤلاء أمرًا مستنكرًا خارجًا عن طبيعة النفس وعن عادة الطبيعة ، فإذا « بلغك أن عارفًا أطلق بقوته فعلًا أو تحريكًا أو حركة يخرج عن وسع مثله ، فلا تتلقه بكل ذلك الإنكار ، فلقد تجد إلى سببه سبيلًا في اعتبارك مذاهب الطبيعة » [2] .

فهذه الأفعال تدخل تحت تصرف القوة النفسية العملية وقدرتها على التأثير في البدن وفي غيره من الأجسام . « وإذا بلغك أن عارفًا حدث عن غيب فأصاب متقدمًا ببشرى ، أو نذير فصدق ، ولا يتعسرن عليك الإيمان به ، فإن لذلك في مذاهب الطبيعة أسبابًا معلومة » [3] . وهذه الأفعال تندرج تحت قوة النفس المتخيلة التي إذا قويت اطلعت على اللوح المحفوظ فظهر لها من أمور الغيب ما ظهر . « ولعلك قد تبلغك عن العارفين أخبار تكاد تأتي بقلب العادة ، فتبادر إلى التكذيب ، وذلك مثل أن يقال : أن عارفًا استسقى للناس فسقوا ، أو استشفى لهم فشفوا ، أو دعا عليهم فخسف بهم وزلزلوا ... أو مثل ذلك مما لا تؤخذ في طريق الممتنع الصريح ، فتوقف ولا تعجل ، فإن لأمثال هذه أسباب في أسرار الطبيعة » [4] . وهذا أيضًا مما يندرج تحت قدرة القوة النفسية العملية ،

(1) الكشف عن مناهج الأدلة – المصدر السابق – ص 129 .

(2) الإشارات والتنبيهات – المصدر السابق – القسم الثالث – ص 116 .

(3) الإشارات والتنبيهات – المصدر السابق – القسم الثالث – ص 119 .

(4) المصدر نفسه – ص 150 .

وتأثيرها في الأجسام الأخر ، وهذا أيضًا عند ابن سينا لا يخرج عن إطار أسباب الطبيعة ، التي قد لا يتاح لعامة الناس معرفتها ومعرفة أسرارها ، ومن هنا فقد عبر ابن سينا عن هذه الأفعال بقوله : « تكاد تأتي بقلب العادة » ولم يعبر عنها بأنها « تأتي بقلب العادة » كما يقول الطوسي : « لأن تلك الأفعال ، ليست عند من يقف على عللها ، الموجبة إياها - بخارقة للعادة وإنما هي خارقة بالقياس إلى من لا يعرف تلك العلل » (1) .

رأي السهروردي :

يتهم السهروردي الفلاسفة بإنكارهم للكرامات التي تعد تتمة لمعجزات الأنبياء ، وهي في رأيه خارق للعادة على الحقيقة ، لا على الوصف الذي قال به الفلاسفة ، ويرى أن السبب في إنكارهم حرمانهم من الوصول إلى درجة حق اليقين التي كانت لنبينا الكريم ولأصحابه وأولياء اللّٰه الصالحين ، يقول : « ومن أرباب اليقين من رفع في اليقين رتبة حتى يرى أنه إذا سجد سجد تحت العرش ، ومنهم من يرفع رتبة أخرى حتى يرى أنه يسجد على طرف رداء العظمة ، ومن وراء ذلك مقامات في اليقين يعز ذكرها لغير أهلها ، وتصان أو تودع بطون الصحف ، ومن ذلك حق اليقين ، ومنه إلمامات يسيرة في الدنيا ، فيا معشر الفلاسفة تخرجون من الدنيا بأكباد عطاش ما شربتم من بحر اليقين شربة ، ولا طرق أسماعكم من أستاذيكم نسمة ، فتخرجون من الدنيا بعين مكفوفة عن الاطلاع على العلم ، وإنما كثر عندكم علوم الأفكار ، وبضاعتكم من ذلك مزجاة غير أنكم ما اشتريتم ببضائع علومكم مثقال ذرة من يقين » (2) .

فصاحب اليقين المصدق بقدرة اللّٰه تعالى على كل شيء ، هو الذي يؤمن بأن خرق العادة في الطبيعة داخل ضمن القدرة وفعلها كم تدخل الطبيعة في خلقها وإيجادها من العدم تحت لوائها ؛ ومن ثم سميت مقدورة نسبة إليها ، فمن « أهل الإيقان من عومل بخرق العادات ، ورواية القدر والآيات في طي الأرض والمشي على الماء والهواء » (3) وعلى ذلك فالإيمان بقدرة اللّٰه تعالى من كمال الإيمان ، وقد سئل أحد العارفين عن معنى ذلك فقال : « هو أن تؤمن ولا تشك ، بأن يكون للّٰه عبد بالمشرق نائم على جنبيه فينقلب إلى الجانب الآخر فإذا هو بالمغرب ... وليس هذا مما يدركه عقل الفلسفي ،

---

(1) هامش الإشارات والتنبيهات - المصدر السابق - القسم الثالث - ص 150 .

(2) رشف النصائح الإيمانية - ورقة 135 .

(3) رشف النصائح الإيمانية - ورقة 136 .

وهو غير مستحيل ، وقد يطوى لهم الزمان كما يطوى لهم المكان » [1] .

ويذكر السهروردي أنواعًا من الكرامات نختار منها :

– ما كان لجعفر الصادق (عليه السلام) حين قال : تجلى اللّٰه تعالى لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون « وقيل أنه كان في الصلاة فغشي عليه حتى خرج من صلاته فقيل له : ما سبب ذلك ؟ ، قال : ما زلت أردد الآية حتى سمعتها من المتكلم بها ، فلم يثبت لها قدمي » [2] .

– وقد حكى للسهروردي رجل يثق بقوله ويصدق بكلامه ، أنه كان بمكة ، وتصادف أن كان هناك رجل من الصالحين من أهل المغرب . تنسب إليه الكرامات وخوارق العادات ، واتفق أن كان معه في الطواف فسمعه يقرأ بحم المؤمن إلى آخر القرآن ، وهما ما بين الركن العراقي وركن الحجر ، يقول السهروردي : « وهذه كرامة يشترك فيها القارئ والمستمع ، فأيها المسكين المحجوب الفلسفي الدهري ، من عاين هذا وعلمه يدخل في سماعه زخاريف الفلاسفة ، ويقال لك : يسلم لك ما علمته بطريق الهندسة وعلم الهيئة ، ولكن ما يساوي ما علمته ذرة من اليقين » [3] .

وبالرغم من إنكار الفيلسوف لهذه الأمور الخارقة للعادة ، إلا أنه يثبت ما يماثلها من النيرنجات (وهو مزج قوى الجواهر الأرضية ليحدث منها أمور غريبة) والطلسمات (وهو تأليف القوى السماوية بقوى بعض الأجرام الأرضية ليتألف من ذلك قوة تفعل فعلًا غريبًا في العالم الأرضي [4] . وكان الأجدر – كما يرى السهروردي – أن يثبت أن قدرة اللّٰه الخالق أولى من إثباته خواص الأجسام العنصرية المخلوقة ، وقد يكون ذلك استدراجًا للفلسفي إلى الهلاك ، يقول السهروردي : « ولك أيها الفلسفي ما يقارب شيئًا من هذا من طريق النيرنجات والطلسمات والغيبة عن الغيوب ، ولكن كل ذلك استدراج لك ومكر ، ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ لتبقى في أوطان الطرد والبعد » [5] .

---

(1) المصدر نفسه – ورقة 137 .
(2) المصدر نفسه – ورقة 131 – 132 .
(3) المصدر نفسه – ورقة 137 .
(4) انظر الغزالي – تهافت الفلاسفة – المصدر السابق – ص 235 .
(5) رشف النصائح الإيمانية – المصدر السابق – ورقة 138 .

ويمكننا أن نوجز خلاصة الدراسة في نقاط محددة كالتالي :

1 – يتبين لنا من الوهلة الأولى تأثر السهروردي في نقده للفلاسفة بالإمام الغزالي ، الذي كتب في ذلك كتابه « تهافت الفلاسفة » ، وقد ألف السهروردي على غراره كتابه « رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية » . وكما واجه كتاب « تهافت الفلاسفة » معارضة شديدة من قبل الفلاسفة ... حتى أنه ألف ابن رشد في الرد عليه كتابه « تهافت التهافت » من جزأين ، كذلك واجه كتاب « رشف النصائح ... » معارضة شديدة من قبل بعض العلماء المشهورين منهم ضياء الدين أبي الحسن مسعود الشيرازي (655 هـ) وقد ألف في الرد عليه كتابًا سماه « كشف الأسرار الإيمانية وهتك الأستار الحُطامية » ، وبالرغم من تلك المعارضة إلا أنه لم يكن لها أثر يذكر على كتاب السهروردي وعلى آرائه ، مثله في ذلك كمثل كتاب الغزالي – من قبله – والذي لم يتأثر بمعارضة ابن رشد [1] .

2 – يجد الباحث منذ الوهلة الأولى – أيضًا – أن هناك فرقًا بين الإمام الغزالي والشيخ السهروردي في طريقة نقدهما للفلسفة والفلاسفة ، فالإمام الغزالي تميز بأسلوب له وجاهته من الناحية الموضوعية ، من حيث إنه إذا أراد نقد الفلاسفة في مسألة ما ، يقوم بعرض رأيهم في تلك المسألة عرضًا دقيقًا وواضحًا ثم يحاول بعد ذلك إبطال رأي الفلاسفة ببيان خطئهم وعدم قدرتهم على إثبات ما اعتنقوه من مذهب ، ولا يكتفي بذلك ، بل قد يفترض للمسألة الواحدة وجوهًا عدة ، فيعرض الفرض الأول – مثلًا – ثم يرد عليه ويبطله – ويعرض الفرض الثاني ثم يرد عليه ويبطله ... وهكذا ... إلى أن يتم المقصود وهو إثبات خطأ الفلاسفة في تلك المسألة من أساسها الذي بنيت عليه .

والأداة التي يستخدمها الغزالي في الرد على هؤلاء هي من جنس الأداة المسلمة لدى الفيلسوف وهي (العقل والمنطق) . وبذلك يكون نقده أبلغ في القبول والإقناع مما لو كان قد اعتمد على أداة أخرى .

أما السهروردي فلم يسر على نفس المنهج في رده ونقده للفلاسفة ، بل وفي كثير من

---

(1) انظر معين الدين جمال محمد – مقدمة رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية (بالفارسية) – تصحيح وتوضيح نجيب مايل هروي – الطبعة الأولى 1365 هـ – إيران – ص 23 .

الأحيان لا يعنيه عرض رأي الفلاسفة في المسألة التي هو بصدد الحديث عنها ، فيتحدث عنها رادًّا إياها وناقدًا لها ، ومفترضًا علم القارئ برأي الفلاسفة في تلك المسألة ... وأحيانًا يشير إلى رأيهم في اقتضاب ، وأكثر ما يكون ذلك بعد أن يعرض رأي الدين في تلك المسألة مستدلًّا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، فإذا ما ثبت لديه رأي الدين بطل ما خالفه من قول ، وبذلك يبطل رأي الفيلسوف لا محالة ، ونستطيع أن نقول أنه استخدم أداة لا يعتمدها الفيلسوف إلا كشاهد ودليل على ما أثبتته أداة العقل . ومن هنا نجد نقد السهروردي للفسلفة يتصف بطابع الوعظ والإرشاد .

3 - أثبت السهروردي فشل الفلاسفة في محاولاتهم إرضاء الدين وإرضاء الفلسفة في آن واحد ، وذلك عن طريق صلة اللّٰه بالعالم ، فقالوا ببساطة الذات ، وصدور العالم عن اللّٰه عن طريق الواسطة وهي العقول العشرة ، وقالوا بقدم العالم الزماني دون الذاتي ... وهذا كله مما ينكره الدين ولا يمكن له أن يلتقي فيه مع الفلسفة بأية حال .

4 - أثبت السهروردي فشل الفلاسفة في تنزيه علم اللّٰه تعالى عن الجزئيات المادية الحادثة ؛ لما يترتب على هذا القول من تكثر العلم الإلهي بتكثر المعلومات . ويرى أن هذا أمر قد يصح في علم الإنسان ، أما بالنسبة لعلم اللّٰه تعالى فلا يصح ... لأن علمه محيط بكل شيء دون أن يتأثر بأي شيء ، حيث إن التكثر والتجدد من صفات المخلوق لا من صفات الخالق ، ويتفق السهروردي مع المتكلمين في أن علم اللّٰه تعالى صفة انكشاف وظهور .

5 - ويثبت السهروردي عدل اللّٰه تعالى في الجزاء الأخروي ثوابًا كان أم عقابًا ، وذلك بإثبات الحشر والنعيم والعذاب للجسد والروح معًا ، هذا الحشر الذي أنكر الفلاسفة جانبًا منه وهو حشر الأجساد ، وأثبتوا جانبًا آخر وهو حشر الأرواح حيث إنها وحدها المستحقة للحشر - على ما يزعمون - والسهروردي إذ ينكر عليهم ذلك يصفهم بالجهل بالأمور الغيبية ، ومن هنا حاولوا إخضاعها للعقل ، والعقل قاصر عن إدراك عوالم الغيب ، وبخاصة إن كان عقلًا غير مهتد بنور اللّٰه ، يقول : « فالأنبياء (صلوات اللّٰه عليهم) أخبروا بالحشر والمعاد وما أعد اللّٰه في الدار الآخرة للعباد بعقول كاملة ، متصلة ببحر العلم المحيط بعالمي الغيب والشهادة وعقل الفلاسفة جدول منقطع المدد ارتقى في معارج المركبات والبسائط والأفلاك ثم تضائل في سيره ، فعاد قهقرًا ورجع إلى وراء ، محجوبًا عن عوالم الغيوب غير عارف للرب ، بل عارف بحد

المربوب ... والله تعالى في كلامه القديم أخبر بالدلائل القاطعة على حشر الأجساد ، فقال سبحانه : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (1) ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ (2) وقال : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ (3) فهل الأثقال المخرجة إلا الأجساد ؟! وهل إنكار ذلك إلا ردًّا للقرآن وانغماسًا في بحر الكفر والإلحاد ؟! » (4) إذن فالنقل والعقل المهتدي يدلان على المساواة في الحشر بين الروح والجسد فيعذبان معًا أو ينعمان معًا .

6 - تبين لنا من الدراسة أن الفلاسفة يثبتون نوعًا من الأمور الخارقة للعادة تعتمد على المتخيلة والقوة النظرية العقلية والقوة النفسية العملية ، والغزالي ينكر عليهم اقتصارهم على هذه الأمور فقط ، بالرغم من أن الروايات والأخبار تثبت خوارق العادة مما يسمى معجزة أو كرامة للأنبياء ، ولأولياء الله الصالحين ، وهذا الذي يثبته الفلاسفة إنما أمره للطبيعة ؛ ولذلك قد لا يسمى خارقًا لعادتها ؛ لأن للطبيعة في أفعالها وأسبابها أمورًا قد تخفى على عامة الناس ، وإذا حدثت لا يصدق بها إلا من له علم بتلك الأفعال والأسرار .

والسهروردي يرى أن هذا فيه إنكار للكرامات التي هي مقدمة للمعجزات ، وأن من كان يؤمن بقدرة الله تعالى المطلقة على كل شيء لا يجد أدنى صعوبة في الإيمان بما يخرق عادة الطبيعة بتلك القدرة ، فإثباته لقدرة الله تعالى أولى من إثباته قدرة الطبيعة وأسرارها .

7 - وأخيرًا تبين الدراسة عن أمر له أهميته وهو : التزام السهروردي التام بالكتاب والسنة في استدلالاته واستشهاداته التي تفيض أحيانًا ، حتى إنه ليتراءى للمرء أن هذا المؤلف أو ذلك - من مؤلفاته - كتاب في الوعظ والإرشاد ، وكل ذلك مرجعه إلى شغف السهروردي بالاعتماد على النقل الذي يراه أصح الأدلة وأدقها . وهذا لا يقلل من قيمة محاولة السهروردي وجهوده في نقد ودحض آراء الفلاسفة ، بل هذا أمر قد يحسب للسهروردي - إذا لم يقارن بالغزالي - من حيث اعتماده على الذوق والوجدان الصوفي ، الخاص بصاحب طريقة مبناها الجمع بين الحقيقة والشريعة .

---

(1) سورة الزمر آية : 73 . (2) سورة الزمر آية : 71 .

(3) سورة الزلزلة آية 1 - 2 .

(4) رشف النصائح الإيمانية - المصدر السابق - ورقة 67 - 68 .

القسم الثاني

(تحقيق الكتاب)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المنقذ من الضلال ، والملهم من العلم النافع ما يبلغ غايات الآمال ، والمنعم على أوليائه بنور اليقين الساطع القاطع لأباطيل الوهم والخيال ، الذي شرح الصدور بالكتاب المسطور ، وجعل القلب بما أودع فيه من عظيم سره كاللوح المحفوظ ، والبيت المعمور المُزيَّن بالبهجة والسرور ، الراضي بالمقدور ، القاضي بالسعادة للآتي بالمأمور ، وبالشقاوة لمرتكب المنهي المحذور ، المنّان بالإحسان من بَعثهِ محمدًا [1] النبيّ عليه السلام ، وإنزال القرآن الهادي إلى الطريق الرشيد بالوعد والوعيد والتحديد والتقييد ، تنزيل من حكيم حميد ، ثم عَقِمَ [2] (أ) عن التهدي إلى إعجازه قلوب الطغام (ب) الجُهال ، ولم يطرق إلى حريم غرائبه وعجائبه إلا البالغون من الرجال ، الذين رَقوا في معارج التزكية والتجلية [3] إلى ذُرى (جـ) الاستبصار ، ولطيف التدبر والاعتبار ، فكأنهم [4] بما ظفروا به من العلم المكنون المخزون ولدوا ولادة معنوية حقيقية ، غير الولادة البشرية الطبيعية ، فلهم بالولادة الأولية [5] ارتباط بعالم المُلك والشهادة ، وبالولادة الثانية لهم ارتباط [6] بعالم الغيب والملكوت الخارق للعادة ومحتد (د) السعادة ، فصار لهم كون في عالم الغيب ، وانفصال من [7] مشيمة الشك والريب ، فأطلعوا على العلم الكلي (هـ) الذي بكمال الاستعداد وطهارة الفطرة مكتسب ، ولم يقنعوا بالعلم الجزئي الذي بحبائل الأفكار

---

(1) نسخة 3 ، 4 : بعثته محمد .

(2) نسخة 4 : عصم .

(3) نسخة 1 : والتحلية نسخة 3 : والتخلية .

(4) نسخة 3 : وكأنهم .

(5) نسخة 2 ، 3 : الأولة .

(6) نسخة 1 ، 2 : الارتباط .

(7) نسخة 3 ، 4 : عن .

(أ) عقم : معناها : مقطوعة عن الوصول إلى إعجاز التنزيل ، انظر ، لسان العرب – مادة (عقم) – جـ 12 – ص 412 – دار صادر – بيروت .

(ب) الطغام : أرذال الناس وأوغادهم ، انظر لسان العرب – مادة (طغم) – جـ 12 – ص 368 .

(جـ) المقصود (ذُرا) وهو جمع (ذروة) بكسر الذال وضمها ومعناها : قمة الاستبصار وأعلاه . ويقال ذرا الشيء بالضم أعاليه . انظر مختار الصحاح (مادة ذرا) تحقيق لجنة من علماء العربية – دار المعارف بمصر – ص 222 .

(د) محتد : الأصل والطبع ، لسان العرب – مادة (حَتَد) جـ 3 – ص 139 .

(هـ) العلم الكلي : هو العلم الذي تجتمع فيه مبادئ سائر العلوم ببراهينها ، أما هو فمبادئه غير مبرهنة في علم ما . انظر ص 122 سيف الدين الآمدي – المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين تحقيق د . حسن الشافعي . القاهرة 1983 م .

مقتضب ، المبثوث في مهامه (أ) الاستتار (1) ، المنبوذ بعراء الضمائر المدنسة بالأوزار ، فالكلي كرع من معينه الأنبياء ، فرشح (ب) منه الشرائع ، والجزئي قنع به المحبوسون في مطامير (جـ) الهندسة ، المرتهنون بعلم الأفلاك والنجوم والطبائع ، فمازال الكلي (2) بتشعشع (3) أنواره يسلك بمنتحليه (4) إلى عليين (5) ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ [تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ (د)] (6) ، والجزئي المنصرف (7) إلى تصفح أجزاء المُلك ، يهوي بمنتحليه إلى سجين ، ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ (هـ) ، فضلًا من اللّٰه الكريم على من ارتضاه واجتباه ، وعدلًا منه سبحانه فيمن أبعده وأقصاه ، فالعلم النافع حظ أتباع الأنبياء عليهم السلام ، والحظ الوافر لذوي (8) مِلة الإسلام .

وبغداد مدينة السلام ومستقر سرير الإمام ، سيدنا ومولانا الإمام الناصر لدين اللّٰه ، أمير المؤمنين (و) رضي اللّٰه عنه (9) ، حيث أسمهت من سر كلمته (10) للبقاع دِوَل جُعلت مستقرًا للسدّة (ز) الشريفة النبوية الإمامية ، ومجمع العلوم الشرعية ، والملّة الحنيفية ، فمدّت في أوج المجد الباذخ ، والعلاء الشامخ رواقًا (ح) ، وارتقت (11) بالسر

---

(1) نسخة 4 : الأستار .
(2) نسخة 3 : « الكلي » ساقط .
(3) نسخة 3 : يتشعشع .
(4) نسخة 3 : لمنتحليه .
(5) نسخة 3 ، 4 : أعلى عليين .
(6) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(7) نسخة 2 : المتصرف .
(8) نسخة 3 : منه لذوي .
(9) نسخة 2 : رضوان اللّٰه عليه ، نسخة 3 : صلوات اللّٰه عليه ، نسخة 4 : طيب اللّٰه ثراه .
(10) نسخة 2 : كلمه ، نسخة 4 : كلمةٍ .
(11) نسخة 4 : وارتفعت .

(أ) مهامه : جمع مَهْمَهُ وهي المفازة البعيدة . انظر ص 639 – مختار الصحاح – مادة (مهمه) .

(ب) فرشح : نَدت وظهرت الشرائع من الأنبياء الذين استقوا من العلم الكلي . وجاء معنى رشح في لسان العرب بمعنى ندى التعرق على الجسد ... وهو يخرج شيئًا فشيئًا . انظر جـ 2 – ص 449 .

(جـ) مطامير : جمع مطمار ومعناها : حُفر تحفر في الأرض . انظر لسان العرب ص 502 – جـ 4 – مادة (طمر) .

(د) سورة إبراهيم – الآيتان 24 – 25 .
(هـ) سورة إبراهيم – الآية 26 .

(و) هو : الناصر لدين اللّٰه : أحمد بن الحسن أمير المؤمنين ابن الإمام المستنصر باللّٰه توفي (622 هـ) وهو أطول خلفاء بني العباس مدة في الخلافة ، وقد حددها عبد الملك الملكي بـ 46 سنة وعشرة أشهر ، وفي عهده انتهى ملك السلجوقيين بالعراق ، ويُذكر أن التشيع ظهر في أيامه ثم انطفأ ، وظهر التسنن المفرط ثم زال . انظر – سمط النجوم العوالي – المطبعة السلفية – جـ 3 – ص 378 ، أيضًا محمد بن شاكر الكتبي – فوات الوفيات – دار صادر – جـ 1 – ص 66 .

(ز) السُدَّةُ : باب الدار والبيت ، وقيل : السُدَّة في كلام العرب الفِناء – انظر لسان العرب – مادة (سدد) ص 209 – جـ 3 .

(ح) الرَّوْقُ والرِّواقُ سقف في مقدم البيت . ويقصد بالرواق في السياق شدة العلو . انظر لسان العرب مادة (روق) – ص 132 – جـ 10 .

الإلهي المودع فيها سبعًا طباقًا ، شمل ممالك الإسلام وأقاليمه وارف ظلها ، واكتنفتهم العواطف المقدسة النبوية بعوراف فضلها وعَدلها ، فحنت [1] إلى جوار أعتاب السُدة الشريفة أرواح العلماء ، فشدوا إليها الرحال ، وحطوا بفناء فضلها أمتعة الآمال ، وآثر [2] المقام في أفياء شرفها الزهاد والعباد ، وأهل الجدّ والاجتهاد من أهل العلم والعمل ، فتم بذلك فضلهم وكمل ، ثم مع توفر أقسام الدين من العلم والعمل ، تزينت بنضارة بهجتها وأنيق منظرها من أقسام الحظوظ العاجلة من الأمن والدعة والرفق والسعة ، وتميزت على سائر البلدان بالمشارب السائغة والنعم السابغة ، والملابس الرائقة . قيل إن بعض العلماء قال [لبعض إخوانه : هل رأيت بغداد ؟ قال : لا ، قال : فما رأيت الدنيا وما رأيت الناس ، وقال بعض العلماء :] [3] الدنيا كلها باديةٌ حاضرتها بغداد [أ] .

ثم قوانين [4] رسوم الديوان [ب] العزيز مَجّدَهُ اللّه تعالى ، التي هي بشريف رسومها بين الباقي والمنقرض من الدول ، كملّة الإسلام بين الملل ، وفي أيام دولة سيدنا ومولانا الإمام الناصر لدين اللّه أمير المؤمنين ازدادت رباعُ [ج] العلم بهجة وبهاء ، وريًا [5] ورواءً ، ورواية وسندًا ودراية ومددًا ، وتجاوبت أصداء الجوامع بالعنعنة والإسناد والمتون [د] الهادية إلى سنن الرشاد ، والاستعداد لزاد المعاد ، وكما جمعت العواطف النبوية شريف [6] الأخلاق وعزيز الشيم والسجايا والأعراق ، حتى تقيدت بشريف الاعتزاء [7] إليها الطباع النافرة

---

(1) نسخة 2 : فجنت . (2) نسخة 2 ، 4 : وآثروا .

(3) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط . (4) نسخة 3 : بقوانين .

(5) نسخة 1 : « وريًا » ساقطة ، نسخة 3 : ورياءٌ ، نسخة 4 : ورئيا .

(6) نسخة 1 : تشريف ، نسخة 2 : لشريف ، نسخة 3 : بشريف . (7) نسخة 4 : الاغتراء .

(أ) جاء في تاريخ بغداد بلفظ « الأرض كلها بادية وبغداد حاضرتها » ، انظر الحافظ أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتاب ، بيروت ، باب المحفوظ من مناقب بغداد وفضلها ، جـ 1 ، ص 45 . وقد نسب هذا القول ابن خلكان في وفيات الأعيان إلى الإمام الشافعي ، قال في ترجمة يونس بن عبد الأعلى الصدفي – أحد أصحاب الشافعي – قال : قال لي الشافعي رضي اللّه عنه : يا يونس دخلت بغداد ؟ قلت : لا ، قال : ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس . انظر جـ 7 – ص 252 .

(ب) المقصود بالديوان : مجلس أمير المؤمنين الناصر لدين اللّه .

(جـ) رباعُ : جمع رَبْع وهو المنزل والدار والوطن . انظر لسان العرب مادة (ربع) ص 102 ، جـ 8 .

(د) العنعنة : مصطلح في علم الحديث ، والمقصود به نقل الرواة عن بعضهم فيقال مثلًا : روى الحديث فلان عن فلان عن فلان ... وهكذا .

– الإسناد : مصطلح في علم الحديث يقصد به رواة الحديث ويسمون بالرجال .

– المتون : مصلح في علم الحديث يقصد به نصوص الأحاديث .

عن سنن [1] الرشاد وفاءت بنسبة الفتوة [أ] إلى أمر الله وسلوك جُدَد السَّداد [ب] ، هكذا رَفَعَ لأهل العلم والحديث منارًا ، وأنار لهم بشريف العناية آثارًا ، وامتدت أشعة الآراء الشريفة إلى شاسع البلدان ، وقطعت بشريف آرائها جُمَّة الزيغ والطغيان ، حتى تبدلت أوطان الدعوة الضالة [جـ] بالمساجد ، ونُصبت المنابر ، وتزينت الجوامع بالتحاشد . فالمدارس وبقاع العلم التي تحصنت بشريف الجوار ، قَمِنٌ [د] أن تصان عن شوب الأكدار ، وتُطَهّر عن ذكر علوم الفلاسفة [2] فيها ، وما يغاير علوم الشريعة وينافيها ، فالمتحلون لها أعداء الإسلام والأنبياء ، والمنكرون لصحيح [3] الأخبار والأنباء ، حتى يشيع في بلاد الإسلام ، ردع [4] الإمام ومنعه عن الاشتغال بما يُراغم [هـ] الشريعة المطهرة ، فيكِلُّ غَرْبُ العزائم [و] التي شحذت [5] بالوَبال [ز] ، وظهرت [6] للدين بوبيل [7] النضال ، والآراء النبوية بشريف نظرها تُصفي بحار العلوم عن كَدَر هذا الغُثاء ، وتحمي [8] أوج الأفكار عن قُشار هذا الهباء .

وقد اتفق في هذا [9] الزمان طائفة من الشبان صرعتهم الجهالة وحملتهم البطالةُ على أن شغفوا بمطالعة كتب الفلاسفة استحلاء لزخارفهم واستمراء لوبيء [ح] مصارفهم عن

---

(1) نسخة 2 : « سنن » ساقطة .
(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الفلسفة .
(3) نسخة 3 : بصحيح .
(4) نسخة 1 : ردعة .
(5) نسخة 1 : أشحذت .
(6) نسخة 2 ، 3 ، 4 : فظهرت .
(7) نسخة 2 ، 3 : بوبال ، نسخة 4 : بنبال .
(8) نسخة 3 : ويحمي .
(9) نسخة 1 ، 3 ، 4 : « هذا » ساقط .

(أ) الفتوة : في اصطلاح الصوفية معناها إيثار الخلق على النفس في الدنيا والآخرة . انظر الجرجاني – التعريفات – ص 171 .
(ب) جدد : الطريق المستوي الذي لا حَدَب فيه ولا وعوثة ، لسان العرب – مادة (جدد) ص 109 – جـ 3 .
السداد : الإصابة في المنطق والتدبير . لسان العرب ، مادة (سدد) – ص 208 – جـ 3 .
(جـ) الدعوة الضالة : المقصود بها علوم الفلاسفة والمنطق .
(د) قَمِنٌ : حريٌّ وخليقٌ وجديرٌ ، لسان العرب – مادة (قمن) ص 347 – جـ 13 .
(هـ) يُراغم الشريعة : يخالف الشريعة ، وكلمة يُراغم تأتي من الرُّغم وهو الكره ومن الرَّغم وهو الذل والقَسر ... انظر لسان العرب مادة (رغم) جـ 12 – ص 246 .
(و) غَرْبُ : حدُّ الشيء ، وقوله : فيكل غرب العزائم : أي يضعف من حدّتها ومن شدتها ، انظر لسان العرب مادة (غرب) – جـ 1 – ص 640 .
(ز) الوبالُ : الشدة والثقل . وفي هذا المقام يقصد بها أن العزائم تلك شحذت وسُنت بالشدة والقوة . انظر لسان العرب مادة (وبل) جـ 11 – ص 720 .
(ح) الوبيء : مأخوذ من الوباء وهو المرض ومن الباطل أيضًا ، انظر لسان العرب – مادة (وبأ) جـ 1 – ص 189 ، ويقصد به هنا اتجاهات وطرق الفلاسفة المنحرفة الباطلة .

جُدَد الرشاد بأغاليط – الارتياد [1] (أ) ، واستدبروا علوم الشريعة ، واستجلوا (ب) عن معاقلها المنيعة ، ولعب بهم الشيطان واستهانوا بالعلوم المستنبطة [2] من الأحاديث والقرآن حتى كادوا يخلعوا ربقة الكتاب والسنة ، واستوجبوا أن يُقاتلوا بالأسنة [3] ، جُنوحًا إلى المنافسة والمباهاة والمجادلة والمباراة والمعاندة والممارأة [4] .

تحرك عندي عرق أريحية الإيمان غيرةً على العلوم [5] الشرعية أن تُنبذ وتُراغَم ، وعلوم الفلسفة أن تطالع وتُناغم (جـ) ، ثم غيرة على قوم وُلدوا في الإسلام وغُذوا بمعرفة الحلال والحرام ، والحدود والأحكام ، كيف يفطمون عن ألبان الإيمان ويغذون بكثيف أغذية الطُّغيان وَيَنْكِبُون (د) عن منهج [6] التحقيق ، كأنما خروا من السماء فتخطفهم الطير أو تهوي بهم الريح في مكان سحيق (هـ) ومن المكائد الوبِيّة (و) في المعنى أن قومًا ممن تسمّوا بالعلم ونُسبوا إلى الإسلام رق [7] دينهم وضعف يقينهم ، وتذبذبوا في مهامه الحَيْرة ، وحملتهم رعونات النفس المتطلبة للرفعة والجاه المتطلعة إلى التميز على [8] الأقران والأشباه – أظهروا [9] علومًا ليثبتوا قدمًا في الحذق (ز) ، فزل بهم القدم ، واتسع عليهم الخرق (ح) فزلوا وأزلوا [10] ، فمزجوا الشرعيات بالعقليات ، وخلطوا الدينيات بالدُّنيات ، أما اكتنفتهم [11] (ط) معاصم العلوم الشرعية ؟ أوَلَم [12] تكن أرض الشريعة

---

(1) نسخة 4 : الارتباط .

(2) نسخة 1 : المنبسطة ، نسخة 2 : المستنبطة .

(3) نسخة 3 ، 4 : بالسيوف والأسنة .

(4) نسخة 2 : المماراة والمعاندة والمباراة .

(5) نسخة 4 : علوم .

(6) نسخة 2 : نهج .

(7) نسخة 2 ، 4 : « ورق » .

(8) نسخة 3 ، 4 : عن .

(9) نسخة 3 : أن أظهروا .

(10) نسخة 3 : فزلف وأزلفا .

(11) نسخة 2 : أكتنفتهم ، نسخة 3 ، 4 : اكتنفهم .

(12) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ألم .

(أ) بأغاليط الارتياد : بخطأ التوجه والاختيار والانقياد .

(ب) واستُجلّوا : أي أبعدوا عنها ، واللفظة مأخوذة من الجلاء أي البعد ، انظر لسان العرب – مادة (جلل) – جـ 11 – ص 119 .

(جـ) تناغم : من النغم وهو الكلام الحسن ، ويقصد به هنا استحسان علوم الفلاسفة ، بل وزيادة على ذلك فإن من يستحسنها يشعر بحلاوة وقع كلامها عليه كالنغم الموسيقي الجميل .

(د) وينكبون : أي يعدلون ويعرضون عن الطريق الصحيح .

(هـ) يشير السهروردي إلى الآية الكريمة ﴿ فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ سورة الحج آية : 31 .

(و) الوبية : كثيرة الوباء وشديدة البطلان .

(ز) الحذق : المهارة في كل عمل ، انظر لسان العرب مادة (حذق) جـ 10 – ص 40 .

(ح) الخرق : الفُرجة ، لسان العرب مادة (خرق) جـ 10 – ص 73 .

(ط) اكتنفتهم : شدتهم وأوثقتهم وحفظتهم من الوقوع في الباطل . لسان العرب مادة (كتف) جـ 9 – ص 294 وما بعدها .

واسعة فيهاجروا فيها ؟ ، ألم يكن (1) في علوم القرآن والحديث والمستنبط منهما والمعين على فهمهما لهم مهاجر ، وفي متابعة رسول الله ﷺ لهم مرابح ومتاجر ، لا جرم أن منهم من خرج من الدنيا وعلى بنيان جنانه (2) (أ) من شموس الرشاد شفق ، فرجع إلى الله بغصته ، ومنهم من انسلخ من الملة وخلف في أتباعه وَخيم (ب) قصته (جـ) ، فرجع إلى الله بالخيبة والخُسران مفارقًا للبيان (3) والبرهان دلالة وعلة ، ولم يشف ذلك منه غُلة ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (د) .

فاستخرت الله تعالى (4) طويلًا ، وبسطت يَدَ الرجاء تأميلًا ، وتوكلت على الله ثقة وتَعويلا ، وأنشأت هذا الكتاب ، وأسسته على أحاديث مستخرجة من الأسانيد (5) التي شُرِّفْتُ بالإجازة الشريفة في روايتها ، وأردفت ذلك بما سنح (هـ) لي من كلمات (6) من جذوتها اقتبست ، وبأحبولَتِها (و) اقتنصت ، ومن بحرها تفرعت جداولها ، ومن معينها تشعبت مناهلها . وبَوَّبتهُ خمسة عشر بابًا ، وختمته (7) بخاتمتين والله المأمول أن ينفع به ويثيب عليه .

الباب الأول : في بيان أن التمسك بالكتاب والسنة توفيق وسعادة ، وأن العدول إلى غيرهما خذلان وشقاوة .

الباب الثاني : في ذكر منشأ البدع والضلالات واختلاف الأنحاء والمقالات (8) .

الباب الثالث : في الانتصار للدين وإيضاح طريق المتقين ودحض (9) حجج المبطلين .

---

(1) نسخة 3 ، 4 : تكن .

(2) نسخة 1 : حياته ، وبهامشها جنانه « ومن » ساقطة وكذلك سقطت من نسخة 2 .

(3) نسخة 3 : للبنيان .

(4) نسخة 1 : « تعالى » ساقطة .

(5) نسخة 1 ، 2 ، 3 : المسانيد . وبهامش نسخة (1) مثبت كما هو بالنص .

(6) نسخة 3 : بما سنح بكلام .

(7) نسخة 2 : « ختمته » ساقطة .

(8) نسخة 4 : والمعاملات .

(9) نسخة 3 : 4 : وإدحاض .

(أ) جنانه : قلبه وقيل روحه ، لسان العرب – مادة (جنن) – جـ 13 – ص 92 .

(ب) وخيم : بمعنى ثقيل ورديء ، لسان العرب – مادة (وخم) جـ 12 – ص 631 .

(جـ) هكذا في جميع النسخ ولعلها غصته .

(د) سورة الأنعام آية : 94 .

(هـ) سنح لي : أي عرض لي أو ما تيسر لي من معرفة . انظر لسان العرب مادة (سنح) جـ 2 – ص 491 .

(و) أحبولتها : أي حبلها وهو الرباط الذي به اصطاد الكلمات التي عرضت وظهرت له . وجمع الحبل : أحبل ، انظر لسان العرب مادة (حبل) جـ 11 – ص 134 .

الباب الرابع : في تقرير القواعد [1] الوحدانية وهدم القواعد اليونانية .

الباب الخامس : في ذكر الخلق والأمر والخلقة والفطرة .

الباب السادس : في ذكر الفضل والعدل ، وجدوى الجمع بين النقل والعقل .

الباب السابع : في ذكر المعاد ، وتكفير من ينكر حشر الأجساد .

الباب الثامن : في ذكر الولادتين وشرح حال الفريقين من المحققين [2] ومن [3] المبطلين .

الباب التاسع : في الكشف عن أغاليط الفلاسفة ، وإيضاح طريق الأنبياء عليهم السلام .

الباب العاشر : في ذكر عظيم خلق الله في عالم الغيب .

الباب الحادي عشر : في ذكر صحيح الأنباء عن حال الأنبياء – عليهم السلام – والصديقين من أتباع الأنبياء .

الباب الثاني عشر : في ذكر سبب النظر المؤدي [4] إلى الصواب ، المزيل للشك والارتياب .

الباب الثالث عشر : في إزالة التخييل عمن [5] سبق وهمه إلى التمثيل وباطل التأويل .

الباب الرابع عشر : في غرائب منح الحق على أصحاب رسول الله ﷺ ، الدالة على رزانة [6] عقولهم وصحة نظرهم .

الباب الخامس عشر : في ذكر أحوال نخبة هذه الملة الحنيفية وما منحوا به ببركة متابعة النبي ﷺ [7] ، من الكرامات وخوارق العادات ، الدال [8] ذلك على صحة ما صاروا إليه ، وتبيين [9] بطلان ما ركن الفلاسفة إليه .

الخاتمة الأولى : في سنوح الفتوح في ذكر الروح .

الخاتمة الثانية : في كشف الغطاء عن كنه [10] العطاء [11] .

---

(1) نسخة 4 : قواعد .

(2) نسخة 2 ، 3 : المحقين .

(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « من » ساقطة .

(4) نسخة 3 : السبب المؤدي .

(5) نسخة 2 ، 4 : التخيل عن من .

(6) نسخة 3 ، 4 : غزارة .

(7) نسخة 1 : « ﷺ » ساقطة .

(8) نسخة 1 : الدالة .

(9) نسخة 3 : ويتبين .

(10) نسخة 3 ، 4 : ذكر .

(11) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط .

الباب الأول

في بيان [1] أن التمسك بالكتاب والسنة توفيق وسعادة ، والعدول [2] عنهما [3] خذلان وشقاوة

قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [أ] أخبر التنزيل بما عليه التعويل من واضح [4] البرهان والدليل أن [5] نور الإيمان في قلب المؤمن من أنوار فضل الله ، استنار به سماء روحه وأرض نفسه ، وأشرقت الأرض بنور ربها ، فاستنارت من أنوار الإيمان الجوارح ، واستضاءت بأضواء الإيقان الجوانح ، فقضى ذلك النور بالتجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود [6] ، دار مزينة بالبهجة والسرور لا يشقى ساكنها [7] ، ولا ينهدم بنيانها ، عليها سورٌ من السرمد ، وحصن من الأبد [8] ، فالحظ [9] الوافر من نعيمها وسرورها للأنبياء عليهم السلام . ولنبينا ﷺ الحظ الوافر الموعود والمقام المحمود [10] ، وذاك أنه لما غشيته الأنوار الأزلية والمنائح الإلهية ، أخذت بمجامع قلبه واحتوت عليه احتواء قطعت ما بينه وبين الخلق من الأنس ، فاستوحش من الخلق حتى كانت [11] العربُ تقول : إن محمدًا عشق ربه ، فلبس إحرام العبودية وتوجه إلى كعبة الوصال ، ورمى ما سوى الله بالتجافي والاستئصال ، واختار لنفسه متعبدًا في [12] غار حراء ، ليسمع [13] ما يُسمع

---

(1) نسخة 2 : « بيان » ساقط .

(2) نسخة 3 ، 4 : وأن العدول .

(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : زيادة « إلى غيرهما » .

(4) نسخة 3 ، 4 : أوضح .

(5) نسخة 3 : على أن .

(6) نسخة 3 : « إلى دار الخلود » ساقط .

(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : شكانها .

(8) نسخة 3 ، 4 : الأمد .

(9) نسخة 3 : والحظ .

(10) نسخة 4 : « المحمود » ساقط .

(11) نسخة 1 : كان ، بهامشها مثبت كما هو بالنص .

(12) نسخة 1 : من .

(13) نسخة 3 : يسمع .

(أ) سورة النور – آية : 35 .

ويَرى ما يُرى ، فأقبلت [1] عليه جنود الجود [2] ، ووفود قديم العهود [أ] ؛ فصارت روحه القدسية تطير في أوج الاستئناس ، لابسًا [3] جلابيب الاستغناء بربه ، خالعًا من الركون إلى ما سواه لباسَ الإفلاس ، فلما ارتوى مما علم [4] جُمَلَهُ وتفاصيله [ب] ، احتوى [5] من العلوم المكنونة والأسرار المخزونة ، حتى [6] آن أوان ظهوره واستقراره في منصب الدعوة على كرسي سروره وحبوره ، فانبسطت أنوار قلبه على قلوب الأمة والأصحاب ، وقَطَعت من البواطن دابر الشك والارتياب ، كل ذلك ببركة التبتل والانقطاع ، وترك المألوف والمعهود للّٰه ولذيذ الاستمتاع ، والتبري من الأنس بالجنس [7] ، والتقرب إلى اللّٰه بحبس النفس على ما بلغنا بالإجازة الشريفة [على ما نبأنا سيدنا ومولانا الإمام الناصر لدين اللّٰه أمير المؤمنين أحمد بن المستضيء [8]] عن أبي الحسن علي بن عساكر قال : أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى [9] السجزي قال : أخبرنا أبو الحسن الداودي قال : أخبرنا أبو محمد الحموي قال : أخبرنا أبو عبد اللّٰه الفربري قال : أخبرنا أبو [10] عبد اللّٰه البخاري قال : حدثنا يحيى بن بُكير قال : حدثنا ليث ، عن [11] عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي اللّٰه عنها قالت : أول ما بُدئَ [12] به رسول اللّٰه ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم [13] ، فكان [14] لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ،

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : وأقبلت . (2) نسخة 3 : الجنود . (3) نسخة 4 : لابسة .

(4) نسخة 1 : على ، نسخة 2 : علا ، نسخة 4 : احتوى على حمله .

(5) نسخة 4 : « احتوى » ساقط . (6) نسخة 1 ، 2 : حين .

(7) نسخة 3 : والجن . (8) نسخة 1 ، 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(9) نسخة 3 : بعد « عيسى » أعادت السطر الساقط الذي أضافته ، نسخة 2 و 4 وذكرناه بهامش رقم (4) .

(10) نسخة 3 ، 4 : « أبو » ساقط .

(11) نسخة 2 : سقط منها صفحتان من بداية قوله : « عن عقيل ابن شهاب عن عروة بن الزبير » إلى قوله : « فقال لرسول اللّٰه ﷺ : هذا الناموس الذي أنزل على موسى » .

(12) نسخة 3 : ما بدئ به رسول . (13) نسخة 4 : « النوم » ساقط .

(14) نسخة 1 ، 2 ، 3 : وكان .

(أ) قد يشير إلى العهد القديم بين الإنسان وربه في الإيقان بأنه لا إله إلا هو ربًا وإلهًا وهو ما تشير إليه الآية الكريمة التي سميت بآية الميثاق ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ... ﴾ . (سورة الأعراف الآية 172) وهذا العهد لم يغفل عنه رسولنا الكريم ، بل هو عهد قديم جديد يتجدد بجود اللّٰه وكرمه وبحسن عبودية الرسول ﷺ وحبه لربه .

(ب) أي أصبح علمًا كليًا .

ثم حبب إليه الخلاء وكان [1] يأتي حراء فيتحنث فيه [2] الليالي ذوات العدد ، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فاجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه ، فقال لرسول اللّه : اقرأ ، فقال رسول اللّه ﷺ : فقلت [3] : ما أنا بقارئ ، فأخذني [4] فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ : فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [أ] حتى بلغ ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [ب] فرجع بها رسول ﷺ ترجف بوادره [5] [جـ] ، حتى دخل على خديجة [فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة [6] :] مالي ؟ وأخبرها الخبر ، فقال : قد خشيت على عقلي ، فقالت : كلَّا أبشر فواللّه لا يُخزيك اللّه أبدًا ؛ إنك لتصل [7] الرحم وتصدقُ الحديث وتحمل الكَلَّ وتقري الضيف وتُعين على نوائب الحق ، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به [8] ورقة بن نوفل وكان امرؤ تنصر في الجاهلية ، كان [9] يكتب الكتاب العبري [10] ، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء اللّه أن يكتب ، وكان شيخًا كبيرًا قد عُمّي ، فقالت له خديجة : يا ابن عَمّ [11] اسمع من ابن أخيك ، فقال ورقة : يا ابن أخي ما ترى ؟ فأخبره الخبرَ رسولُ اللّه ، فقال لرسول اللّه ﷺ : هذا [12] الناموس الذي أنزل [13] على موسى ياليتني فيها جذعًا [د] ليتني [14] أكون حيًّا حين يخرجك قومك فقال رسول اللّه ﷺ : [15] أومخرجي

---

(1) نسخة 1 ، 2 ، 4 : فكان .

(2) نسخة 1 : زيادة « وهو التعبد » .

(3) نسخة 4 : « فقلت » ساقط .

(4) نسخة 4 : قال فأخذني .

(5) نسخة 4 : نوادره .

(6) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(7) نسخة 4 : تصل .

(8) نسخة 3 : خديجة إلى ورقة .

(9) نسخة 4 : وكان .

(10) نسخة 3 ، 4 : العربي ، وقد ذكره مسلم في صحيحه بهذا اللفظ .

(11) نسخة 3 : أي عمّ .

(12) نسخة 3 ، 4 : هذا هو .

(13) نسخة 3 : نزل .

(14) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « ليتني » ساقط .

(15) نسخة 1 ، 4 : « ﷺ » ساقط .

(أ) سورة العلق / الآيتان 1 – 2 .

(ب) سورة العلق الآية : 5 .

(جـ) بوادره : جمع بادرة وهي اللحمة التي بين منكب الإنسان وعنقه . لسان العرب ، مادة (بدر) جـ 4 – ص 49 .

(د) جذعًا : معناه صغير السن ، ويقصد ورقة بن نوفل أن يتمنى أنه يكون في فترة ظهور نبوة محمد شابًا صغير السن حتى يبالغ في نصرته . انظر لسان العرب مادة (جذع) جـ 8 – ص 45 .

هم ؟ قال ورقة : نعم ، لم يأت أحدٌ قط بما جئت به إلا عودي وأوذي ، فإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا (أ) ، هكذا تكون (1) مبادئ النبوات ومفتتح (2) أبواب السعادات وطلوع (3) شمس (4) الإقبال من مطالع جود الآزال تَرِدُ وفودها موهبة محضة غير معللة بالاكتساب (5) (ب) ، ولا يتسور إليها بمجاولة (جـ) الأسباب ، بل فيضٌ من بحار الجود مخيمٌ في عَرصَة (د) الوجود ، وَيَعُمُّ (هـ) من ظواهر الأنبياء وبواطنهم التهائم والنُجود ، لا ما يتخيله متفلسف منقطع إلى سفح الخيال (6) ، متكل على أفكاره الردية كُل الاتكال (7) ، يأخذ نفسه بالرياضة الفاسدة (و) ، ويستروح (8) إلى الأرباح (9) الكاسدة ، ويخيل (10) له أن النبوات مما يُستعلى معاصمها بالاحتيال (11) ، أو تُنال معارجها (12) بالبحث والنظر والاستدلال ، وعرائس (ز) النبوات في خدور عزتها لا تعيره (13) طرفًا (14) ، ولا تقبلُ (15) من رشا (ح) أفكاره الدنسة عدلًا ولا صرفًا (ط) ، وبرزت في

(1) نسخة 2 ، 3 : يكون .
(2) نسخة 2 : ومفاتح ، نسخة 4 : ومفاتيح .
(3) نسخة 2 : وطوالع .
(4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : شموس .
(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 ، وهامش 1 : بالأكساب .
(6) نسخة 1 : الجبال .
(7) نسخة 3 : « الاتكال » ساقط .
(8) نسخة 1 : ويتروح بهامشها مثبت كما هو بالنص .
(9) نسخة 3 : الأرياح .
(10) نسخة 1 ، 3 : ويتخيل .
(11) نسخة 2 : بالاجتيال .
(12) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « معارجها » ساقطة .
(13) نسخة 3 : لا تغيره .
(14) نسخة 3 : « طرفًا » ساقط .
(15) نسخة 1 ، 4 : ولا يقبل .

(أ) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب بدء الوحي) ، باب 1 ، ص 2 – 4 وأخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الإيمان باب بدء الوحي) رقم 252 ، ص 139 – 140 .

(ب) يؤكد السهروردي على اصطفاء واختيار الأنبياء من قبل اللّٰه تعالى ، وأن النبوة موهبة يهبها اللّٰه تعالى لمن يشاء من عباده ، وهي على ذلك ليست مكتسبة بجهد المرء وتصفية نفسه والارتقاء بروحانيته واتخاذه لجميع الأسباب لذلك ، ولعل في عبارته هذه ما يشير من بعيد إلى نظرية النبوة عند الفارابي التي ترى للكسب نصيبًا في موضوع النبوة .

(جـ) المجاولة : معناها إدارة وتقليب الأسباب على جميع وجوهها بكل عزيمة وإصرار – انظر لسان العرب – مادة (جول) جـ 11 – ص 130 وما بعدها .

(د) عرصة : معناها الموضع الواسع الفسيح . ويقصد به هنا اتساع الوجود .

(هـ) أي يعم هذا الفيض من ظواهر الأنبياء وبواطنهم التهائم والنجود .

(و) إعمال العقل والاتكال عليه دون الشرع .

(ز) عرائس : جمع عروس وهو اسم للمرأة وللرجل يسميان به عند دخول أحدهما بالآخر ، (انظر لسان العرب ، مادة عرس ، جـ 6 ، ص 135) ويكني السهروردي بهذا اللفظ عن معاني الاصطفاء والاختيار والهبة المخبأة للنبي أو الرسول وكأنها عرائس في خدورها ، لها وقت تظهر فيه حين يشاء اللّٰه تعالى .

(ح) رشا : من الرَّشْوُ : وهو فعل الرشوة . وهو العطاء الذي يعين صاحبها على الباطل . انظر لسان العرب – (مادة رشا) – جـ 14 ص 322 .

(ط) الصَّرف : القيمة ، والعَدلُ : المِثْلُ ، (انظر لسان العرب – مادة صرف ، جـ 9 – ص 190) أي لم يقبل من كلامهم قيمة ولا مثلًا . فهو مرفوض كله على أي وجه قيل أو عُلّل .

جلابيب حُسن منظرها تميس (أ) ، وتطلبُ أن يكون لها في فسيح صفيح (ب) استعداد قلوب الأنبياء نزولٌ وتعريس (جـ) (1) ، فلما كمل لرسول اللّٰه ﷺ (2) أدوات الدعوة الهادية ، وامتلأ من سَنيّ المواهب الرائحة الغادية أطلق لسان الإنذار وأجَمّ (3) (د) ألسنة الجحود والإنكار ، ونشر طوامير (هـ) الإعجاز ، ورفع عقيرته من (4) مئذنة الحجاز ، ورفع علم الافتخار والإعزاز ، وبسط بساط الشريعة بأنوار الكتاب المنزل (5) والسنة المأثورة ، فأصبحت رباع الإسلام معمورةً وأطلال الكفر (6) مجهولة منكورةً ، فتقررت قوانين الدين ولبست ملابس الكمال ، وزهت (7) من بهاء أنوار الآزال ، فأنزل اللّٰه تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (و) ، فطلب الزيادة على الكمال نقصان ، وعدم القناعة بالرضوان خسران على ما بلغنا بالإجازة الشريفة عن أبي الحسن علي بن عساكر بن المرَجّب (8) بن العوام قال : أخبرنا أبو الوقت عبد الأول السجزي (9) الصوفي ، قال : أخبرنا [الشيخ العالم ناصر السنة أبو إسماعيل عبد اللّٰه بن محمد الأنصاري قال : أخبرنا محمد بن محمد قال : أخبرنا عبد اللّٰه قال : حدثنا إبراهيم قال : أخبرنا أحمد بن عبد اللّٰه قال : أخبرنا زاهر بن عبد اللّٰه الصَّعدي قال : أخبرنا بكر بن المَرْزَبان السمرقندي قالا : حدثنا عبد بن حميد أخبرنا يزيد بن هارون قال : أخبرنا حماد بن سلمة عن عمّار بن أبي عمار قال : قرئ عند ابن عباس رضي اللّٰه عنهما] (10) ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ

(1) نسخة 3 : وتقويس .
(2) نسخة 1 : « ﷺ » ساقطة .
(3) نسخة 1 : بهامشها « حسم » ، نسخة 2 : وختم ، نسخة 3 ، 4 : وحسم .
(4) نسخة 2 : في .
(5) نسخة 2 : « المنزل » ساقط .
(6) نسخة 1 : الكفرة .
(7) نسخة 2 : في .
(8) نسخة 3 : الموجب ، نسخة 4 : الاسم ساقط كله « المرجب بن العوام » .
(9) نسخة 1 ، 4 : « السجزي » ساقط .
(10) حدث اختلاف وخلط بين النسخ في الإسناد - المحدد بين المعقوفتين - الأمر الذي يدعونا إلى ذكر نص =

(أ) تميس : تتبختر وتختال وتتمايل . انظر لسان العرب (مادة ميس) جـ 6 - ص 224 .
(ب) صفيح : موضع ومكان وناحية ، فيقال صفْح الشيء ناحيته ، وصفح الجبل مثل سفحه ، انظر مختار الصحاح ، مادة صفح ، ص 364 .
(جـ) تعريس : المُلازمة فيقال : عَرِسَ الصبي بأمه عَرسًا : أَلِفَها ولزمها . لسان العرب ، مادة عرس ، جـ 6 ، ص 134 .
(د) ذكر الناسخ توضيحًا لمعنى كلمة أجم في هامش النسخة الأولى ، قال : أجم لسانه ، أي صيره جمامًا وأجم ألسنة الجحود : أي تركها بلا كلام .
(هـ) طوامير : صحائف . لسان العرب (مادة طمر) ، جـ 4 - ص 503 .
(و) سورة المائدة آية : 3 .

دِينًا ﴾ وعنده يهودي فقال : لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيدًا ، فقال ابن عباس رضي اللّٰه عنه [1] فإنها نزلت [2] في يوم عيدين يوم جمعة ويوم عرفة [أ] ، فعمّرت المساجد ونصبت المنابر ، وانطلق قلم الفتوى بالتوقيعات الشرعية ، وارتفع علم التقوى[3] لكشف الأسرار الخفية [4] ، وسارت رُكبان الإيمان في الأقاليم والبلدان ، منادين بالبشائر والإنذار ، داعين إلى مأدبة دار القرار ، ومحذرين من لفح النار وركوب متن العار ، واستعلى [5] لسان شمعة الدين ، وصار لسان الزندقة والفلسفة في مهواة الخمول ، يهوي بمنتحليه إلى سجين ، ولا يزداد [6] عوده إلا الذُّوي والذبول ، ونجم نحوسه في الاختفاء [والأفول والدين حبل اللّٰه المتين ونوره المبين ، أصلُهُ في [7]] أرض قلوب المؤمنين [8] ، وفرعه في أعلى [9] عليين ، محفوف بالأملاك مخدوم بتداور [10] الأفلاك ، لا ينطفئ نوره بالأفواه ، ولا يتوارى في مكامن الاشتباه ، قال اللّٰه تعالى :

= كل نسخة على حدة كالآتي :

نسخة 2 : بالرغم من أن سندها لا يختلف كثيرًا إلا في بعض الزيادات وبعض النواقص إلا أننا نستحسن ذكره لتكتمل صورة الاختلافات بين النسخ : « الشيخ العالم ناصر السنة أبو إسماعيل عبد اللّٰه بن محمد الأنصاري قال : أخبرنا محمد بن محمد قال : أخبرنا عبد اللّٰه بن أحمد بن حمويه قال : حدثنا إبراهيم بن خزيم قال : أخبرنا أحمد بن عبد اللّٰه قال : أخبرنا زاهر بن عبد اللّٰه وبكر بن المرزبان قالا : حدثنا عبد بن حميد قال : أخبرنا يزيد بن هارون قال : أخبرنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار قال : قرأ عبد اللّٰه بن عباس .. » .

نسخة 3 : « أبو الحسن الداودي أخبرنا أبو محمد الحموي أخبرنا إبراهيم بن خُزيم الشاشي أخبرنا عبد بن حميد أخبرنا يزيد بن أبو محمد الحموي أخبرنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار قال : قرأ ابن عباس ... » .

نسخة 4 : « الشيخ ناصر الدين أبو إسماعيل عبد اللّٰه الأنصاري قال : أخبرنا محمد قال : أخبرنا عبد اللّٰه بن أحمد بن حمويه قال : حدثنا إبراهيم بن حريم قال : أخبرنا أحمد بن عبد اللّٰه قال : حدثنا زاهد بن عبد اللّٰه وبكر ابن المرزبان الداودي قال : أنبأنا أبو محمد الجوني أخبرنا إبراهيم بن حريم الشاشي أخبرنا عبد الرحمن بن عبيد أخبرنا يزيد بن هارون أنبأنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار قال : قرأ عبد اللّٰه بن عباس رضي اللّٰه عنه ... » .

(1) نسخة 1 : « رضي اللّٰه عنه » ساقط .
(2) نسخة 4 : أنزلت .
(3) نسخة 4 : الفتوى .
(4) نسخة 1 ، 3 ، 4 : الحقيقية .
(5) نسخة 1 ، 3 ، 4 : واستعلاء .
(6) نسخة 3 : ولا يزاد .
(7) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(8) نسخة 1 ، 3 ، 4 : الأمين .
(9) نسخة 2 : أعلا .
(10) نسخة 2 : بتداوير ، نسخة 4 : بدوار .

(أ) انظر الإمام الطبري في تفسيره (جامع البيان في تأويل القرآن) – دار الكتب العلمية ، لبنان – طبعة أولى 1992 – جـ 4 – ص 422 .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (أ) ﴾ ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (ب) ﴾ فما زالت الأمداد الإلهية تتواتر (1) على قلب رسول الله ﷺ ، ويُعبر عنها لسانه المسدد الذي هو ترجمان قلبه المؤيد ، على ما بلغنا بالإجازة الشريفة عن علي بن عساكر قال : (2) أخبرنا (3) عبد الأول بن عيسى بن (4) شعيب قراءة قال : أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن (5) محمد بن المظفر (6) الداودي قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه قراءة عليه قال : أخبرنا أبو عمران عيسى [بن عمران قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدرامي قال : (7)] أخبرنا مُسدَّدٌ قال : حدثنا يحيى عن عبد الله (8) بن الأخنس قال حدثني الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمر (9) قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه ، فنهتني قريش وقالوا : تكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ (10) ، ورسول الله بشرٌ يتكلم في الغضب والرضا ، فأمكست عن الكتابة ، فذكرت ذلك (11) لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال : اكتب ، فو الذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق (جـ) فصار نطقه محميًا من الهوى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (د) ﴾ فصار نطقه تشريعًا وكلامه على الكتاب المنزل تفريعًا (هـ) ، وأمره في أقاليم قلوب الأمة توقيعًا . على ما بلغنا بالإجازة الشريفة عن أبي بكر عبد الرزاق بن عبد القادر (12) قال : أخبرنا أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل المقدسي قال : أخبرنا أبو منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الهيثم المقوّمي القزويني (13) إجازة إن لم يكن سماعًا ،

(1) نسخة 1 : يتواتر .
(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ابن عساكر إجازة قال .
(3) نسخة 2 ، 4 : أخبرنا أبو الوقت .
(4) نسخة 2 ، 4 « عيسى ابن » ساقط .
(5) نسخة 3 : « عبد الرحمن بن محمد » ساقط .
(6) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « المظفر » ساقط .
(7) نسخة 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : عبيد الله .
(9) نسخة 1 : عمرو .
(10) نسخة 1 : « من رسول الله ﷺ » ساقط .
(11) نسخة 4 : « ذلك » ساقط .
(12) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الشيخ عبد القادر .
(13) نسخة 3 : « القزويني » ساقط .

(أ) سورة الحجر آية : 9 .
(ب) سورة الصف آية : 8 .
(جـ) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده – طبعة تركيا – جـ 3 – ص 162 .
(د) سورة النجم ، آية 3 .
(هـ) يقصد به أن كلام الرسول ﷺ الذي هو سنة واجبة الاتباع . يُعد المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم .

قال : أخبرنا أبو طلحة القاسم [1] بن أبي المُنذر الخطيب قال : حدثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطان [2] قال : حدثنا أبو عبد اللّٰه محمد بن يزيد بن ماجه قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا زيد بن الحباب [3] عن معاوية بن صالح قال : حدثني الحسن بن جابر عن المقدام بن معدي كَرب الكندي عن رسول اللّٰه ﷺ قال : « يوشك الرجل مُتكئًا على أريكته يُحدَّثُ بحديث من حديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب اللّٰه عزّ وجلّ ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإنّ ما حرّم رسول اللّٰه ﷺ [4] مثل ما حرم اللّٰه عزّ وجلّ [أ] » . وكما حظي ليلة المعراج بقاب قوسين أو أدنى اقترن أمره بأمر اللّٰه وطاعته بطاعة اللّٰه [5] ، وصارت هذه المرتبةُ في عالم الشهادة مُحاكية قاب قوسين . وبالإسناد إلى ابن ماجه بطريق الإجازة الشريفة قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا أبو معاوية ووكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة [6] قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « من أطاعني فقد أطاع اللّٰه ومن عصاني فقد عصا اللّٰه [ب] » . ففي عهد رسول اللّٰه ﷺ كانت رباعُ الدين نضرةً ، ورياضُ العلم خضرةً ، والكلمةُ متحدةً والآراءُ متفقةً والأنحاء مؤيدةً ، آنسةٌ معاهدها [جـ] ، صافيةٌ مواردها [د] ، محميةٌ مصادرها بما غشيها من نور أبهة [هـ] الرسالة والوحي المنزل ، مُذكاةٌ [و] بصائرُها بنور اليقين ، ساكنةٌ نفوسُها إلى معالم الدين ، فلما توارت شمسُ الرسالة بالحجاب ، دَبَّ [7] في القلوب داء الشك والارتياب ، وسرى في الأمة داء الاختلاف ، وانحلت عُرى الاتفاق والائتلاف . وكلّما [8] تباعد

---

(1) نسخة 1 ، 3 : القسم .

(2) نسخة 4 : القط .

(3) نسخة 2 : الحُبان نسخة 3 : الخطاب نسخة 4 : الجباب .

(4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « ﷺ » ساقط .

(5) نسخة 3 ، 4 : وطاعته بطاعته .

(6) نسخة 2 ، 3 ، 4 : أبي هريرة رضي اللّٰه عنه .

(7) نسخة 1 ، 2 ، 4 : ودب .

(8) نسخة 3 : فكلما .

(أ) أخرجه الترمذي في سننه – طبعة تركيا – جـ 5 (باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ) – المقدمة رقم الحديث 2664 ، ص 38 .

(ب) أخرجه البخاري في صحيحه ، جـ 4 (كتاب الجهاد والسير) ، رقم 109 ، ص 8 .

(جـ) آنسة معاهدها : كناية عن كثرة طلاب العلم بتلك المعاهد وائتناسها بوجودهم .

(د) لم يغش تلك الموارد الصافية التابعة من الكتاب والسنة أي فكر باطل .

(هـ) أبهة : أنس الرسالة ، مأخوذ من البهاءُ وهو الأنس . لسان العرب مادة (بهأ) جـ 1 – ص 35 .

(و) مُذكاة : مستقلة ، مُختار الصحاح (مادة ذكا) ص 223 .

عهدُ النبوة تكاثر الاختلاف وتكاثف الانحراف حتى دفعت الأقدار ذلك الاختلاف من زمان إلى زمان ، وفي كل زمان يظهر أقوام يقلُّ حظهم من العلم والتقوى ، ويركبون متون الهوى ، ويستكدّون (أ) أفكارهم [1] في علوم مذمومة ، ثم ينقرض عهدهم ويأتي بعدهم خلفٌ كما قال الله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ (ب) ﴾ فيردِفون [2] ما قالوه [3] بأفكار مُتجدّدة مستريحة بالبطالة ، فيغوصون في بحار الأفكار الدنسة بالأوزار ، ويبنون [4] على ما قال سلفهم بالتذييل وزخارف التخييل ، فيقل العلم ويكثر الكلام ويُنكر العُرف ، ويُعرَفُ زور الأوهام ، وقد انتهى الأمر إلى زمان صار يُدَوَّنُ فيه كلام الفلاسفة ويدرس وينشر [5] من أجداث [6] الخمول في معرض أنهُ من علم الأصول ، ويُزَيَّف المنقول بالمعقول ، ويتصدى للرد على أهل الباطل أقوام من أهل الملة ربما تضعُف [7] قرائحهم عن الردّ المرضي ، فتقوى [8] بذلك شوكة سالكي الجدد الوَبيء ؛ إذ هم مع دعواهم نُصرة الحق ، يتعثرون في أذيال الارتياب وإن أخلدوا إلى الإطناب والإسهاب ، والله بفضله ناصر دين الإسلام ومُدحض [9] أباطيل التخيل والأوهام ، وقد بلغنا بالإجازة الشريفة إلى [10] أبي إسماعيل الأنصاري قال : أخبرنا محمد بن عبد الرحمن ومنصور بن إسماعيل قالا : أخبرنا زاهر بن أحمد قال : أخبرنا محمد بن المسيب قال : حدثنا محمد بن يزيد بن حكيم الأسلمي [11] قال : حدثنا محمد بن المتوكل عن عبد الوهاب عن معمر عن قتادة عن أيوب عن أبي قلابة عن الأشعث عن أبي [12] أسماء عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أخوف ما أخاف على أمتي أئمة مُضلين ، إذا [13] وضع فيهم السيف لم يرفع إلى يوم

(1) نسخة 3 : أفهامهم .
(2) نسخة 1 : فيردفوه . بهامشها مثبت كما هو بالنص .
(3) نسخة 3 : ما قالوا من الكلام .
(4) نسخة 4 : ويبتون .
(5) نسخة 1 ، 3 ، 4 : ويحشر .
(6) نسخة 4 : أجداب .
(7) نسخة 1 ، 4 : يضعف .
(8) نسخة 1 ، 3 ، 4 : فيقوى .
(9) نسخة 2 : وداحض ، نسخة 4 : وقد خَص .
(10) نسخة 3 ، 4 : مسندًا إلى .
(11) نسخة 2 : السُلمي .
(12) نسخة 4 : « أبي » ساقط .
(13) نسخة 2 ، 3 : إنه إذا ، نسخة 4 : وأنه إذا .

(أ) يستكدون : يبذلون قصارى جهدهم . وهو من الكد : بمعنى الشدة في العمل وطلب الكسب . مختار الصحاح (مادة كدد) ص 564 .
(ب) سورة مريم آية : 59 .

القيامة (أ) » . على أن الله تعالى ناصر دينه بقلوب رجال يربيها في أكناف (ب) اليقين ويزيل بها زيغ الزائغين ، فعوالم فضله غير متناهية ، يسوق [1] إلى المواسم في كلّ حين من ينهض ذابًا عن كلمة الله العليا وداحضًا [2] للكلمة السُّفلى . وبالإجازة الشريفة إلى ابن ماجه قال : حدثنا هشام بن عمار قال : حدثنا الجرّاح بن مليح : حدثنا بكر بن زرعة قال : سمعت أبا عتبة [3] الخولاني وكان قد صلى إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ قال : [سمعت رسول الله ﷺ [4]] يقول : « لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسًا يستعملهم في طاعته (جـ) » . ثم خصّص الله رسوله بموهبة خاصة ، وفتح له بابًا إلى الغيب بواسطة [5] جبريل ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، وأطلق له لسانًا بالحكمة لقلوب قابلة لذلك صالحةٍ له ، وفتح له بابًا آخر بالنفث في الروع (د) ، فلما تعددت أبواب قلبه المفتوحة إلى عالم الغيب تعددت جهات دعوته ، قال الله تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ (هـ) ﴾ فكان البابان اللذان أحدهما ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ (و) ﴾ والباب الآخر « النفث في الروع » ، كانا لخصوص حاله ، فرشح منهما الدعوة بالحكمة ، ثم كان إذا عادَ من مواطن شهوده إلى رسوم وجوده ، أول من تبدى [6] له جبريل عليه السلام على رأس حدّ الوجود ، لكونه واسطةً بين الله وبين الأنبياء صلوات الله عليهم [7] ، وله وجهٌ إلى عالم القدرة ووجه إلى عالم الحكمة ، فوجهه [8] الذي يلي عالم الحكمة يتبدى لرسول الله ﷺ ، فيلقي إليه من الوحي في بيان الشعائر والشرائع لمصلحة [9] سكان عالم الحكمة من الأمة ،

(1) نسخة 2 ، 4 : تسوق .
(2) نسخة 1 : ومدحضًا ، نسخة 3 : ودحض الكلمة .
(3) نسخة 3 : أبا عبيد .
(4) نسخة 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(5) نسخة 1 ، 2 ، 3 : لا بواسطة نسخة 1 : بهامشها : بواسطة نسخة 4 : بواسطة جبريل .
(6) نسخة 2 : ما يبدأ ، نسخة 3 ، 4 : ما تبدأ .
(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « صلوات الله عليهم » ساقط .
(8) نسخة 1 : فوجه .
(9) نسخة 1 : بمصلحة .

(أ) أخرجه الترمذي في سننه ، باب ما جاء في الأئمة المضلين ، جـ 4 ، رقم 2229 ، ص 504 . وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده – جـ 5 ، ص 278 ، وأخرجه ابن ماجه في سننه ، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ المقدمة رقم 3 ، جـ 1 ، ص 4 .

(ب) أكناف : جمع كنف ومعناه الإحاطة بالشيء . انظر مختار الصحاح (مادة كنف) ص 680 .

(جـ) أخرجه ابن ماجه في سننه ، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ ، المقدمة رقم 8 ، جـ 1 ، ص 5 .

(د) يشير إلى تعدد أنواع الوحي والنفث في الروع أحد هذه الأنواع .

(هـ) سورة النحل ، آية 125 .

(و) سورة النجم ، آية 10 .

وأطلق [1] له لسانين آخرين ، لسان الموعظة ولسان المجادلة ، تليينًا لنفوس خامَرَها الإباء والاستعصاء حتى تفيء إلى أمر اللّٰه ، فتحتوي كلمة الدعوة عليهم أجمع ، وحكمة [2] إرسال اللّٰه جبريل عليه السلام إلى الرسل [3] عليهم السلام لما جعله اللّٰه واسطة بين العالمين : عالم الحكمة وعالم القدرة ، فهو بمثابة الدم المتولد من الغذاء بإجراء سُنَّة اللّٰه لتربية لحوم الأجسام ، وتقوية عظام الأجساد التي هي عُمُدُ خيمة القالب ، فالدم للطافته لا يصل أثره إلى العظم الصُّلب ، فهيأ اللّٰه الغضاريف والأعصاب جامعة لضرب من اللين وضربٍ من الصلابة ليصل أثر الغذاء إلى الدم ويصل من الدم إلى اللحم ، وبين العظم واللحم تغايرٌ لصلابة العظم ولين اللحم ، فجعلت الغضاريف والأعصاب واسطة جامعة بين اللين والصلابة [4] ، ليصل إلى العظام [5] حَظُّها من الغذاء ، ويصل بواسطة الغضاريف والأعصاب إلى العظام ، فهكذا سنة اللّٰه جارية [6] جعل جبريل واسطة ، يُمِدّه الحق بوجهه الذي يلي عالم [القرب ، ويُمِدُّ الأنبياء بوجهه الذي يلي عالم [7]] الحكمة ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ [أ] ﴾ . ومن الأمثال التي تقرِّبُ إلى الفهم وحي جبريل إلى رسول اللّٰه ﷺ وتصوّره [8] له في صورة بشر تارة ، وفي [9] صورة دِحْية الكلبيّ تارة [10] ، وأخرى [11] في صورة غيره ، وقد روي أن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما دخل على رسول اللّٰه ﷺ ورأى [12] [عنده رجلًا ، فدخل [13] العباس فما رأى [14]] أحدًا فقال : يا رسول اللّٰه ! ذكَر ولدي أنّهُ رأى عندك رجُلًا ولم أرهُ أنا ، فقال : ذاك [15] جبريل عليه السلام . والحديث مشهور في مجيء جبريل على صورة رجل سائل عن الإسلام والإيمان

---

(1) نسخة 2 : ويطلق له ، نسخة 3 : فيطلق به ، نسخة 4 : فيطلق لسانين .
(2) نسخة 4 : وكلمة .
(3) نسخة 4 : الرسالة .
(4) نسخة 3 : « والصلابة » ساقط .
(5) نسخة 3 : الغضاريف .
(6) نسخة 3 : « جارية » ساقط .
(7) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(8) نسخة 3 : « له » ساقط .
(9) نسخة 3 ، 4 : الواو ساقطة .
(10) نسخة 3 ، 4 : « تارة » ساقط .
(11) نسخة 2 ، 3 ، 4 : وتارة .
(12) نسخة 3 ، 4 : فرأى .
(13) نسخة 2 ، 3 : ودخل .
(14) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(15) نسخة 3 : ذلك .

(أ) سورة الأنعام ، آية 9 .

والإحسان (أ) . ومما ألهم اللّه تعالى الآدمي أنه يأخذ الطير المُسمى بببغاء يُعالج تعليمه حتى يصدُرَ منه شبه كلام الآدميين ، فيأخذ مرآة (1) ، ويقعد خلف المرآة ، والببغاء (2) ينظر إلى المرآة فيرى صورته فيها ، ويظن أن الكلام الذي من وراء المرآة من صورته التي انعكست في المرآة منه (3) مثل كلام الآدميين . فاللّه تعالى كان يبعث جبريل عليه السلام ويتصور له بواسطة (4) صورة بشر (5) ، فيلقي الوحي الذي أمره اللّه تعالى به أن يوحي به (6) ، [ويسمع كلام اللّه (7)] ، كما قال تعالى (8) : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (ب) ﴾ . فيحظى رسول اللّه ﷺ بلذاذة الوحي وتغشى (9) قلبه بُرَحاؤُه (جـ) ، ويتقاضى(10) (د) قلبه المستمعين إليه ليودع خزائن قلوبهم جواهر أسرار ما ورد(11) عليه ، فتتحرك (12) قلوب أرباب الاستعداد بنزوع الحنين إلى سماع مقاله الذي هو محتوٍ على لطيف شريف حاله ، فتطالع بصيرة رسول اللّه ﷺ القلوب المُقبلة إليه (13) القابلة لدعوته والجاحدة له (هـ) ، على ما بلغنا بالإجازة الشريفة عن علي بن عساكر قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن [مهرة الحدّاد قال : أخبرنا

---

(1) نسخة 2 ، 4 : المرآة .

(2) نسخة 3 : فيرى الطوطي ينظر ، نسخة 4 : فيرى والطوطي ينظر .

(3) نسخة 3 : منه فيظهر منه .

(4) نسخة 1 ، 2 ، 3 : برابطة .

(5) نسخة 3 ، 4 : بشر مثله .

(6) نسخة 1 ، 3 ، 4 : « به » ساقطة .

(7) نسخة 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : اللّه تعالى .

(9) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ويغشى .

(10) نسخة 1 : ويتقاضا .

(11) نسخة 4 : ما قدر .

(12) نسخة 1 ، 3 ، 4 : فيتحرك .

(13) نسخة 2 ، 3 ، 4 : عليه .

(أ) نص الحديث : « عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ بارزًا يومًا فأتاه رجلٌ فقال : ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن باللّه وملائكته وبلقائه ورسوله وتؤمن بالبعث ، قال : ما الإسلام ؟ قال : الإسلام أن تعبد اللّه ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان . قال : ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد اللّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ... ثم أدبر فقال : ردّوه ، فلم يروا شيئًا فقال : هذا جبريل جاء يُعلِّمُ الناس دينهم » . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب 37 ، جـ 1 ، ص 18 .

(ب) سورة الشعراء ، الآيات 193 - 195 .

(جـ) بُرَحاؤُه : شدته وقد يكون توهجه ، انظر مختار الصحاح – مادة (برح) ص 46 .

(د) يتقاضى قلبه : أي كان قلبه المليء بنور الوحي سببًا لإسعاد المستمعين له ومنبعًا تستمد منه قلوبهم أسرار الهداية والاستقامة ، وقد جاء هذا المعنى من كلمة « قيض » كقولنا : قيض اللّه فلانًا لفلان : جاءه به وأتاحه له ، وقيض اللّه له قرينًا : هيأه وسبّبه من حيث لا يحتسب . انظر لسان العرب (مادة قيض) جـ 7 ، ص 225 .

(هـ) وبصيرة الرسول تطلع على القلوب القابلة لدعوته والقلوب الجاحدة والمنكرة والبعيد عنها .

الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني قال : حدثنا أبو جعفر [1]] أحمد بن جعفر ابن معبد قال : حدثنا أحمد بن عمر البزاز قال : حدثنا محمد بن المُثنى قال : حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد قال : حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد قال : سمعت مجاهدًا يُحدّث عن ابن عمر رضي الله عنهما [2] قال : « خرج رسول الله ﷺ ذات يوم كأنه قابض على شيئين ، قد ضَمّ كفيه حتى انتهى إلى أصحابه ففتح يمينه فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الرحمن الرحيم ، فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وأسماء عشائرهم ، مجمل على آخرهم ، لا يزادُ فيهم ولا ينقص منهم ، ثم فتح يساره فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الرحمن الرحيم فيه أسماء أهل النار بأسمائهم [3] وأسماء آبائهم وأسماء عشائرهم مجملٌ عليهم [4] ، لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم » [أ] . فأهل الجنة أتباعه وأتباع الأنبياء قبل بعثته ، وأهل النار هم الخارجون من دائرة دعوته .

أدرك الصديقون من هذه الأمة سرَّ [5] ما أخبر الرسول بقبضه على يديه بإشارته إلى أهل الجنة والنار . فأين هذا العلم الموهوب من خزائن الجود الأزلي من علم متولد من الفكر الرَّدي ؟ [6] . فطوبى لأهل السُنة والجماعة المنقادين له بالسمع والطاعة والساعين إليه بِقَدَم التباعة [7] . وقد بلغنا بالإجازة الشريفة عن [8] أبي إسماعيل عبد الله الأنصاري قال : أخبرنا الحسين بن محمد بن علي قال : أخبرنا [محمد [9] بن عبد الله قال : أخبرنا أحمد ابن بجدة قال : حدثنا سعيد بن منصور قال : حدثنا خالد عن حصين عن مُرّة الهمداني أن أبا قُرّة الكندي أتى ابن مسعود بكتاب فقال : إني قرأت هذا بالشام فأعجبني ، فإذا هو كتابٌ من كتب أهل الكتاب ، فقال عبد الله : إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتُب

---

(1) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « رضي الله عنهما » ساقط .
(3) نسخة 3 : وأسمائهم نسخة 4 : « بأسمائهم » ساقط .
(4) نسخة 3 : مجمل على آخرهم .
(5) نسخة 4 : « سرَّ » ساقط .
(6) نسخة 3 : « الرَّدي » ساقط .
(7) نسخة 1 : اتباعه .
(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : إلى .
(9) نسخة 4 : بها سقط بلغ ورقتين 17 + 18 من قوله [محمد بن عبد الله قال : أخبرنا أحمد بن نجدة إلى آخر الباب الأول وبداية الباب الثاني إلى قوله : « ... وحيث لم أسجد لم لعنني وأخرجني من الجنة ... »] .

(أ) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ، جـ 2 ، ص 167 ، أيضًا الترمذي في سننه – جـ 4 – ص 449 ، أيضًا الخطيب البغدادي – تاريخ بغداد – دار الكتاب العربي – جـ 11 – ص 110 .

وتركهم كتاب اللّه فدعا [1] [بطست وماء فوضعه فيه وأماثه [2] بيده حتى رأيت سواد المداد [3] (أ)] ، قال سيدنا وشيخنا شهاب الدين [4] (ب) : وقد غسلت بتوفيق اللّه كتاب ابن سينا المُترجم (جـ) بالشفاء نحوًا [5] من عشر مجلدات بإذن شريف مقدس نبوي [6] (د) .
وقد بلغنا في بعض الآثار عن بعضهم قال : الكتاب والسنة والإجماع ، أو الزُّنَّارُ والعَسَليُّ والجزيةُ (هـ) . واللّه تعالى ناصر أوليائه والمدمر على أعدائه .

وأوثق عُرى الإيمان أن تحب في اللّه وتبغض في اللّه ، وتنصر أولياء اللّه ، وتجانب أعداء اللّه ، وعن [7] عبد اللّه بن مسعود قال : دخلت على رسول اللّه ﷺ فقال : « يا ابن مسعود » قلت [8] : لبيك يا رسول اللّه ، قال ذلك ثلاث مرات : « أتدري أي عُرىَ الإيمان أوثق ؟ » قلت : اللّه ورسوله أعلم ، قال : « فإن أوثق عُرى الإيمان الولايةُ في اللّه والحبُّ في اللّه والبغض في اللّه » [9] ، ثم قال لي : « يا ابن مسعود » ، قلت : لبيك يا رسول اللّه قالها ثلاث مرات ، قال : « أتدري [10] أي الناس أفضل ؟ » قلت : اللّه ورسوله أعلم ، قال : « فإن أفضل الناس أفضلهم عملًا إذا فقهوا في دينهم » ثم قال : « يا ابن مسعود » قلت :

---

(1) نسخة 2 : ودعا .
(2) نسخة 2 : وأماثه فيه حتى .
(3) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط وذكر في هامشها كاملًا .
(4) نسخة 2 ، 3 : « قال سيدنا وشيخنا شهاب الدين » ساقط .
(5) نسخة 2 : نحو .
(6) نسخة 3 : بالإذن الشريف المقدس النبوي .
(7) نسخة 3 : « عن » بدون الواو .
(8) نسخة 3 : فقلت .
(9) نسخة 1 : والحب فيه والبغض فيه .
(10) نسخة 1 : « أتدري » ساقط وبهامشها مثبت كما هو بالنص .

(أ) أخرجه الدارمي في سننه – المقدمة (باب 42) – ج 1 ص 101 – 102 .
(ب) هذا قول الناسخ للنسخة الأولى ، ويقصد به شهاب الدين السهروردي صاحب الكتاب . وقد اعتاد الناسخ لهذه النسخة التي اعتمدناها أصلًا لبقية النسخ – أن يذكر بين الحين والآخر – وبخاصة في بداية كل باب – أن يذكر هذه العبارة وما يماثلها وهي : « قال سيدنا محمد وشيخنا شهاب الدين » .
(جـ) المُترجم : المُسمى أو المعنون .
(د) كأن الشيخ السهروردي يستشعر من عمل ابن عباس في كتاب أهل الكتاب بالإذن والرخصة لمحو كتاب ابن سينا بغسله ، وهذه الرخصة تكون لابن عباس من متابعته لرسول اللّه ﷺ ومعرفته لما يرضيه وما يغضبه ، فكانت الرخصة للشيخ شهاب الدين السهروردي من إذن شريف مقدس نبوي بطريق غير مباشر .
(هـ) يشير إلى عدم الوسطية في هذا الأمر ، فإما أن يكون مُسلمًا متبعًا للكتاب والسنة والإجماع فقط دون الاعتماد على الفلسفة وعلومها . وإما أن يكون من أهل الذمة سواء كانوا نصارى يلبسون الزُّنّار وهو لباس يشدونه على وسطهم ، أو يهود ويقال لهم عَسليُّ أي من قبيلة بني عسل ، تؤخذ منهم ومن النصارى الجزية وهي عبارة عن مال يعقد الكتابي عليه الذمة وهي فعلة من الجزاء كأنها جزت عن قتله . انظر في ذلك : لسان العرب (مادة زنر) جـ 4 – ص 330 ، أيضًا (مادة عسل) جـ 11 ، ص 447 ، (ومادة جزي) جـ 14 ، ص 146 .

لبيك يا رسول اللّٰه قالها ثلاث مرات : « أتدري أي الناس أعلم ؟ » قلت : اللّٰه ورسوله أعلم ، قال : « فإن أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناسُ ، وإن كان يقْصرُ عن[1] العمل » [أ] .

---

(1) نسخة 2 : في .

(أ) الطبراني – المعجم الكبير – تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، طبعة وزارة الأوقاف بالعراق ، 1400 هـ – 1980 م ، جـ 10 ، ص 211 – 212 ، ص 271 – 272 . وقال الهيثمي في الزوائد : رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير بكير ابن معروف وثقه أحمد وغيره . انظر مجمع الزوائد ، جـ 7 ، ص 260 – 261 .

الباب الثاني

في منشأ البدع والضلالات ، واختلاف الأنحاء والمقالات

قال اللّه تعالى : ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ (أ) ﴾ . قال الشيخ رضي اللّه عنه (1) : للمنشأ والمبدأ تأثير في النفوس الإنسانية (ب) (2) ، واللّه تعالى لما رَكَّبَ صورة آدم ، وخَمَّرَ طينته أربعين صباحًا من القبضة التي أخِذَتْ من جميع أجزاء الأرض ، من أبيضها وأسودها وأحمرها (3) (جـ) ، بعث جبريل لذلك فاستعاذت باللّه الأرض (4) ، فعاد ولم يقبض ، فبعث إسرافيل ليأخذ تلك القبضة فاستعاذت الأرض (5) باللّه فعاد ولم يقبض ، فبعث عزرائيل فاستعاذت الأرض (6) باللّه ، فقال عزرائيل : وأنا أعوذ باللّه أن أخالفَ له أمرًا ، فقبض القبضة (د) . وكانت (7) الأرض قد (8) وطئها قَدَمُ إبليس ، وكان بعض الأرض موضع (9) قدمه ، وبعضها لم

---

(1) نسخة 2 ، 3 : « قال الشيخ رضي اللّه عنه » ساقط .

(2) نسخة 3 : « الإنسانية » ساقط .

(3) نسخة 2 ، 3 : أبيضه وأسوده وأحمره .

(4) نسخة 2 ، 3 : الأرض باللّه .

(5) نسخة 1 : « الأرض » ساقط .

(6) نسخة 1 : « الأرض » ساقط . بهامشها مثبت كما هو بالنص .

(7) نسخة 2 ، 4 : وكان .

(8) نسخة 3 : « قد » ساقطة .

(9) نسخة 3 : موطئ .

(أ) سورة الأعراف ، آية 58 .

(ب) في هذه الآية الكريمة يضرب اللّه تعالى مثلًا للقلوب الطيبة والقلوب الخبيثة بتربة الأرض الطيبة وتربة الأرض الخبيثة ، فكلاهما القلب والتربة منبت الزرع ومنشأه . فالمنشأ والأصل الطيب لا ينشأ عنه إلا طيب . والمنشأ والأصل الخبيث لا ينشأ عنه إلا خبيث وهذا ما يحاول السهروردي اتهام الفلاسفة به ، انظر في تفسير الآية 58 من سورة الأعراف : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، طبعة دار الشروق ، القاهرة ، جـ 8 ، ص 1300 .

(جـ) أخرج الترمذي وأبو داود في سننهما حديثًا عن الرسول ﷺ يقول فيه « إن اللّه تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض . فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك ، والسهل والحَزْن ، والخبيث والطيب » قال الترمذي : « وهذا حديث حسن صحيح » سنن الترمذي – كتاب تفسير القرآن – باب 2 – ج 4 – ص 204 ، وسنن أبي داود – كتاب السنة (باب في القدر) – ج 5 – 67 . وروى الحديث البيهقي ، ثم روى بعده خبرًا عن سلمان (رضي اللّه عنه) قال : « إن اللّه تبارك وتعالى خمر طينة آدم عليه السلام أربعين يومًا – أو أربعين ليلة – ... » قال البيهقي : هذا موقوف ... ومعلوم أن سلمان كان قد أخذ أمثال هذا من أهل الكتاب حتى أسلم بعد ، وروي ذلك من وجه آخر ضعيف ... انظر كتاب الأسماء والصفات – المركز الإسلامي للكتاب – ص 327 – 328 .

(د) انظر البيهقي – الأسماء والصفات – المركز الإسلامي للكتاب – ص 362 .

يُصبها قدمه ، وكانت [1] القبضةُ محتويةً على الأجزاء التي وطئها قدمُ إبليس ، فمن الطينة [2] التي لم يُصبها قدمُ إبليس كان أصلُ الأنبياء ، ومَحتدُ منشأهم ، وهي طينة [3] منزوعة الفساد ، مطبوعة على موجبات الإحماد [أ] ، ومن الأجزاء التي وطئها قدم إبليس : منشأ أرباب البدع والضلالات والآراء المضلات ، مطبوعة على الفساد ، مجبولة على العناد ، فلما كان المبدأ فاسدًا [كانت النتيجة فاسدة [4]] ، فأولُ من تحرك فيه عرقُ البدعة والجدال ، ونبع من معين جبلته مياه [5] الضلال إبليس ، فقال للملائكة في معرض الجدال مستبدًا برأيه راكنًا إلى قياسه عاملًا به [6] مع وجود النص ، معرضًا [7] عن امتثال أمر اللّٰه بالسجود لآدم ، فَثَوَّرَ [ب] استبداده برأيه بدعًا وشبهًا في بني آدم فتفرقت تلك الشبه [8] في أرباب الهوى ، المنتحلين للبدع [9] السالكين مناهج الأنحاء .

قيل [10] : مكتوبٌ في التوراة [أن إبليس ناظر الملائكة [11]] ، فقال [12] : لست أنكر أن اللّٰه تعالى واحد سميع عليم حكيم قادر مطاع [13] في السموات والأرضين ، شملت حكمته الكائنات ، وكنفت [14] مشيئته المُبدعات ، ولكن عندي شُبَهٌ مترسخةٌ فيَّ أريد حلَّ إشكالها ، قالت الملائكة : ما هي ؟ قال : إن اللّٰه تعالى قبل خلقي عَلِمَ ما يصدر مني ، فلمَ خلقني ؟ وحيث خلقني فلم كلفني معرفته وطاعته ؟ وما حكمته في تكليف طاعته مع استغنائه عن طاعة المطيعين ، ونزاهته عن ضَرَر معصية العاصين ؟ وحيث كلفني وعرفته وأطعته [15] ممتثلًا لأمره ، مقبلًا عليه بعبادته ، مجتهدًا في استنفاد جُهدي في ذلك ، فلمَ كلفني السجود لآدم ؟ وحيث لم أسجد لم لعنني وأخرجني من الجنة ؟

---

(1) نسخة 3 : فكانت .
(2) نسخة 1 : الطيبة .
(3) نسخة 2 ، 3 : « وهي طينة » ساقطة .
(4) نسخة 1 : بدله « حصل المنشأ فاسدًا » . وبهامشها مثبت كما هو بالنص .
(5) نسخة 1 ، 3 : أمواه .
(6) نسخة 2 ، 3 : عاملًا بالقياس .
(7) نسخة 2 ، 3 : وإعراضًا .
(8) نسخة 2 : 3 : تفرقت تلك الشبهة .
(9) نسخة 2 ، 3 : « للبدع » ساقطة .
(10) نسخة 2 ، 3 : « قيل » ساقطة .
(11) نسخة 2 ، 3 ، هامش نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط وبدله « بإخبار من اللّٰه مناظرته مع الملائكة » .
(12) نسخة 2 ، 3 : فقال للملائكة .
(13) نسخة 2 ، 3 : الواحد العليم الحكيم القادر المطاع .
(14) نسخة 2 : واكتنفت .
(15) نسخة 1 ، 3 وأطعته وعرفته .

(أ) الإحماد : كثرة الحمد وهو نقيض الذم ، انظر لسان العرب (مادة حمد) جـ 3 ، ص 158 .
(ب) فَثَوَّرَ : فهيج أو أخرج أو نبع أو أظهر – انظر لسان العرب (مادة ثور) جـ 4 ، ص 108 – 109 .

ولم آت بقبيح سوى أنني عظمتهُ وعظمتُ جلاله وكبرتُ شأنه أن أسجُدَ لغيره ! وحيث عَلِمَ مني ما كان وما يكون فلم أدخلني الجنة ثانيًا ؟ حتى سولت لآدم ما سوّلت [1] ، وحيث جرى مني مع آدم ما جرى ؟ فما ذنب ذريته ، حتى أسلّط عليهم فأراهم من حيث [2] لا يرونني [أ] ، وأكدِّر عليهم مشارب الإيمان ، وأوردهم موارد الطغيان [ب] .

فهذه الشبه التي [3] نشأت من إبليس هي [4] محتد الضلالات والأباطيل والجهالات ، بعضها أكثف من بعض [وبعضها أسهل من بعض [5]] ، ثم أذكى [6] [جـ] جذوة اقتُبست من قبس [7] نفس إبليس جذوةُ الدهرية والفلاسفة ، للمناسبة الحاصلة [8] بين إبليس المخلوق من النار [9] وبين هؤلاء الضلال المنفردين بالنسبة [10] النارية المخمرة في أصل خلقة آدم من صلصال كالفخار ، من دخول النار في الفخار الذي هو من [11] مبادئ تكوين الإنسان [د] ؛ إذ لمبادئ التكوين من الصلصال والسلالة من الطين والحمأ المسنون والتراب والطين لقوله تعالى : ﴿ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ [12] [هـ] ، لها تأثيرات

(1) نسخة 3 : « ما سولت » ساقط .

(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : حتى أراهم .

(3) نسخة 2 : الشبهة نشأت .

(4) نسخة 2 : في .

(5) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط . بهامشها مثبت كما هو بالأصل ، نسخة 3 : كلمة « أسحق » بدلًا من كلمة « أسهل » . نسخة 4 : « وبعضها » ساقط .

(6) نسخة 2 ، 4 : فأذكى نسخة 3 : وأذكى .

(7) نسخة 1 ، 3 : « قبس » ساقط .

(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : بمناسبة حصلت .

(9) نسخة 2 ، 3 ، 4 : نار .

(10) نسخة 2 ، 3 ، 4 : بنسبة .

(11) نسخة 3 : « من » ساقطة .

(12) نسخة 1 : الآية ساقطة .

(أ) مصداقا لقوله تعالى : ﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾ سورة الأعراف ، آية 27 .

(ب) ذكر الشهرستاني تلك الشبه في المقدمة الثالثة من كتابه الملل والنحل ، والتي خصها ببيان (أول شبهة وقعت في الخليقة) وذكر أن تلك الشبهات كانت مسجلة ومكتوبة في شرح الأناجيل الأربعة إنجيل لوقا ومارقوس ويوحنا ومتى ، وأيضًا مذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرات بين إبليس وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع عنه . انظر الملل والنحل . تحقيق أمير علي وعلي حسن ، دار المعرفة بيروت ، الطبعة الثانية 1992 م ، جـ 1 ، ص 23 وما بعدها .

(جـ) أذكى : أكثر اشتعالاً .

(د) همزة الوصل الجامعة بين إبليس والفلاسفة هي « النار » ، فإبليس خلقه المباشر من النار ، والإنسان خلق من التراب أو الطين الذي دخلته النار بطريق غير مباشر . هذا ما يفهم معناه من نص الشيخ السهروردي . ولكن الآية الكريمة تذكر أن الإنسان خُلق من صلصال شبيه بالفخار ، والصلصال كما يقول المفسرون هو الطين اليابس الذي لم يطبخ (أي لم يُعرض على النار) ولكنه من شدة يبسه تسمع له صلصلة حينما يُحرك ومثله في ذلك كمثل الفخار الذي طبخ بالنار ؛ لذا فقياس السهروردي : الفلاسفة على إبليس قياس غير دقيق لاختلاف مادة الخلق في الإنسان عن إبليس . انظر الطبري في تفسيره للآيتين 14 ، 15 من سورة الرحمن ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ، وخلق الجان من مارج من نار ﴾ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 1992 م ، جـ 11 ، ص 580 .

(هـ) سورة ص ، آية 71 .

مقسمةٌ على بني آدم ، فنسبة [1] البعض إلى البعض ؛ لزيادة مناسبة فيمن [2] تظهر [3] فيه ، وما عدا ذلك من البدع والضلالات مقسم على أرباب الملل والانتحالات .

وقد بلغنا بالإجازة الشريفة عن أبي الحسن عليّ بن عساكر قال : أخبرنا أبو الوقت عبدُ الأول بن عيسى السجزي ، قال : أخبرنا الشيخ أبو إسماعيل بن عبد الله بن محمد الأنصاري ، قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن منصور ، قال : أخبرنا منصور بن العباس ، قال : أخبرنا الحسين بن سفين ، قال : حدثنا محمد بن الصباح [4] ، قال : حدثنا كثير [5] بن مروان الفلسطيني عن عبد الله بن يزيد [6] الدمشقي قال : حدثنا أبو الدرداء وأبو أمامة وأنسُ بن مالك وواثلة بن الأسقع (رضي الله عنهم) [7] قالوا : خرج إلينا [8] رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في شيء من أمر الدين ، فغضب غضبًا شديدًا لم يغضب مثله ، قال : ثم انتهرنا فقال : « يا أمة محمد لا تُهيِّجوا على أنفسكم وهج النار » ثم قال : « أبهذا [9] أمرتكم ؟ أوليس عن هذا نهيتكم ؟ إنما هلك من كان قبلكم بهذا » ثم قال : « ذروا المراء ؛ لقلة خيره ، ذروا المراء ؛ فإن [10] نفعه قليل ويهيج العداوة بين الإخوان ، [ذروا المراء ؛ فإن المراء لا تؤمن فتنته ، وذروا المراء [11]] ؛ فإن المراء يورث الشك ويحبط العمل ، وذروا المراء ؛ فإن المؤمن لا يُماري ، وذروا المراء ؛ فكفى بك إثمًا أن لا تزال مماريًا ، وذروا المراء ؛ فإن المماري لا أشفع له يوم القيامة ، ذروا المراء ؛ فأنا زعيمٌ بثلاثة أبيات في الجنة : في وسطها ؛ ورَبَضِها [12] [أ] ، وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق ، وذروا المراء ؛ فإنه أول ما نهاني الله عنه بعد عبادة [13] الأوثان وشرب الخمر ، ذروا المراء ؛ فإن الشيطان قد يئس من أن يُعبد ولكن رضي بالتحريش وهو المراء في الدين ، ذروا المراء ؛ فإن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة [والنصارى

---

(1) نسخة 1 : فبنسبة .

(2) نسخة 3 : فمن .

(3) نسخة 2 : يظهر .

(4) نسخة 4 : الصياح .

(5) نسخة 3 : كبير .

(6) نسخة 2 ، 3 : زيد .

(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « رضي الله عنهم » ساقط .

(8) نسخة 3 : « إلينا » ساقطة .

(9) نسخة 2 ، 3 ، 4 : بهذا .

(10) نسخة 3 : إن .

(11) نسخة 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(12) نسخة 1 : وربطها . وبهامشها : ورياضها .

(13) نسخة 4 : عبادته .

(أ) ربضها : رياضها .

على[1] ثنتين [2] وسبعين فرقة [3]] ، وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقةً كلهم على الضلالة إلا السواد الأعظم » قالوا : يا رسول اللّه وما السواد الأعظم ؟ قال : من كان على ما أنا عليه وأصحابي ، من لم يمار في دين اللّه ، ولم يُكفر أحدًا من أهل التوحيد بذنب ، ثم قال : إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا [4] فطوبى للغرباء ، قالوا : يا رسول اللّه ومن الغرباء؟ قال : الذين يصلحون إذا فَسِدَ الناس ، ولا يمارون في دين اللّه ، ولا يُكفرون أحدًا من أهل التوحيد بذنب [أ] » ، [وبالإجازة الشريفة عن ابن العوام إجازة حدثنا أبو الوقت ، حدثنا الأنصاري ، حدثنا يعقوب ، حدثنا محمد بن أحمد بن الأزهري الحسين بن إدريس ، حدثنا الحسن بن الضحاك ، حدثنا خلف بن خليفة الأسجعي [5] عن وائل بن داود عن بكير [6]] عن زيد بن رفيع قال : بعث اللّه نوحًا صلوات اللّه عليه [7] وشرع له الدين ، وكان [8] الناس في شريعة نوح عليه السلام ، فما أطفأها إلا الزندقة ، ثم بعث اللّه موسى عليه السلام وشرع له الدين ، فكان [9] الناس في شريعته فما أطفأها إلا الزندقة ، ثم بعث اللّه [10] عيسى عليه

(1) نسخة 2 ، 3 : افترقوا على .

(2) نسخة 2 : اثني .

(3) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(4) نسخة 2 : « وسيعود غريبًا » ساقط .

(5) نسخة 4 : الأسجحي .

(6) نسخة 2 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « صلوات اللّه عليه » ساقط .

(8) نسخة 2 : فكان .

(9) نسخة 3 ، 4 : وكان .

(10) نسخة 1 ، 4 : لفظ الجلالة « اللّه » ساقط .

(أ) رواه الطبراني في المعجم الكبير ، جـ 8 ، ص 178 – 179 . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ 1 ، ص 156 : فيه كثير بن مروان وهو ضعيف جدًا ، وكذلك في جـ 7 ، ص 259 . وانظر أيضًا الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني ، كشف الخفاء ومزيل الإلباس مؤسسة الرسالة ، سوريا ، الطبعة الثالثة 1983 م جـ 1 ، ص 501 .

وأخرج الترمذي في سننه جزءًا من هذا الحديث برواية أبي هريرة « قال : خرج علينا رسول اللّه ﷺ ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان ، فقال : أبهذا أمرتم ؟ أم بهذا أرسلت إليكم ؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر.. (ويقصد به القدر) . جـ 4 . كتاب القدر ، رقم 2133 .

وجزءًا آخر من هذا الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه جـ 2 . كتاب الفتن ، ص 1322 ، باب 17 ، رقم 3992 برواية عوف بن مالك قال : « قال رسول اللّه ﷺ : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار ، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة . فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة ، والذي نفس محمد بيده ! لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار ، قيل : يا رسول اللّه من هم ؟ قال : الجماعة » وذكر هذا الجزء في الحديث بلفظ آخر الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ، جـ 2 ، ص 332 ، جـ 3 ، ص 145 .

السلام[1] ، وشرع له الدين فكان [2] الناس في [3] شريعته ، فما أطفأها إلا الزندقة ، فإذا زيد بن رُفيع لا يخاف على الدين إلا الزندقة [وبالإجازة الشريفة حدثنا الأنصاري ، حدثنا الحسن بن يحيى ، حدثنا عبد الرحمن بن أحمد ، حدثنا سعيد بن محمد ، حدثنا يوسف بن محمد ، حدثنا عبد الرحمن بن معن ، حدثنا محمد بن إسحاق عن عبد الواحد بن عوف عن سعيد بن إبراهيم ، حدثنا أبي عن القاسم [4]] عن عائشة (رضي اللَّه عنها) قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : « من أحدث في أمرنا ما ليس منه [5] فهو رَدٌّ [أ] » وبالإجازة الشريفة عن أبي الحسن علي بن عساكر عن أبي الوقت عبد الأول ، قال : أخبرنا أبو إسماعيل الأنصاري قال : أخبرنا أبو يعقوب قال : أخبرنا العباس بن أبي الفضل قال : حدثنا يحيى بن أحمد بن زياد قال : حدثنا [أحمد بن سعيد بن صخر ، حدثنا أحمد بن سلمان ، حدثنا حجاج بن محمد ، أخبرنيْ ابن لهيعة عن السكن [6]] أحمد بن أبي كريمة عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس (رضي اللَّه عنهما) قال : إذا كانت خمس وثلاثون ومائة سنة خرج شياطين من البحر ، كان سليمان صلوات اللَّه عليه [7] حبسها في أشعار الناس وأبشارهم ، يُحدِّثون الناس ليفتنوهم فاحذروهم .

وبالإسناد الشريف إلى أبي يعقوب قال : أخبرنا العباس [8] قال : أخبرنا يحيى قال : حدثنا أحمد بن سعيد قال : حدثنا أحمد بن سليمان عن محمد بن كثير عن ليث عن طاووس قال : إن مَرَدة الشياطين مغلولون [9] في جزائر البحور ، فإذا كان ثلاثٌ وثلاثون ومائة سنة أطلقوا في صور الإنس [10] وأشعارهم وأبشارهم فجادلوا الناس بالقرآن . وبالإسناد [الشريف إلى الأنصار ، حدثنا يعقوب ، حدثنا العباس ، حدثنا يحيى ، حدثنا أحمد بن سعيد ، حدثنا أحمد بن سليمان ، حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز عن سوّار عن

---

(1) نسخة 4 : « عليه السلام » ساقط.

(2) نسخة 3 ، 4 : وكان .

(3) نسخة 3 ، 4 : على .

(4) نسخة 1 ، 2 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : فيه .

(6) نسخة 1 ، 2 : ما بين المعقوفتين ساقط . وبهامش نسخة (1) مثبت كما هو بالنص .

(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « صلوات اللَّه عليه » ساقط .

(8) نسخة 3 ، 4 : أبو العباس بن الفضل .

(9) نسخة 3 ، 4 : مغللون .

(10) نسخة 1 : الإنسان . بهامشها مثبت كما هو بالنص .

(أ) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، جـ 6 ، ص 73 ، ص 180 .

ابن [1]] طاووس عن أبيه قال : إذا مضت سنة ثلاث وثلاثون ومائة ظهرت [2] شياطين من جزائر البحور ، فتهيأوا بهيئة العلماء ، فلا تأخذوا العلم إلا ممن تعرفون [أ] . وعن منصور بن المعتمر قال : ما هلك دينٌ قط حتى يخلف فيهم المنانية ، قلت للحجّاج : ما المنانية ؟ قال : الزنادقة . وبالإجازة الشريفة عن أبي بكر عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر قال : أخبرنا أبو زرعة بإسناده إلى ابن ماجه القزويني قال : حدثنا أبو بكر محمد بن العلاء قال : حدثنا عبد اللّه بن إدريس وعبدةُ وأبو معاوية وعبد اللّه بن نمير ومحمد بن بشر [3] ، قالوا : حدثنا سُوَيد بن سعيد قال : حدثنا علي بن مِسهر ومالك بن أنس [4] وجعفر [5] بن ميسرة وشعيب بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص : « أن رسول اللّه ﷺ قال : إن اللّه عز وجل لا يقبضُ العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالًا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا [ب] » . وبالإجازة الشريفة إلى ابن ماجه قال : أخبرنا سُوَيدُ بن سعيد وأحمد بن ثابت الجحدري قالا : حدثنا عبد الوهاب الثقفي [6] عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد اللّه (رضي اللّه [7] عنه) قال : كان رسول اللّه ﷺ إذا خطب احمرّت عيناه ، وعلا صوته واشتد غضبه ؛ كأنه منذرُ جيش ، يقول : « صبّحكُم مَسّاكُمْ ، ويقول : بُعثت أنا والساعة كهاتين ، ويقرن [8] بين أصبعيه السبابة والوسطى ، ويقول : أما بعد فإن خير الأمور كتابُ اللّه ، وخير الهَدي

---

(1) نسْخة 2 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(2) 3 ، 4 : « ظهرت » ساقطة .

(3) نسخة 4 : بشير .

(4) نسخة 2 : إدريس .

(5) نسخة 2 : وحفص .

(6) نسخة 4 : « الثقفي » ساقط .

(7) نسخة 2 ، 3 : « رضي اللّه عنه » ساقط .

(8) نسخة 1 ، 2 : ويفرق .

(أ) هذان الخبران لم أجدهما بنصهما ، ووجدت جزءًا منهما في خبر آخر برواية أخرى لأبي سعيد الخدري قال : « إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة خرجت شياطين كان حبسهم سليمان في البحر فتذهب تسعة أعشارهم إلى العراق يجادلونهم بالقرآن ، وعشر بالشام » أورده الذهبي في ميزان الاعتدال في نقد الرجال (في ترجمة صباح بن مجالد) وكأنه حكم عليه بالوضع بقوله : « المتهم بوضعه صباح هذا » انظر جـ 2 ، ص 305 ، طبعة دار المعرفة ، بيروت .

ورواه ابن الجوزي في الموضوعات (كتاب الملاحم والفتن باب ما يكون في سنة خمس وثلاثين ومائة) جـ 3 ، ص 194 . وقال : قال الدارقطني : تفرد به الصباح عن عطية ، وتفرد به بقية عنه ، قال ابن عدي : الصباح ليس بمعروف وهو من مشايخ بقية الذين لا يروي عنهم غيره ، وكان يروي عن الضعفاء والمجاهيل ، وأما عطية فقد ضعفه الكل .

(ب) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام بالسنة ، جـ 8 ، ص 148 وأيضًا الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ، جـ 2 ، ص 203 .

هديُ محمد ، وشر الأمور مُحدثاتها وكل [محدثة بدعة وكل [1]] بدعة ضلالة [أ] » . وعن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث أخافهن على أمتي بعدي [2] : الضلالة بعد المعرفة ، وابتغاء [3] الرياسة ، ومُضلات الفتن ، وشهوة البطن والفرج [4] » [ب] . وعن علي رضي الله عنه [5] ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لا أخاف على أمتي مؤمنًا ولا مُشركًا ، فإن كان مؤمنًا منعه إيمانه ، وإن كان مُشركًا منعهُ شركه ، ولكنني أخاف عليها منافقًا عليم اللسان ، يقول ما تعرفون ، ويعمل ما تُنكرون [جـ] » .

قال الشيخ [6] : وحيث عظمت فتنة الضلال ، وآل الأمر إلى أن يُسمى الحق سبحانه وتعالى [7] جوهرًا ، أوتارة علة [8] [د] تعين الاستنصار بأهل الملل من أصحاب الكتاب ، فضلًا عن [9] أرباب الأهواء من أهل ملة الإسلام ، حتى تتفق [10] كلمتهم وتتناصر أقوالهم ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ ... الآية [11] [هـ] ، ونبرُزُ [12] [و] إلى أهل الفلسفة والدهرية [13] بسلاح الاحتجاج بل بالسيف والسنان ؛ لأن أرباب الأهواء تجمعهم [14] دائرة الإسلام ، وأهل الكتاب يقولون

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(2) نسخة 3 ، 4 : من بعدي .
(3) نسخة 3 ، 4 : الواو ساقطة من « وابتغاء » .
(4) نسخة 1 : والفروج .
(5) نسخة 2 : كرم الله وجهه .
(6) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « قال الشيخ » ساقط .
(7) نسخة 2 : « سبحانه وتعالى » ساقط .
(8) نسخة 3 ، 4 : جوهرًا وعلة نسخة 2 : جوهرًا أو علة .
(9) نسخة 1 : من .
(10) نسخة 1 ، 3 : يتفق .
(11) نسخ 2 ، 3 ، 4 : الآية ساقطة .
(12) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ويبرز .
(13) نسخة 2 ، 3 ، 4 : والدهريين .
(14) نسخة 1 ، 3 : يجمعهم .

(أ) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، جـ 1 ، ص 592 وكذلك الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ، جـ 4 ، ص 126 .

(ب) علاء الدين علي تقي الدين الهندي ، كنز العمال ، جـ 16 ، ص 45 . وعزاه إلى الديلمي ، كتاب فردوس الأخبار المخرج على كتاب الشهاب ، وقيل فيه : روى الحكيم الترمذي والبغوي وابن منده وابن قانع وابن شاهين وأبو نعيم عن أفلح مولى رسول الله ﷺ بنحوه ، وقال المناوي : وسنده ضعيف بفيض القدير جـ 1 ، ص 202 – 203 .

(جـ) رواه الطبراني في المعجم الصغير ، جـ 2 ، ص 93 ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ، جـ 1 ص 187 : رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه الحارث الأعور وهو ضعيف جدًا .

(د) يشير إلى وصف الفلاسفة لله تعالى بالجوهر أو بالعلة الأولى أو علة العلل .

(هـ) سورة آل عمران : آية 64 .

(و) ويَبْرُز : أي يُظهر ويُخرج إليهم . لسان العرب (مادة برز) جـ 5 ، ص 310 .

بالجنة والنار والأمور الأخروية ، وأصول الأنبياء متفقة ، وآراء الكُلِّ في الإخبار عن عوالم [1] الغيوب [2] متحدة ، وأهل الكتاب لم يتعدوا عن الطريق [3] المستقيم إلا بإنكارهم نبوة نبينا محمد صلوات اللّه عليه ، فإذًا يَصلحون في هذا المقام للاستنصار ، وتعين [4] الاتفاق على هؤلاء الضلال بالقتل والاغتيال ، وحسم مادتهم بالاستئصال ، كما قيل :

إن اللبيب إذا ألمّ بجسمه مرضان مختلفان داوى الأخطرا

[قال شيخنا شيخ الإسلام شهاب الدين [5] :] فالخطر العظيم الذي نخشى [6] غائلته مَن نعتقد [7] أنه عالمٌ من علماء الإسلام ، وفقيه من فقهاء الدين ، ثم يُلقِّن [8] الناس حجج قدم العالم وإنكار حشر الأجساد ، وأن اللّه غير عالم بالجزئيات [أ] ، فمن كان بهذه المثابة يجب [9] مجانبته والتحذير منه ، حتى لا يُفسد على مجالسيه الدين ويحطهم في دركات السجين [10] . بلغنا [11] بالإجازة الشريفة عن أبي الحسن علي بن عساكر عن أبي الوقت عبد الأول عن أبي إسماعيل الأنصاري قال : أخبرنا لقمان بن أحمد البخاري قال : أخبرنا معمر بن أحمد الأصفهاني قال : أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني [12] قال : حدثنا بشر بن موسى قال : حدثنا محمد بن سعيد [13] قال : حدثنا أبو بكر بن عيّاش عن الأعمش عن عمرو بن مُرّةَ عن أبي البَختري قال : قال علي بن أبي طالب (رضي اللّه عنه) : « يخرج في آخر الزمان أقوامٌ ، يتكلمون بكلامٍ لا يعرفه أهل الإسلام ، ويدعون [14] الناس إلى كلامهم ، فمن لقيهم فليُقاتلهم ؛ فإن في [15] قتلهم أجرًا عند اللّه [ب] » . وعن سليمان بن يَسارٍ : أن رجلًا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل

---

(1) نسخة 1 : عالم .
(2) نسخة 3 : الغيب .
(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الجدد .
(4) نسخة 2 ، 3 : ويتعين .
(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(6) نسخة 2 : تخشى نسخة 4 : يُخشى .
(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : يعتقد .
(8) نسخة 3 : ويلقن .
(9) نسخة 2 ، 4 : تجب .
(10) نسخة 2 ، 4 : سجين .
(11) نسخة 2 : بلغت نسخة 3 ، 4 : كما بلغنا .
(12) نسخة 3 ، 4 : الطيراني .
(13) نسخة 2 : سعيد الأنصاري نسخة 3 ، 4 : سعيد الأصفهاني .
(14) نسخة 3 : ويدعو من .
(15) نسخة 1 ، 2 ، 4 : فإن قتلهم أجرٌ .

(أ) يقصد بهم فلاسفة الإسلام وخاصة ابن سيناء والفارابي . وهذه المسائل الثلاث التي ذكرها هي المسائل التي كفر بها الإمام الغزالي الفلاسفة .
(ب) رواه الإمام احمد في مسنده جـ 1 ، ص 81 .

يسأل عن متشابه القرآن ، فأرسل إليه عمر ، وقد أعدّ له عراجين [أ] النخل ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا عبد اللّه صبيغ ، فأخذ عرجونًا فضربه ، وقال : أنا عبد اللّه عُمَرُ ، فجلده [1] ضربًا حتى دمى رأسه ، فقال : يا أمير المؤمنين حسبك فقد ذهب الذي كنت أجده في رأسي . وروى أبو عثمان النهدي قال : كتب إلينا عمر وقال : لا تجالسوا صبيغًا ، فلو جاء ونحن مائة لتفرقنا عنه [ب] . فالحذر الحذر [2] من مجالسة [3] الزنادقة القائلين بقدم العالم وعلّة العلل ، فمجالستهم داء عسيرُ الدواء ، وداؤهم من أعظم الأدواء ، واللّه يطهر بلاد الإسلام من [4] هؤلاء الكفرة الطغام .

---

(1) نسخة 3 : فجعل يضربه .

(2) نسخة 4 : « الحذر » ساقط .

(3) نسخة 3 : مجالس .

(4) نسخة 3 ، 4 : عن .

(أ) عراجين : جمع عرجون وهو أصل العذق الذي يَعْوَجّ ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسًا . انظر مختار الصحاح (مادة عرجن) ص 422 .

(ب) رواه الدارمي في سننه ، جـ 1 ، (المقدمة باب 19) ، ص 51 ، وذكر رواية أخرى جاء في آخرها : « ... وكتب – أي عمر – إلى أبي موسى الأشعري : أن لا يجالسه أحد من المسلمين ، فاشتد ذلك على الرجل فكتب أبو موسى إلى عمر : أن قد حسنت توبته ، فكتب عمر : أن يأذن للناس بمجالسته » . نفس المصدر ونفس الصفحة .

الباب الثالث

في الانتصار للدين وإيضاح طريق المتقين وإدحاض [1] حجج المبطلين

قال اللّه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ [أ] .

أمر اللّه أهلَ الإيمان بالانتصار للّه ، واستنهضَ الفطر الكاملةَ والأوضاعَ المُستعدّةَ للخير ليذبُّوا عن الدين . والانتصارُ للدين ينقسم على أهل اللسان والسنان [2] ، [وأهل البيان [3]] القادرين [4] على الإتيان بالحجة والبُرهان . وقد يكون الانتصار لدفع [5] أهل البدع والأهواء التاركين [6] [للنصوص والراكنين إلى الأقيسة والآراء [7]] ، وقد يكون الانتصار لقمع من تعدّى حريم الإسلام ومال إلى أباطيل التخيل والأوهام ، وذلك من أهم الانتصار وأولاه ، وحيث ضاقت عرْصةُ الزمان [8] عن الانتصار لدفع جميع [9] ذلك تعين الإخلاد [ب] إلى الانتصار ؛ لقمع الكفرة الفجار الطغام [10] ، ثم إن من أهل الضلال من تبوأ دارًا واستقر قرارًا ، وأعلن [11] بالمعاندة والجحود ورَد الأحكام والحدود : فإما منتحل [12] ملة غير مِلة الإسلام كأهل الكتابين [جـ] ، وإما غير ذلك كالمجوس

---

(1) نسخة 2 : ودحض .
(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : السنان واللسان .
(3) نسخة 2 : ما بين المعقوفتين ساقط ، ولكنه ذكر في هامشها .
(4) نسخة 1 ، 2 : والقادرين .
(5) نسخة 2 ، 4 : « أهل » ساقطة .
(6) نسخة 2 ، 4 : والتاركين .
(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين هكذا (للنص والآخذين بالقياس والرأي) .
(8) نسخة 1 : الأيام .
(9) نسخة 1 : الانتصار لجميع الأقسام . وبهامشها مثبت كما هو بالنص .
(10) نسخة 2 ، 3 : الطغام الفجار .
(11) نسخة 3 : وأعان .
(12) نسخة 2 : فأما من انتحل .

(أ) سورة الصف ، آية 14 .
(ب) الإخلاد : مأخوذ من الخلد وهو : البقاء والإقامة . فمثلًا يقال : خلد إلى الأرض وأخلد فيها ، أي أقام فيها . وفي العبارة كأنه أراد أن يقول : تعين الميل والركون والسكون إلى بذل الجهد ومحاولة الانتصار على المخالفين للشريعة والذين سماهم كفرة فجار . انظر لسان العرب ، مادة (خلد) جـ 3 ، ص 164 .
(جـ) أهل الكتابين : اليهود وكتابهم التوراة ، والنصارى وكتابهم الإنجيل .

وعبدة الأصنام ، وحيث [1] ارتفعت أعلام العناد في بعض البلاد انتدب لقمعهم أرباب السيف والسنان ، من ملوك الإسلام وجيوش الملة وحموْ [أ] أهل الثغور من [2] عادية الكفار ، فتارة بالمقاتلة وتارة بالمهادنة . وإنما الطامة الكبرى والفتنة العظمى ، قوم أبطنوا الكفر واستغشوا جلابيب الملة ، وأظهروا أنهم من الأمة ، وامتزجوا بأهل الإسلام ، ودرسوا علوم الفلاسفة والدهرية ، وادعوا الحذق واستزلوا بواطن بعض طلاب العلم بادعاء أن ما يشيرون [3] إليه هو لباب العلم والحكمة ، فأفسدوا قلوبًا ساكنة مستقرة في دعة الفطرة ، أزعجوها [4] عن استقرارها ، وأوردوها غمرات أوزارها ، واستجنوا [ب] بمَجن الإسلام ، ورشقوا بنبال الوبال [جـ] وقصدوا الدين بنضال المحال [د] ، فهم جيلَ الشيطان وقبيله ، المشاركون [5] له في الإغواء والاختفاء ، كما قال اللّٰه تعالى ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [هـ] . ولعل علومهم تُدرَس [6] في مواطن علم الشريعة ، ويتظاهر بها [7] في أندية العلم ومحافل المناظرات ، ويتباهون على الأمثال والأقران بظفرهم بشيء من تلك العلوم .

والمشار إليه ممن ينسب إلى الإسلام : ابن سينا وأبو نصر الفارابي اللذان اختارا مذهب أرسطاطاليس [و] ، وعقدا عليه الخناصر [ز] ورجحوا مسلكه على غيره من الفلاسفة ، واستحسنوا مخالفته لأستاذه أفلاطون ، لما قال : أفلاطون صديق والحق صديق ، والحق أولى بالصداقة . وإنكاره على أستاذه مصيره إلى القول بحدث

---

(1) نسخة 3 : وحيف . (2) نسخة 4 : عن . (3) نسخة 4 : ما يشرون .
(4) نسخة 3 ، 4 : وأزعجوها . (5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : مشاركون .
(6) نسخة 1 : يُدرس . (7) نسخة 4 : « بها » ساقطة .

(أ) وحمو : معناها الحماة المدافعين عن الثغور .

(ب) واستجنوا : استتروا . أي ادعوا الإسلام واستتروا خلف اسمه .

(جـ) الوبال : الفساد وهو مشتق من الوبيل بمعنى : الشدة والثقل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وأخذناه أخذًا وبيلًا ﴾ أي شديدًا . انظر ص 720 لسان العرب – جـ 11 (مادة وبل) .

(د) المحال : المكيدة والحيلة والتدبير في الأمر . انظر لسان العرب ص 618 – جـ 11 (مادة محل) .

(هـ) سورة الأعراف – الآية 27 .

(و) السهروردي حصر أكثر الفلاسفة تأثرًا بأرسطو في ابن سينا والفارابي ، وكان في حكمه هذا متأثرًا بالإمام الغزالي ، حيث يقول : « وأقومهم بالنقل والتحقيق من المتفلسفة في الإسلام الفارابي أبو نصر وابن سينا ، فنقتصر على إبطال ما اختاراه ورأياه الصحيح من مذهب رؤسائهما في الضلال ... » تهافت الفلاسفة – تحقيق د. سليمان دنيا – دار المعارف بمصر – ط 6 – ص 77 – 78 .

(ز) الخناصر : جمع خنصر وهي الإصبع الصّغرى ، وقيل : الوسطى . والمعنى : أن الفارابي وابن سينا اعتمدا على أرسطو اعتمادًا كليًا ، حتى كأنه تشابكت أصابعهما من شدة تكاتفهما على الأخذ بمذهب المعلم الأول .

العالم(أ) ، وزعموا أن المُشار إليه (ب) استمخض وطاب [1] (جـ) العلم والحكمة واستخرج زبدته ، واستعصر خُلاصته وتمت [2] حجته ، واتضحت [3] محجته ، وغفلوا عن هجومه على النار وتعرضه لأقبح العار ، وهجومه على حريم تغاشت (د) الأبصار عن استلماع بروقه (هـ) ، وتحير خِرّيتَ (و) العقل في طرق [4] (ز) طروقه ، وتجرأ بوقاحته وجهله على التعرض لماهية [5] المُكوِّن ، والأنبياء صلوات الله عليهم مع ما باشرهم من الأنوار ، وطرَقَهمُ من وفود الأملاك ، ونزل عليهم جبريل عليه السلام بالوحي المُنَزل ، وقرروا الشرائع ، وعرفوا المضار والمنافع ، وأرشدوا بالهدي الرشيد ، وبشروا وأنذروا بالوعد والوعيد ، ونوروا أقاليم القلوب بشمس [6] العرفان [7] ، حتى أخذوا بضبع (ح) أتباعهم إلى حدود الكشف والعيان مع ذلك لما انتهى الأمرُ إلى فص [8] ختام العرفان بالإحاطة بكنه الجلال والإنباء عن عظيم الكمال ، طَبع على خزائن قلوبهم بطابع ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ (ط) فارتقى هذا الضال [9] وأتباعه بسلاليم المركبات والبسائط

---

(1) نسخة 4 : استمحض أو طاب بهامشها : معناها حضرات العلم .

(2) نسخة 1 : ونمت نسخة 3 : وظهرت .

(3) نسخة 4 : وانصحت .

(4) نسخة 3 : طريق .

(5) نسخة 1 ، 3 ، 4 : بماهية .

(6) نسخة 2 ، 3 ، 4 : بشموس .

(7) نسخة 4 : العلماء .

(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : فض .

(9) نسخة 1 : الضلال وبهامشها : الضال .

(أ) من المعلوم أن أرسطو يقول بقدم العالم ؛ ولذلك فقد أبطل مذهب أستاذه أفلاطون بحدوثه . والفارابي وابن سينا تبنيا مذهب أرسطو ، وأبانا عن المستحيلات المترتبة على القول بحدوث العالم ، من تجدد إرادة الله تعالى أو قدرته أو غرضه أو طبيعته ؛ ولذلك فالعالم صدر عن الله بطريق الفيض والتعقل كما يدعيان .

(ب) المقصود به أرسطو .

(جـ) استمخض : يحرك السقاء ويهزه هزًا ليخرج زبدة اللبن – لسان العرب جـ 7 – ص 230 والوطاب هو : الزق الذي يكون فيه السمن واللبن .. لسان العرب – جـ 1 – ص 798 .

(د) تغاشت : مأخوذ من الغشاء وهو الغطاء الذي لا يترك سبيلًا للرؤية .

(هـ) بروقه : جمع برق وهو الضوء الشديد الذي يظهر في السماء فجأة ، ويقصد به هنا معنى صوفيًا : وهو أول ما يبدأ للعبد من اللوامع النورية فيدعوه إلى الدخول في حضرة القرب من الله . انظر كتاب التعريفات للجرجاني – ص 47 .

(و) خريت : مأخوذ من الخرت وهو الثقب في الأذن والإبرة . وهنا معناها الدليل الحاذق بالدلالة ، كأنه ينظر في خرت الإبرة من شدة ذكائه وحذقه ، انظر لسان العرب – (مادة خرت) جـ 2 – ص 29 .

(ز) طرق : الدق ، وسمي الآتي بالليل طارقًا ؛ لحاجته إلى دق الباب . والمعنى هنا بعجز العقل عن الإتيان والسير في مسالك الغيب وطرقه . انظر لسان العرب – جـ 10 – ص 217 .

(ح) الضبع : العضد ، وكأنهم يأخذون بضبعهم ؛ أي يشدوا على عضدهم فيقووهم . انظر لسان العرب (مادة ضبع) – ج 8 ص 216 .

(ط) سورة الأنعام – آية 91 .

مستنفذًا جهده ، حتى انتهى إلى ما زعم أنه علة العلل ، وما يدري الجاهل أن ما سمَّاه علة العلل بسيط من البسائط (أ) باصطلاحه ، وهو أول صيد وقع في شبكة تكوين عالم الشهادة ، ويكون (1) خلقًا من خلق اللّٰه ، والاعتداد بعلة العلل كالاعتداد باللات والهُبل (ب) . فعاد عقله عليلًا وبصره كليلًا ، ولم يهتد (2) إلى كَنه الكبرياء سبيلًا ، فاحتوت عليه خنادس (3) (جـ) الضلال ولعبت به أمراض الاعتلال ، ولم يصبه حظ النور الوارد من أنوار الآزال (4) . وقد بلغنا بالإجازة الشريفة إلى أبي الحسن علي بن عساكر البطائحي (5) قال : أخبرنا أبو طالب عبد القادر بن محمد بن يوسف قال : أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الأزجي قال : أخبرنا عبد اللّٰه (6) بن محمد بن سليمان الدقاق المخرمي قال : حدثنا جعفر بن محمد الفريابي قال : حدثنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي قال : حدثنا أيوب بن سويد قال : حدثنا أبو زرعة يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عبد اللّٰه بن الديلمي عن عبد اللّٰه بن عمر (رضي اللّٰه عنهما) (7) قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « إن اللّٰه عز وجل خلق خلقه في ظلمة ، ثم رش عليهم من نوره ، فمن أصابه ذلك النور (8) اهتدى ، ومن أخطأه ضل . فلذلك (9) أقول جَفَّ القلم بما علم اللّٰه (د) » وقال اللّٰه تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ (هـ) ومما اعتُدَّ به من باطل احتجاجه ، ورَشَحَ من أفكاره صريح اعوجاجه بقوله (10) : لا يوجد

(1) نسخة 3 : وتكون .

(2) نسخة 2 ، 3 ، 1 : ينتهج بهامش نسخة (1) مثبت كما هو بالنص .

(3) نسخة 2 ، 4 : جناديس .

(4) نسخة 4 : الأزل .

(5) نسخة 4 : البطلحي .

(6) نسخة 1 : عبيد اللّٰه .

(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « رضي اللّٰه عنهما » ساقط .

(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « ذلك النور » ساقط .

(9) نسخة 3 : فكذلك .

(10) نسخة 3 ، 4 : قوله .

(أ) البساطة في الشيء معناها عدم التركيب ، وعلة العلل الذي فاض عن اللّٰه تعالى حين تعقل ذاته (على مذهب الفلاسفة) ، ما هو إلا مخلوق من مخلوقات اللّٰه حتى وإن كان واحدًا بسيطًا بمصطلحهم .

(ب) والإيمان بعلة العلل لايقل في الشرك باللّٰه من الإيمان بأصنام الجاهلية كاللات والهبل .

(جـ) لم أجد لهذه اللفظة معنى في المعاجم اللغوية ... إلا أن الناسخ ذكر معناها في هامش نسخة (1) بقوله : الخندس هو الليل .

(د) أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث حسن . انظر سنن الترمذي في موسوعة السنة – جـ 5 – ص 26 . وأيضًا أخرجه الإمام أحمد بن حنبل – جـ 2 – ص 176 .

(هـ) سورة النور – آية 40 .

من الواحد إلا واحد (أ) ، وقد [1] لفَّ هذا السيل [2] المغرقُ من قبيله مَن لفَّ ، وليس العجبَ إلا من قوم يُنسبون إلى العلم من أهل الإسلام ، سطروا [3] هذا المعنى في مصنفاتهم وشيدوه ، وظهر من قولهم أنهم اهتزوا [4] بهذا القول وتشربوه ، وما يكون ذلك إلا لجهلهم باللّٰه الخالق القادر ، الذي كُلَّ يوم هو في شأن من الإحداث والإبداع ، ومن إبداعه ما سمّوه علة (ب) العلل ، وكم في عوالم قدرته [5] مثل تلك [6] المُبدعات ، وإنما هو على تقدير ما فهموه أنه مَبدأ المركبات والبسائط - هو مفتتح [7] عالم من عوالمه ، وعلة لواحد هو معلوله الأول ، والمتوسط بينه [8] وبين بقية البسائط ، فأين هو من الواحد الأحد القديم الذي غرقت في بحار قدرته [9] مراكب كثيرة من علة الأعلال ؟ . [وانتهاء الاعتلال للعلم لمن [10]] يسلك هذا المسلك ، ويطلع هذا الاطلاع ممن أسهم من [11] ذلك النور ، الذي رش بيد العناية الأزلية ، ومن بقي [12] في مهواة أن لا يوجد من الواحد إلا واحد هو في مطمورة مظلمة سُدت [13] عليه منافذ النور ، وهو يستروح إلى أباطيل الغرور والزور ، ويسلك مسلك المجوس (جـ) في قولهم : أن الخير من يزدان ، والشرَّ من أهرمَنْ ، فيضيفون التكثر في الشر [14] إلى أهرَمنْ كما يضيف الفلسفي التكثر

(1) نسخة 3 : فقد .
(2) نسخة 4 : السائل .
(3) نسخة 4 : نظروا .
(4) نسخة 4 : اهتروا .
(5) نسخة 1 : قَدْرِه بهامشها : قدرته .
(6) نسخة 3 ، 4 : ذلك من .
(7) نسخة 3 : وهو مفتتح نسخة 4 : وهو مفتح .
(8) نسخة 3 : ما بينه .
(9) نسخة 1 : قدمه .
(10) نسخة 2 : وانتهى العلم بمن ، نسخة 3 ، 4 : وانتهاء العلم .
(11) نسخة 3 : عن .
(12) نسخة 3 : فهو في .
(13) نسخة 4 : شدت .
(14) نسخة 3 : « الشر » ساقط .

(أ) هذا المبدأ الفلسفي تأثر به فلاسفة الإسلام وهو فكرة تتحدث عن علاقة اللّٰه تعالى بالعالم . فقالوا : لا يصدر من الواحد (اللّٰه تعالى) إلا واحد (العقل الأول أو الوجود الثاني) وذلك تنزيها لله تعالى لكي لا تصدر عنه الكثرة مباشرة ، بل هو مبدؤها ، ومن تعقله لذاته يفيض عنه العقل الأول الذي يصدر عنه ما يسمى بالعقول العشرة والعقل العاشر يسمى العقل الفعال (وهو في الدين روح القدس) يصل العالم العلوي بالسفلي ومنه تنتج الكثرة ؛ ولذلك فوحدانية اللّٰه تعالى لا تشوبها شائبة حيث إن الكثرة لا تصدر عنها مباشرة .

(ب) علة العلل : المقصود به العقل الأول .

(جـ) يشبه الفلاسفة في قولهم : « لا يوجد من الواحد إلا واحد » بالمجوس الذين يقولون باثنينية الإله : أحدهم للخير والآخر للشر . وأن إله الشر نتج عن إله الخير ، وبذلك يكون التكثر في الشر مُضافًا إلى إله الخير لكنه لم ينتج عنه مباشرة بل عن طريق واسطة وهي الإله أهرمن .

إلى المعلول الأول ، فيقال للمجوسي : إذا كان الشر تولَّدَ من فكر فاسد ، تفكر يزدان بأن قال : هل يزاحمني في مُلكي أحد ، فتولد من فكره أهرمَنْ ، فيقال : إذن كان الشر[1] كله من يزدان ، [لأنه متولد من فكره [2]] ، فادّعى [3] وجود الواحد من واحد ، فرارًا [4] من التكثر ، [وقد لزمه التكثر [5]] بهذا الطريق ، وصار مصدرُ البسائط من النفس الكلى [6] والعقل ثم العقل والعقل ، إلى أن ينتهي إلى الأجرام الفلكية والعناصر التي هي حشو فلك القمر على ما زعموه ، حتى انبسطت المركبات في الكون من ذلك الأصل [7] الذي نفوا التكثر منه [أ] . وهذه صناعة أحاط بها علمُ هذه الطائفة من اليونانيين وغيرهم – أضلهم اللهُ بها – وهي صنعة حسنة يشهد لها بالحسن [8] إذا أوقفوها في حَدِّها [ب] ، ولم يجعلوها حجابًا بينهم وبين اللّه ، ولم يُشركوا باللّه بوجود عِلَّتِهم التي هي عِلَّتُهم [جـ] ، ثم فرارهم من السبق الزماني ، وإثباتهم السبق الذاتي [د] ، لضيق وعاء عقولهم [9] ، أين هم من الإله الواحد الأزلي الأبدي السرمدي ، الذي تفانت الأمكنةَ والأزمنة في [10] أزليته وأبديته [11] ، والكائنات بأسرها في عالمي [12] الغيب والشهادة بأزمنتها وأمكنتها كخردلة [هـ] وقعت في فضاء إرادته وقدرته ، فيوجدُ

(1) نسخة 4 : « كان الشر » ساقطة .

(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : لأن من فكره تولد الشر .

(3) نسخة 2 : فادعاء .

(4) نسخة 2 : فرار .

(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : والتكثر قد لزم إذا .

(6) نسخة 2 : النفس الكل ، نسخة 3 : نفس الكل .

(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « الأصل » ساقطة .

(8) نسخة 2 : الحسُّ .

(9) نسخة 1 : وجودهم وبهامشها : عقولهم .

(10) نسخة 1 : دون .

(11) نسخة 3 : الأزلية والأبدية .

(12) نسخة 3 ، 4 : عالم .

(أ) يشير إلى ملخص فكرة الفلاسفة عن فيض العالم عن اللّه تعالى . أو صدور الكثرة عن الواحد بطريق غير مباشر .

(ب) قد يختلط الفهم لنص السهروردي ؛ حيث إنه لم يفصل في نصه بين فكرة صدور الواحد عن الواحد وإنكاره لها . وبين ما يحكم للفلاسفة به من صناعة حسنة كما يسميها . ولكن من خلال نصوص أخرى للسهروردي يتبين أنه يقصد بالصنعة الحسنة في هذا النص براعة الفلاسفة في علوم الفلك التي لو لم يتعدوها لكانت فائدتها كبيرة ولذلك قال : « وهي صنعة حسنة يشهد لها بالحسن إذا أوقفوها في حدّها » .

(جـ) يقصد السهروردي بكلمة « علتهم » الأولى : العلة التي ادعاها الفلاسفة للموجود الأول والذي سموه (عقل أول) وهو الواحد الذي يصدر عن الواحد (اللّه تعالى) . أما كلمة « علتهم » الثانية فيقصد بها : أن اعتقادهم بهذه الصورة هو سبب في اعتلالهم ومرض نفوسهم .

(د) يشير إلى محاولة هروب الفلاسفة من القول بالقدم المطلق للعالم والذي قال به أرسطو ، وقولهم أن العالم قديم بالزمان (أي أنه لا أول لوجوده ككل في صورته وحركته وزمانه) ، ولكنه حادث بالذات ؛ أي أنه محتاج في جزئياته إلى موجد يوجده ، وهذا فرق بين قدم العالم وقدم اللّه تعالى (واجب الوجود) حيث إن واجب الوجود بالذات والزمان ، أما العالم فقديم بالزمان حادث بالذات .

(هـ) خردلة : القطعة الصغيرة .

ألفًا ويُعدم ألفًا ، بإرادة سابقة (أ) احتوت (1) على سائر المرادات التي انساقت إلى مواسمها (ب) من غير (2) أن يَحدث (3) في ذاته حادث ، فإذا انهدمت قواعد أرسطاطاليس كما انهدمت قواعد إبليس (4) ، ودحضت (5) حجته وانطمست محجته ، وبطل طريقُ مصيره إلى قدم العالم ، وصار أهل الملل مع اليونانيين القائلين (6)بالاستحالات ، وتقديم بعض الأمهات على البعض ، التي يفضي (7) مصيرهم إلى إثبات أولية (8) الأجسام ، القاضي ذلك باستحالة أجسام لا تتناهى . يكون الكل ألبا (9) (جـ) عليه ، إذ (10) ما كان له أول مسبوق بالعدم يكون له آخر مستند إلى العدم (د) ، فما صاروا إليه أصم أبكمَ أعمى ، لا علم له ولا إرادة ولا قدرة ولا سمع ولا بصر (11) ، كما هم صمٌّ بكم عمي ، والله تعالى المكوّن لعالمي الغيب والشهادة ، ذو الأسماء والصفات حيٌّ قادر مُريد سميع بصيرٌ ليس كمثله شيء ، وإذا (12) تحقق بطلان علة العلل ، وعُلِمَ أنه خلق من خلق الله وبسيط من البسائط ، يبطل دعوى إثبات نفوسٍ لا تتناهى ، واستنادها إلى النفس الكل (13) ، واستقل (14) كل نفس بعلم وإرادة وآثار مختصةٍ به (15) ، ويبطل استنادُ النفوس إلى النفس الكُل (16) ؛ إذ لو كان المستند واحدًا والمصدر واحدًا : تماثلت الصادرات منه ، فلما اختلفت في أجناسها وأنواعها : عُلِمَ بأن لها (17) مَخصصًا مريدًا قادرًا ، جعل كلًّا منها مناطًا للسعادة والشقاوة ، ومعرضا للثواب والعقاب ، على ما

---

(1) نسخة 3 : اخترت .

(2) نسخة 4 : « غير » ساقطة .

(3) نسخة 3 : الحدث .

(4) نسخة 3 : « إبليس » ساقطة .

(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : واندحضت .

(6) نسخة 1 : القاعدين بهامشها : القائلين .

(7) نسخة 3 : تقضي .

(8) نسخة 3 : أزلية .

(9) نسخة 3 : « ألبا » ساقطة .

(10) نسخة 2 : إذا .

(11) نسخة 2 : ولا سمعًا ولا بصرًا .

(12) نسخة 3 : فإذا .

(13) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الكلي .

(14) نسخة 1 : وتستقل . بهامشها : مثبت كما هو بالنص .

(15) نسخة 1 : بها .

(16) نسخة 2 ، 4 : الكلي ، نسخة 3 : نفس الكل .

(17) نسخة 3 : له .

(أ) إرادة سابقة : هي إرادة الله تعالى المطلقة القديمة الأزلية السابقة على كل مخلوق ، والتي لا تتغير ولا تتجدد بتغير وتجدد الحوادث .

(ب) مواسمها : أزمنتها التي قدر الله تعالى وجودها فيها . (جـ) ألبا : يجتمعون عليه ويأتونه من كل جانب .

(د) ينكر على الفلاسفة قولهم : بأجسام لا تتناهى ، بالرغم من قولهم أن العالم حادث بالذات وأن للأجسام أول ... الأمر الذي يفهم منه أنها كانت معدومة ثم وجدت ... والعقل يحكم على أن ما له أول ومسبوق بعدم فلابد أن يكون له نهاية ومصيره إلى العدم .

قضت به [1] المشيئة السابقة [2] ، كما ورد : فرغ ربكم من الخلق والخلق والرزق والأجل [أ] . فإذا إثبات النفس الكُل [3] ، واستنادُ [4] الجزء إلى الكل من النفوس المستقرة في أطوارها إلى النفس [5] الكُل [6] إيهام باطل ، وكلام هائل ليس تحته طائل ، ثم [7] أيها المتعوب [ب] المخذول الذي أفنى الزمان بأفكاره الرَّديَّة ، كن دهريًّا [جـ] واربح هذا التعسف والتعسر ولا تزاحم أهل العلم والمعارف بإيهاماتك الباطلة وتصويراتك المزورة ، وإلا اعترف [8] بالعجز ، واثبت أن للعالم صانعًا ذا الأسماء والصفات ، حيًّا بالحياة التي [9] هي أصل [10] الوجود ، عالمًا بالعلم [11] الذي تثبت به الأشياء ، مُريدًا بالإرادة [12] التي بها إيقاع الفعل ، قادرًا بالقدرة [13] التي توقع [14] الفعل، متكلمًا بالكلام [15] الذي به يوحي ويكتُب بقلم القدرة في صحائف الملك المُرسل ، سميعًا بصيرًا بالسمع والبصر اللذين [16] بهما إدراك [17] المسموع والمرئي ، فهذه هي الصفات التي تدل على إتقان الصنع من الصانع سبحانه ، فعند ذلك تسميه [18] بما سمَّى به نفسه ، وتصفه [19] بما وصف به قدسه ، وبذلك عرفه الأنبياء عليهم السلام . ولا تعاد الأنبياء ولا تخالفهم ، ثم إنك تتحكم [20] بأن الحكمة قسمان : علمي وعملي

---

(1) نسخة 2 ، 3 : « به » ساقط .
(2) نسخة 4 : الأزلية .
(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الكلي .
(4) نسخة 3 : وإسناد .
(5) نسخة 3 : « النفس » ساقط .
(6) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الكلي .
(7) نسخة 2 : « ثم » ساقط .
(8) نسخة 3 : والاعتراف .
(9) نسخة 1 : « التي » ساقط .
(10) نسخة 1 : أول . بهامشها مثبت كما هو بالنص .
(11) نسخة 2 : ثم بالعلم .
(12) نسخة 2 : ثم بالإرادة .
(13) نسخة 2 : ثم القدرة .
(14) نسخة 4 : توقع بها .
(15) نسخة 2 : ثم الكلام .
(16) نسخة 2 : ثم السمع والبصر اللذان .
(17) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الإدراك .
(18) نسخة 2 ، 4 : تسميه .
(19) نسخة 2 ، 4 : ونصفه .
(20) نسخة 2 : وتتحكم .

(أ) الحديث الصحيح في هذا المعنى ما أخرجه البخاري في صحيحه ، ونصه « إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع : برزقه وأجله وشقي أو سعيد ... » (كتاب القدر) – جـ 7 – ص 210 .

(ب) المقصود به ابن سينا .

(جـ) يرى السهروردي أن ابن سينا وغيره من فلاسفة الإسلام لو كانوا دهريين لا يؤمنون إلا بالدهر المحيي والمهلك ولا يؤمنون بخالق خلق العالم وقدر له نهاية – لكانوا أكثر اتساقًا في قولهم بأن العالم قديم وأن الأجسام لا تتناهى ، وأنه ليس لله فعلًا حقيقيًّا في صنعه وخلقه للعالم من العدم . أما أنهم يدعون الإسلام ثم يخالفونه بتصوراتهم الخارجة عنه ؛ فهذا أمر غير مستقيم فيما يرى السهروردي .

فتثبت العلمي لنفسك وجيلك وقبيلك ، والعملي للأنبياء [1] ، وتنفي العلمي عن الأنبياء ولا تقرر لهم غير العملي [2] ، وهذا التحكم للجهل [3] بحال الأنبياء ، وظنه بأنه ظفر بأفكاره الدنسة بظلمة جبلته [4] بالحكمة والعلم ، وجهل أن الأنبياء صلوات اللّٰه عليهم بقسمهم العملي حصل لهم كمال الحكمة ، وطلبتهم الحكمة والعلم ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [5] [أ] وانصبت العلوم إلى استعداداتهم الكاملة انصبابًا [6] ، وانساقت إلى أوضاعهم القدسية ، فكان [7] لهم بكل عمل علم جديد ، وبكل علم عملٌ خاص ، وتناوب العمل والعلم فيهم ، حتى ارتقوا في معارج العمل والعلم إلى ذروة الكمال ، فأشرفوا [8] على عوالم الغيوب ، فأحاطو علمًا [9] بالبسائط والمركبات من عالمي [10] الغيب والشهادة . ثم علمه [11] الذي هو نتيجة فكره الدنس ، لا يزال تشتمل عليه خواطرهُ وأفكاره ، ويحيط به سرادق [ب] من أوهامه المنقطعة المدد حتى يموت فيه كدودة القز التي تبني على نفسها ثم [12] تموت فيه ، فلا يزال [13] ينحط في دركات أفكاره إلى سجين ، وإمدادات [14] علوم الأنبياء صلوات اللّٰه عليهم متصلة من جداول قلوبهم إلى بحر العلم الكلي [15] ، التي [16] تنفد البحار دون نفاده [17] ، كما قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [جـ] ﴾ .

---

(1) نسخة 1 : « والعملي للأنبياء » ساقط . بهامشها مثبت كما هو بالنص .
(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « ولا تقرر لهم غير العملي » ساقط .
(3) نسخة 1 ، 3 : هذا لعمر اللّٰه لجهله .
(4) نسخة 3 ، 4 : جبلية .
(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الآية ساقطة .
(6) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « انصبابًا » ساقطة .
(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : وكان .
(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : أشرفوا .
(9) نسخة 2 ، 4 : « فأحاطوا علمًا » ساقط ، نسخة 3 : فأحاطوا عليها .
(10) نسخة 3 ، 4 : عالم .
(11) نسخة 2 ، 3 ، 4 : وعلمه .
(12) نسخة 2 ، 3 ، 4 : حتى .
(13) نسخة 4 : ولا يزال .
(14) نسخة 2 : وامتداد .
(15) نسخة 3 : العلم الكلي الإلهي ، نسخة 4 : العلوم الكلي الإلهي .
(16) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الذي .
(17) نسخة 1 : نفادها .

(أ) سورة طه – آية 114 .
(ب) سرادق : جمع سردق ، وهو ما أحاط بالبناء ، وفي التنزيل ﴿ أحاط بهم سُرادقُها ﴾ في صفة النار . انظر لسان العرب (مادة سردق) – جـ 10 – ص 157 .
(جـ) سورة لقمان – آية 27 .

الباب الرابع

في تقرير قواعد (1) الوحدانية وهدم قواعد (2) اليونانية

قال اللّه تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ (أ) ﴾ وقال : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ (ب) ﴾ . فنيت (3) أعمار الفلاسفة في الغوص في بحار الأفكار المؤدية إلى معرفة قدرة الحق سبحانه (4) ، في عالم الغيب (5) والشهادة وغرقوا (6) في بحار أفكارهم ، وضلوا عن الاهتداء إلى خالقها ، بل انقطع بهم سيرُ الفكر في منتهى عالم الملك والشهادة – ولم يدخُل إسكندرُ (جـ) نظرهم ظلمات عالم الغيوب ، حتى يظفروا (7) بعين الحياة ، التي من شرب منها لا يموت – ، فماتت أجنة فطرهم ، ولم يرتقوا من عالم الملك والشهادة إلى معرفة (8) عالم الغيب والملكوت (9) ، ومن ها هنا دخل عليهم الداخل ، وزلت بهم القدم ، وجهلوا حال الأنبياء عليهم السلام ، وفاتتهم سعادة متابعتهم ، وحظوا بالخسران المبين ، أفلم يتفكروا في قول اللّه تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ (د) ﴾ ، وقول اللّه تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ (هـ) ﴾ وقوله : ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ (و) ﴾ ، أفلم يقولوا ما هذا الغيب (10) ؟ فلله الذات الأزلي والصفات السرمدية ، ولله ملك السموات والأرض (11) : عالمي الغيب والشهادة بما فيهما (12) من

(1) نسخة 2 : قاعدة .
(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : القواعد .
(3) نسخة 4 : فثبت .
(4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « سبحانه » ساقطة .
(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الملك .
(6) نسخة 2 : وغرقوا الواو ساقطة .
(7) نسخة 1 : يظهروا بهامشها : يظفروا .
(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « معرفة » ساقطة .
(9) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « والملكوت » ساقطة .
(10) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « أفلم يقولوا ما هذا الغيب ؟ » جاء هذا التساؤل بعد الآية الأولى .
(11) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « السموات والأرض » ساقط . (12) نسخة 1 : فيها .

(أ) سورة محمد – آية 19 .
(ب) سورة آل عمران – آية 18 .
(جـ) إسكندر : يقصد به الفلسفة اليونانية . حيث إن مصطلح « الإسكندرانية » يطلق على الحضارة اليونانية التي انتشرت في الإسكندرية بين القرن الثالث قبل الميلاد والقرن الثالث بعد الميلاد . انظر د. جميل صليبا – المعجم الفلسفي – دار الكتاب اللبناني 1982 م – جـ 1 – ص 80 .
(د) سورة البقرة – آية 3 .
(هـ) سورة النحل – آية 77 .
(و) سورة الحشر – آية 22 .

الأفلاك والأملاك [1] والنجوم والبسائط والمركبات ، والعناصر ، ولله [2] الأسماء الحُسنى والصفات العلى ، على ما بلغنا بالإجازة الشريفة عن أبي بكر عبد الرزاق بن عبد القادر قال : أخبرنا أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل المقدسي قال : أخبرنا أبو منصور محمد بن الحسن بن أحمد بن الهيثم المقومي القزويني إجازة إن لم يكن سماعًا ، قال : أخبرنا أبو طلحة القاسم [3] بن أبي المنذر الخطيب ، قال : حدثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطان قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه حدثنا هشام بن عمّار قال : حدثنا عبد الملك [4] بن محمد الصنعاني قال : حدثنا أبو المنذر زُهير بن محمد التميمي قال : حدثنا موسى بن عقبة قال : حدثني عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه [5] : أن رسول الله ﷺ ، قال : « إن لله تسعة وتسعين اسمًا ، مائة إلا واحد ، إنه وتر يُحبُ الوِترَ ، من حفظها دخل الجنة [أ] » . قال الشيخ الإمام [6] : في الآيات إثبات الوحدانية ، وبالخبر [7] إثباتُ الصفات الأزلية ؛ إذ الأسماء دالة على الصفات ، ثم من [8] الصفات ما يُعرف من ضرورة الذات ؛ كالحياة والقدرة والإرادة والعلم والكلام والسمع والبصر . ومنها ما يُطلق باعتبار الخلق ، وظهورها [9] بظهور الخلق ، ووجودها لم يزل [10] كأزلية الذات [ب] ، فتنبهت أرواح الأنبياء عليهم السلام

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « والأفلاك » ساقط .
(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : وله .
(3) نسخة 1 : العُمر بهامشها : القاسم .
(4) نسخة 2 : عبد المولى .
(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « رضي الله عنه » ساقط .
(6) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « قال الشيخ الإمام » ساقط .
(7) نسخة 3 ، 4 : وفي الخبر .
(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : فمن .
(9) نسخة 2 ، 4 : فظهورها .
(10) نسخة 1 : تزل .

(أ) أخرجه البخاري في صحيحه – موسوعة السنة « الكتب الستة وشروحها » جـ 3 – كتاب الدعوات – باب 68 – ص 169 .
(ب) كأن السهروردي في نصه السابق يقسم الصفات إلى صفات ذات كالحياة والقدرة والإرادة والعلم والكلام والسمع والبصر ، وصفات فعل وهي متعلقة بالخلق ولا تظهر إلا حين يفعل الفعل أي حين يُحدث في الخلق ما يشاء من إحياء وإماتة ورزق ومنع وضر ونفع ... وهكذا ، وبالرغم من ذلك فهي موجودة وجودًا أزليًا قديمًا ... مقارنًا لوجود الله تعالى . وهو في ذلك لا يخرج عن مذهب أهل السنة من المتكلمين وبخاصة الماتريدي الذي لا يرى فرقًا بين صفات الفعل وصفات الذات في القدم يقول : « والأصل أن الله تعالى إذا أطلق الوصف له ، وصف بما يوصف من الفعل والعلم ونحوه ، يلزم الوصف به في الأزل ، وإذا ذُكر معه الذي هو تحت وصفه به من المعلوم والمقدور عليه والمراد والمكون يُذكر فيه أوقات تلك الأشياء ؛ لئلا يتوهم قدم تلك الأشياء » التوحيد – تحقيق د . فتح الله خليف – دار الجامعات المصرية – ص 47 . ويذهب – أيضًا – كبار الصوفية إلى هذا المذهب ، فيما يذكر الكلاباذي : « قال الجمهور منهم والأكثرون من القدماء منهم والكبار : إنه لا يجوز أن يحدث لله تعالى صفة لم يستحقها فيما لم يزل ، وإنه لم يستحق اسم الخالق لخلقه الخلق ، ولا لإحداث البرايا استحق اسم البارئ ، ولا بتصوير الصور استحق اسم المصور ، =

وأتباعهم للسبق إلى إثبات الذات ، واستوفت حظها من معرفة اللّٰه بسطوع نور اليقين ، وعقلهم ترجمان الروح ولسانه ، فانطلق العقل في فضاء الكائنات في عالمي الغيب والشهادة ، وتحيزت [أ] المعلومات في لوح العقل لمحاذاة [1] العقل باللوح المحفوظ قال [2] [ب] : أخبرنا شيخنا أبو النجيب السهروردي [3] [جـ] إجازة عن عبد الجبار البيهقي عن الواحدي عن أبي إسحاق الثعلبي قال : أخبرنا ابن فنجويه قال : حدثنا مخلد بن جعفر الباقرحي قال : حدثنا الحسن بن عَلَّوْيَةَ قال : حدثنا إسماعيل بن عيسى قال : حدثنا إسحاق قال : حدثنا مقاتل عن ابن جُرَيج عن مجاهد عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما قال : « إن في صدر اللوح لا إله إلا اللّٰه ، ودينهُ الإسلام ، ومحمد عبده ورسوله ، من آمن باللّٰه تعالى وصدق بوعده واتبع رسولَهُ أدخله الجنة . قال : واللوح [4] لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافتاه الدُّر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور ، وكلامه برٌّ [5] معقود بالعرش . وأصله في حِجْر مَلَك يقال له ما طريون ، محفوظ من الشياطين ، فذلك قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ [د] ﴾ ، [« للّٰه تعالى فيه كل يوم وليلة ثلاث مائة وستون لحظة يحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء [هـ] » ، وعن أنس بن مالك رضي اللّٰه عنه في قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [6]] الذي ذكره [7] اللّٰه تعالى في كتابه في

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : بمحاذاة .
(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « قال » ساقط .
(3) نسخة 3 : السهروردي رحمة اللّٰه عليه .
(4) نسخة 3 : واللوح المحفوظ .
(5) نسخة 2 : « برّ » ساقط .
(6) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط من النص ومثبت بالهامش .
(7) نسخة 2 ، 3 : ذكر .

= ولو كان كذلك لكان ناقصًا فيما لم يزل ، وتم بالخلق تعالى اللّٰه عن ذلك علوًّا كبيرًا » . التعرف لمذهب أهل التصوف - تحقيق د . عبد الحليم محمود - طبعة عيسى الحلبي - القاهرة 1960 م - ص 37 .

(أ) وتحيزت : انساقت المعلومات ومالت إلى الانتقاش في لوح العقل . والمعنى مأخوذ من لفظ : الحَيْز وهو السوق اللين . انظر لسان العرب - جـ 9 - ص 339 .

(ب) المقصود بالقائل هو : الشيخ السهروردي مؤلف الكتاب .

(جـ) هو عم الشيخ السهروردي وشيخه في ذات الوقت . وقد ألبس ابن أخيه عمر بن حفص السهروردي خرقة التصوف . ولد « أبو النجيب السهروردي » عام 470 هـ وتوفي 563 هـ . ولم يذكر أصحاب المعاجم له كُتبًا سوى « آداب المريدين » وهو مؤلف له أهميته في علم التصوف .

(د) سورة البروج - آية 22 .

(هـ) ذكره الشيخ ابن أبي العز في شرحه للعقيدة الطحاوية مختصرًا ، ونسبه أيضًا إلى عبد اللّٰه بن عباس كما نسبه السهروردي إليه أيضًا . وخرجه محمد ناصر الدين الألباني من رواية الطبراني في المعجم الكبير جـ 3 ، ص 165 . قال : وفيه زياد بن عبد اللّٰه وهو =

جبهة إسرافيل عليه السلام (أ) ، وقيل اللوح المحفوظ عن يمين العرش ، فحرمت الفلاسفةُ الاطلاع على عالم الغيوب (1) ، وحرموا الإيمان بالغيب ، وضلت في تيه علة العلل ، واضطربت آراؤها في المعلول الأول ، ولم تثبت (2) الروح المستقل بمعرفة اللّٰه تعالى ، وأثبتت النفس الكلي والعقل الكلي (3) (ب) ، وأخطأت طريق المعرفة لمّاً (4) لم تحظ بمعرفة الروح الذي هو الطريق المَهْيَع (جـ) إلى معرفة اللّٰه ، وتسورت (د) في معارج الكائنات بالعلوم الرياضية والهندسية ، حتى ارتقت إلى العناصر ، ثم إلى الأجرام الفلكية ، ثم إلى البسائط بزعمهم ، وانتهى سير عقولهم إلى إثبات علة العلل ، وجهلوا أن ما أشاروا إليه خلق من خلق اللّٰه تعالى ، وميزوا نفوسهم عن الدهرية بإثبات علة العلل ، فكان ما (5) تجري عليه الدهرية (6) جبنوا (7) عنه ، وأخلدوا إلى إثبات علة العلل ، فكأنهم مخانيث الدهرية منخرطين في سلكٍ واحدٍ ، منتهجين طريق المطرودين الأباعد ، وعميت بصائرهم عن عالم الغيب ، [الذي فيه الجنة والنار « للّٰه تعالى عوالم ، وهذا (8) » العالم (9)] الذي

---

(1) نسخة 1 : الغيب . ومصححة بالهامش : الغيوب .

(2) نسخة 4 : يثبت .

(3) نسخة 2 : « والعقل الكلي » ساقط وبهامشها مثبت بنصه .

(4) نسخة 4 : ما لم .

(5) نسخة 1 : فكأنما وبهامشها مثبت كما هو بالنص ، ولعل الصحيح يكون : « كأن ما تجرأ عليه الدهرية » .

(6) نسخة 2 : الدهرية الأزلية نسخة 3 ، 4 : الدهرية الأولية .

(7) نسخة 3 : وجنبوا .

(8) نسخة 2 ، 3 : ما بين القوسين كالآتي : « عوالم من عوالم اللّٰه تعالى وهذا » .

(9) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

= البكائي عن ليث وهو ابن أبي سليم وكلاهما ضعيف . فالحديث به ضعف . انظر شرح العقيدة الطحاوية – المكتب الإسلامي – بيروت 1391 هـ – ص 263 .

(أ) انظر الإمام الطبري – تفسير الطبري – في تفسيره لآية 22 من سورة البروج – دار الكتب العلمية – ط 1 – بيروت 1992 م – جـ 12 – ص 531 .

(ب) النفس الكلي : هي نفس لجميع الأفلاك ، وترادف في معناها نفس العالم .

والعقل الكلي : هو العقل المطلق الكلي الثابت الغير متغير ... وهو اللّٰه في المفهوم الفلسفي . انظر د. جميل صليبا – المعجم الفلسفي – جـ 2 – ص 88 و ص 489 .

(جـ) المهيع : الواسع ويقال : طريق مَهْيَعٌ : أي واضح واسع بين . انظر لسان العرب (مادة هيع) جـ 8 – ص 378 .

(د) تسورت : مأخوذة من سور : وهو كلُّ مرتفع ، ومنه سور المدينة ، ومعناها هنا كأن الفلاسفة ترتقي وتصعد سلالم البحث في الكائنات ومعرفتها عن طريق العلوم الرياضية والهندسية وغيرها . انظر في معنى « سور » لسان العرب – جـ 4 – ص 388 .

مسحوه [أ] بأفكارهم [1] عالم من عوالم اللّٰه تعالى ، فقلّ حظهم من العلم ونصيبهم من الحكمة [2] ، فأطنبوا وأسهبوا وأرعدوا وأبرقوا ، وأفنوا [3] الأعمار ، واستنفدوا الأفكار ، ولم يحيطوا بسوى عالم الملك والشهادة ، وأرواح الأنبياء عليهم السلام جاست [ب] خلال ديار الغيب ، وسرحت في مسارح الأسماء والصفات ، وأشرقت أراضي قلوبهم [4] بنور عظمة الذات ، فغاب سراج نور البُرهان عند شروق شمس العيان [جـ] ، وتلاشت تماثيل التصوير [5] والتصديق [د] بهبوب رياح [6] التحقيق. كوشفت أرواح الأنبياء صلوات اللّٰه عليهم بعظيم أمر اللّٰه ، وأشهدهم جلاله وكماله [7] ، ورأوا الصفات الأزلية الملازمة للذات [8] الأزلي متعددة ، وكل[9] واحد من الصفات يتقاضى[10] الفعل والكون ، موقوفًا صرفه [هـ] على الانتهاء إلى موسم [و] الفعل في الكون ، مستندًا ذلك الوقوف إلى المشيئة الأزلية ، فغاب عن الفلاسفة جواز تعدد الصفات المتقاضية للفعل ، فانحصروا في مضيق العلة الموجبة للواحد ، ونفروا بالموجب عن الموجد ، واللّٰه الموجد للأفراد والأزواج بالإرادة والقدرة الأزلية من غير حادث في ذاته ، فلم تتقيد [11] بصيرة الأنبياء في مضيق علة العلل ، ونزهوا الصانع المبدع أن يُنزلوه منزلة الأثر والمؤثر [12] ، تعالى اللّٰه عما يقول الظالمون [13] علوًّا كبيرًا . بل اللّٰه تعالى يُفني الأكوان ويعيدها

---

(1) نسخة 1 : « بأفكارهم » ساقط .

(2) نسخة 2 ، 3 : الحكم .

(3) نسخة 3 : « أفنوا » ساقط .

(4) نسخة 1 ، 3 ، 4 : أرض القلوب .

(5) نسخة 1 : التصور بهامشها : التصوير .

(6) نسخة 4 : ديباح .

(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : زيادة « وقدرته » .

(8) نسخة 3 : اللذات .

(9) نسخة 4 : فكل .

(10) نسخة 3 ، 4 : تتقاضى .

(11) نسخة 4 : فلزم بتقيد .

(12) نسخة 3 : « والمؤثر » ساقط .

(13) نسخة 2 ، 3 ، 4 : زيادة « والجاحدون » .

(أ) مسحوه : أزالوه وأذهبوه .

(ب) جاست : ترددت عليها وهي مأخوذة من معنى يجوس : أي يتخلل ، انظر لسان العرب – جـ 6 – ص 43 .

(جـ) يؤمن السهروردي بتفوق دليل البصيرة على البرهان العقلي ، ويمثله بشروق الشمس في مقابل نور السراج .

(د) التصور والتصديق : هي إدراكات عقلية يعتمد عليها في التعريفات والاستدلالات . والتصور كما يراه المناطقة : إدراك بسيط لمعنى واحد مفرد ، أما التصديق فهو إدراك معقد لمعنيين مفردين بينهما علاقة يحكم بأحدهما على الآخر .

(هـ) الصرف : رد الشيء عن وجهه إلى وجه آخر ، وتأتي هذه الكلمة في السياق بمعنى : أن صفة الفعل – للّٰه تعالى – بالرغم من وجودها وأزليتها فهي لا تنصرف إلى فعلها إلا في الزمن المحدد لوقوع الفعل في الكون .

(و) موسم الفعل : معناه الوقت والزمن المقدر له ظهور الفعل فيه .

ويُنشئها ويبيدها[1] ، ويقلب المرادات في ميادين مواسمها بصولجان الإرادة القديمة الأزلية والقدرة [2] الباهرة السرمدية ، فالمرادات والمقدورات هباءٌ منثورٌ ، تتلاعب [3] في أشعة شعاع الإرادة الأزلية والقدرة السرمدية ، فقضية عقل المتفلسف توهم الحدوث في العلة بتعدد الجهات ، فحكم بأن لا يوجد من الواحد إلا واحد فرارًا من التكثر ، فتعثر في أذيال التدبّر وجعل ممكن الوجود ذا طرفين : طرف إلى الوجوب بالواجب وطرف إلى الممكن من المعلول الثاني [أ] ، وحصر الجائزات والممكنات والمستحيلات في حيّز عقله القاصر ، وكم [4] من جائزات ومستحيلات وممكنات مقفلة في عوالم الغيوب ، سقطت مفاتيحُها من يد فكر الفلسفي ، وإنما حرموا الإحاطة بأحكام الغيوب والأمور الأخروية لفقدهم سرّ قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى [ب] ﴾ . وطريق[5] معرفة الروح الذي هو من أمر اللّٰه ، هو الطريقُ المَهْيَع الذي سلكه الأنبياء صلوات اللّٰه عليهم ورزقوا معرفة اللّٰه ذي [6] الأسماء والصفات ، وحكموا بأن الكونين في عالمي [7] الغيب والشهادة بما فيهما من الأجرام والأجسام والأكوان والعلوم والمعارف كخردلة بالنسبة [8] إلى جميع العوالم في جنب عظمة [9] اللّٰه تعالى ، فليستحي الفيلسوف من عقله وقضاياه ، بأنه عَلِمَ شيئًا وما عَلمه عالَمٌ من عوالِمِه ، على ما أنبأنا شيخنا أبو النجيب السهروردي عن عبد الجبار البيهقي عن الواحدي عن أبي إسحاق الثعلبي قال : أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن قال : أخبرنا إسحاق بن سعيد بن الحسن بن سفين [10] عن جدّه عن أبي نصر عن ليث عن مقاتل عن أبي مُعاذ الفضل بن خالد عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم عن الربيع بن أنس عن شهر بن حوْشَب عن أبي بن كعب قال : « العالمون [11] هم الملائكة وهم ثمانية عشر ألف ملك ،

(1) نسخة 4 : ويبدلها .

(2) نسخة 3 « الأزلية والقدرة » ساقط .

(3) نسخة 3 : تتلاعبه .

(4) نسخة 2 : « وكم » الواو ساقطة .

(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : فطريق .

(6) نسخة 2 ، 3 : ذا .

(7) نسخة 3 : من عالم .

(8) نسخة 2 : « بالنسبة » ساقطة .

(9) نسخة 3 : علم .

(10) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « بن سفين » ساقطة .

(11) نسخة 4 : العاملون .

(أ) هو ممكن الوجود : أما (المعلول الأول) فهو الموجود الثاني . وهو الواسطة بين الواحد الأول (واجب الوجود) وبين المخلوقات (ممكنة الوجود) وسماها السهروردي (المعلول الثاني) .

(ب) سورة الحجر – آية 29 .

منهم أربعة آلاف وخمس مائة ملك [بالمشرق « وأربعة آلاف وخمس مائة ملك بالمغرب [1] » ، وأربعة آلاف وخمس مائة ملك بالكنف الثالث [2]] [3] ، وأربعة آلاف وخمس مائة ملك بالكنف الرابع من الدنيا ، مع كل ملك من الأعوان ما لا [4] يعلم عددهم إلا اللّٰه عز وجل [5] ، ومن ورائهم أرض بيضاء كالرخام ، عرضها مسيرة الشمس أربعين يومًا ، طولها لا يعلمه إلا اللّٰه ، مملوءة ملائكة يُقال لهم الروحانيون ، لهم زجلٌ بالتسبيح والتهليل ، لو كُشف عن صوت أحدهم لهلك أهل الأرض من هول صوته » [أ] . فما أحقر عقل من يتصرف بعقله القاصر ، ويقضي به ، ولا يعلم أن ما أدركه عالم من عوالم اللّٰه ، ووراء عالمه ثمانية عشر ألف عالم لم يُدركها [6] ، فسبحان من عجز الخلق عن إدراك كِنه قدرته وحكمته ، فما هذا التحكم منك أيها المُدّعي للعقل فيما أدركت في الزمان اليسير ، وما هذه الهوسات [ب] التي بسطت لها مناشير [جـ] ، وارتقيت من حشو فلك القمر إلى أعلى الأفلاك ، وحَرّفت الكلم عن مواضعه ، وأثبت فلكًا ولم تَرَ ملكًا ، وأثبت معقولًا وهجرت منقولًا ، فأيها [7] الأعور ، ركبت متن العار ، وتركت المنجد واتبعت المغْورَ [د] [8] ، فهلا نظرت بالعينين وأثبت العالمين ، بل هلا اقتنيت [9] المغانم وأدركت العوالم ، فاللّٰه تعالى أظهر الملك لقضية اسمه الظاهر ، وأبطن الغيب لقضية اسمه الباطن ، وأثبت الأول بأزليته والآخر بأبديته ، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن ، فلو كنت [10] أدركت العالمين لجمعت [11] بين الفلك والمُلك ، وأثبت [12] المعقول

---

(1) نسخة 3 : ما بين القوسين ساقط .
(2) نسخة 4 : الثالث من الدنيا .
(3) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط وبهامشها مثبت كما هو بالنص .
(4) نسخة 1 ، 2 : ما لم .
(5) نسخة 1 ، 3 ، 4 : « عز وجل » ساقط .
(6) نسخة 2 : لا يدركها .
(7) نسخة 2 ، 3 : فيأيها .
(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : المقوار .
(9) نسخة 3 ، 4 : هلا اقتنيت .
(10) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « كنت » ساقطة .
(11) نسخة 2 ، 3 ، 4 : جمعت .
(12) نسخة 2 ، 3 ، 4 : وبين .

(أ) لم أقف عليه .
(ب) الهوسات : جمع هَوَس : وهو طرف من الجنون . انظر لسان العرب - (مادة هوس) - جـ 6 - ص 252 .
(جـ) المناشير : جمع منشور بمعنى النشر والإعلان ، والاهتمام بتلك الأمور لدرجة أنك تحاول بثها بجميع الطرق والوسائل
(د) المنجد : مأخوذ من نجد وهو المكان العالي من الأرض والمرتفع والمستوي . وخلافه .
المغوَرَ : هو المكان السافل من الأرض غير المستوي . انظر لسان العرب - جـ 3 - ص 415 (مادة نجد) .

والمنقول ، فالشرع (1) عقلٌ ظاهر [والعقل شرع باطن (أ) ، والفلك ملك ظاهر (2)] والملك فلك باطن ، فالجسماني (3) للفلك والروحاني للملك ، ثم إنك (4) تحكم بأن الفلك له اختيار وفعل ، ولم تدر أن الفعل والاختيار للملك الموكل به ، وصورة الفلك من عالم [الحكمة ، وصورة الملك من عالم (5)] القدرة ، وهكذا (6) الكواكب وما تضيف إليها من التدبير والتأثير هو من الأملاك (7) الموكلين بها ، وهي في (8) ذواتها مواتٌ ، وهيهات أن يكون لك عقل دَرّاك هيهات ، فإذا سمعت صوت الرعد ، وسمعت أن (9) يقال : إنه ملكٌ يسوق السحاب بصوته ، وأنت تحكم بعقلك (10) أنه اصطكاك الأجرام من الحرارة والبرودة ، [فالذي أدركته بعقلك قضية صحيحة لا تنكر ، ولكن حرمت (11)] القضية الأخرى بأنه ملك يسوق السحاب لا تكاد تدرك (12) ؛ ذلك (13) لأنه (14) من أحكام (15) عالم الغيب ، وبك زمانةُ (ب) الجهالة لاسبيل لك إلى سلوك بواديه (جـ) ، وهو ما غاب عنك ولم يدركه (16) فهمك ، فقس (17) على هذا سائر التأثيرات العلوية والأمور الأخروية والزلازل والهدات (د) وغير ذلك ، وما ورد من

(1) نسخة 2 : والشرع .

(2) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط . بهامشها مثبت كما هو بالنص .

(3) نسخة 4 : والجسماني .

(4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : وأنت .

(5) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط . وبهامشها مثبت كما في النص .

(6) نسخة 4 : وهذا .

(7) نسخة 1 : الأفلاك وبهامشها مثبت كما هو في النص .

(8) نسخة 3 ، 4 : « في » ساقط .

(9) نسخة 3 : « أن » ساقط .

(10) نسخة 3 ، 4 : بعقلك تحكم .

(11) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين كالآتي : « وهذه القضية صحيحة التي أدركتها لا تنكر ولكن » .

(12) نسخة 2 ، 3 ، 4 : لا تدرك .

(13) نسخة 4 : « ذلك » ساقط .

(14) نسخة 4 : وكل لأنه .

(15) نسخة 2 ، 3 ، 4 : من حكم .

(16) نسخة 3 ، 4 : يبلغه .

(17) نسخة 2 ، 3 ، 4 : وقس .

(أ) يقول الإمام الغزالي في معرض بيانه لمدى علاقة العقل بالشرع : « اعلم أن العقل لن يهتدي إلا بالشرع ، والشرع لم يتبين إلا بالعقل ، فالعقل كالأس والشرع كالبناء ، ولن يغني أس ما لم يكن بناء ، ولن يثبت بناء مالم يكن أس ... فالشرع عقل من خارج ، والعقل شرع من داخل ، وهما متعاضدان بل متحدان ... ولكونهما متحدين قال الله تعالى : ﴿ نور على نور ﴾ أي نور العقل ونور الشرع ... » معارج القدس – القاهرة 1927 م – ص 59 .

(ب) زمانة : آفة مستديمة .

(جـ) بواديه : مواضعه .

(د) الهدات : جمع هدة : وهي الصوت الشديد يحدث من سقوط شيء عال ، وقيل : هو صوت ما يقع من السماء . انظر لسان العرب – جـ 3 – ص 432 .

الخسوف والكسوف ، فإنه [1] من تخويف اللّٰه تعالى عباده ، وإظهار قدرته ليستدلوا بالقدرة على القادر ، مع ما ثبت بالهندسة [2] ونعترف لك أن خسوف القمر ؛ لكون الأرض تحجب [نور الشمس عن جرمه ، وأن كسوف الشمس يكون لحجاب] [3] بُجرم القمر إياها فأهل [4] الإيمان لا ينكرون ما دَلت عليه البراهين الهندسية ، ولكن الجامدون على العقول العرية عن نور الشريعة الحنيفية [5] ينكرون أحكام الغيب ، وقد بلغنا بالإجازة الشريفة عن عبيد اللّٰه بن علي بن محمد الفراء قال : أخبرنا الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر قراءة عليه قال : أخبرنا أبو الفضل أحمد بن خيرون المعدّل [6] قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن شاذان قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد اللّٰه بن إبراهيم الشافعي قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الأنماطي قال : حدثنا هشام بن عمار قال : حدثنا الحسن ابن يحيى الخُشني قال : حدثني أبو عبد اللّٰه مولى بني أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : إن أول شيء خلقهُ اللّٰه عز وجل القلم ، ثم خلق النون وهو [7] الدواةُ ثم قال له : اكتب [قال : وما أكتبُ ، قال [8] :] اكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة » [أ] ، فذلك قوله تعالى : ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [ب] . ختم [9] على القلم فلم ينطلق [10] إلى يوم القيامة ، وخلق العقل فقال : « وعزتي لأجعلنك فيمن أحببت ولأضعنك [11] فيمن أبغضت » [جـ] . قال الشيخ [12] : ليعلم أن العقل

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : وإنه .
(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : معها ثبت .
(3) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط . بهامشها مثبت كما هو بالنص .
(4) نسخة 4 : وأهل .
(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الشرع .
(6) نسخة 2 ، 4 : العدل .
(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : وهي .
(8) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط . وبهامشها مثبت كما هو بالنص .
(9) نسخة 2 : ثم ختم .
(10) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ينطق .
(11) نسخة 2 : ولأبغضنك .
(12) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « قال الشيخ » ساقط .

(أ) أخرجه أبو داود في سننه – موسوعة السنة – جـ 5 – رقم الحديث 4700 – ص 76 .
(ب) سورة القلم – آية 1 .
(جـ) لقد جمع ابن الجوزي هذا النص من الحديث مع نص الحديث السابق في حديث واحد كالآتي « أول شيء خلقه اللّٰه القلم ، ثم خلق النون وهي الدواة ، ثم قال : اكتب ، قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب ما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة . ثم خلق العقل وقال : وعزتي لأكملنك فيمن أحببت ، ولأبغضنك ممن أبغضت » . كتاب الأذكياء – دار الكتب العلمية – ط 1 – بيروت – 1985 م – ص 11 .

حجةُ اللّه ، يهدي به من يُحب ، ويجعله فيه مكتحلًا بنور الهداية ، ويضعه [1] فيمن يبغضه عريا عن نور الهداية ، لإثبات الحجة ، [إذ لو غاب العقل ما ثبتت الحجة [2]] ، وهو مناط الثواب والعقاب ، فما بالك [3] أيها المسلم الذي وُلِدَ في الإسلام ، تترك متابعة رسول اللّه ﷺ ، والاقتداء بأصحابه الذين دبروا أمر الدنيا والآخرة بعقولهم الرزينة وآرائهم الرضية [4] ، أتظن أنهم اختاروا متابعة رسول اللّه لقصور [5] في العلم ، وأنت بكمال علمك وادعاء فطنتك [6] اتبعت رأي أرسطاطاليس وقبيله وضئيل دليله ، فلو استنبطت من معادن وجودك باستعمال معاول [أ] المتابعة لرسول اللّه ﷺ ، لانفجرت [7] مياه العلوم من صميم قلبك ، وامتدت أشعة بصيرتك إلى عوالم الغيوب ، وشاهدت بعين بصيرتك الجنّة والنار ودار العذاب ودار القرار ، وما ذُقت خِناق [ب] أن لا يصدر من الواحد إلا واحد ، ورأيت كل اسم دليلا يدل [8] على كل صفة مستودع سر علة ومعلول ، وكثرت لديك العلل والمعلولات ، وخلعت [9] عليك خلعُ الأسماء والصفات ، وحظيت من كل اسم بوصف يلائم ضعف بشريتك ، وانعكس في مرآة وجودك [10] جلالُ الأسماء والصفات ، وحسن القوى والكمالات ، وتَخلقت بأخلاق اللّه على ما [11] ورد « تخلقوا بأخلاق اللّه [جـ] » فأيها القاصر غفلت عن سرّ ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ [د] ﴾ جمع في الأمشاج [12] نخب [هـ] السموات

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ويجعله .
(2) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط . وبهامشها مثبت كما هو بالنص .
(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « فما بالك » ساقطة .
(4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الرصينة .
(5) نسخة 4 : بقصور .
(6) نسخة 3 : علمك .
(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : انفجرت .
(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « يدل » ساقط .
(9) نسخة 1 : وجعلت . وبهامشها : وخلعت ، نسخة 2 ، 3 ، 4 : وخلع .
(10) نسخة 2 : بشريتك .
(11) نسخة 3 : عما .
(12) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الإنسان . نسخة 3 : أمشاج .

(أ) التفكير والنظر والبحث في كيفية وجود الإنسان ومبدؤه ، يعد كالكنز والمعادن الثمينة المدفونة في بصيرة الإنسان . ولابد أن يستفيد منها المرء ليصل إلى معرفة الحق ، ولن تتم الفائدة بصورتها المطلوبة إلا بمتابعة الرسول ﷺ ، التي ستكون بمثابة المعاول أو الآلات التي يستخرج بها معرفة نفسه وحقيقة وجوده .
(ب) خناق : معناها : الحبل الذي يخنق به ، وقد يؤدي إلى الهلاك . انظر لسان العرب (مادة خنق) – جـ 10 – ص 92 .
(جـ) أورده المناوي في كتابه الجامع الأزهر في حديث النبي الأنور – جـ 1 – حرف التاء .
(د) سورة الإنسان – آية 2 .
(هـ) نخب : اختار وانتقى وجمع خيار وأحسن ما في السموات .

والأرضين [1] ، وجعل الإنسان المنتصب القامة ، نصفه الأعلى مستودع أسرار السموات ، ونصفه الأسفل مُستودع أسرار الأرضين [2] ، فالإنسان عالم صغير ، والعالم إنسان كبير ، فنخب جميع قوى العالم مجتمعة [3] في الإنسان [ولو اطلعت على علم التشريح ، وارتباط بعض الأعضاء بالبعض ، والتعاضد المركوز فيها ، وأمعنت في البحث وجدت أصول الكائنات وأنموذجات فروعها مجتمعة في الإنسان [4]] ورأيت أن الإنسان برابطة [5] روحانية [6] ، وقوة فطرية [7] مُحتوٍ على روحانيات السموات والأرضين ، ورأيت رُتب الطاعات والمعاصي مقسمة على دركات الأرضين وطبقات السموات ، وعلمت أن [8] من كانت [9] معاصيه من كثافتها لها نسبة إلى الطبقة السّفلى من الأرض ، طاعته [10] لا ترتقي إلا [11] إلى السماء الأولة ، فإن لطُفت المعاصي وصارت في الطبقة السادسة ، ارتقت طاعاته إلى السماء الثانية ، وهكذا على هذا التدريج صعود الطاعات على قدر لطافة المعاصي ، فمن خفت معاصيه حتى صارت في الطبقة الأولى [12] من الأرض ، صعدت طاعاته إلى السماء السابعة ، ومن خيّم في عرصة الحفظ الإلهي كما خيّم الأنبياء عليهم السلام في عرصة العصمة ، صعدت طاعاته إلى محال القُرب ، وحصلت في خزائن القبول ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [أ] فأيها القاصر صليت [ب] النيران واحتقبت [جـ] الخسران ، يا من نشأ في الإسلام ، وتعدى الحدود والأحكام ، يناديك لسانُ الدين ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا [د] ﴾ . مالك ومتابعة ابن سينا ! أفق من سُكر ركونك إلى الفلاسفة ، وتخيلك

(1) نسخة 2 : والأرض .
(2) نسخة 2 : الأرض .
(3) نسخة 2 : العالمين مجتمع .
(4) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط . وبهامشها مثبت كما هو في النص .
(5) نسخة 3 : بواسطة .
(6) نسخة 2 ، 3 : روحانيته .
(7) نسخة 2 : فطرته .
(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : بأن .
(9) نسخة 3 : كان .
(10) نسخة 2 : فطاعاته .
(11) نسخة 4 : « إلا » ساقطة .
(12) نسخة 2 ، 3 : الأولة .

(أ) سورة فاطر – آية 10 .
(ب) صليت : مأخوذ من الصلاء وهو الشواء بالنار . وصليت بمعنى فسدت واحترقت . انظر لسان العرب – جـ 14 – ص 467 .
(جـ) احتقبت : حملت الخسران على ظهرك . وهي مأخوذة من الاحتقاب ، يقال : احتقب : أي شد شيئًا أو حمله خلفه . انظر لسان العرب – جـ 1 – ص 326 .
(د) سورة الشعراء – آية 18 .

الباطل ، ودع عنك الهذيان والفشار (أ) ، وتوقّ لفح [1] النار ، ولا تدع كون العالم سرمديًا وحركات الأفلام سرمدية ، وهذه الجبال الرواسي والبحار الزواخر والأرض بيسطتها ، والسماء برفعتها ، تارة تقول : مبدأ ذلك كله الماء ، وتارة تقول : [2] الهواء ، وتارة تقول : النار ، وتارة تقول : كانت أخلاطًا مفرقة ، تَوَلَّفتْ [3] من اصطكاك الأجرام ، كُل ذلك إثبات أولية الأجسام ، ويحكُم ذلك بانتهائها وآخريتها ، فماله أول له آخر ، ولا [4] تدّع أجسامًا غير متناهية مكانًا ، وحوادث لا أول لها زمانًا ، واقرأ : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ (ب) ﴾ ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ (جـ) ﴾ ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ (د) ﴾ . ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ (هـ) ﴾ . فالهيولي والمادة والصورة والمصادر والموارد والبسائط والمركبات خلق من خلق اللّٰه تعالى موات ، يُلقى [5] في قعر بهموت [6] (و) الفناء ، ويتفرد [7] الحق سبحانه وتعالى [8] القديم الأزلي بالبقاء ، ثم إذا استقر دار القرار ودار العذاب والنار ، « يؤتى بالموت على صورة كبشٍ أملح ويذبح بين الجنة والنار ، وينادي مُنادي الكبرياء : يا أهل الجنة خلود فلا [9] موت [ويا أهل النار خلود فلا [10] موت [11]] » (ز) فأيها [12] المسكين لا تحم حول حمى الهلاك واغتنم الاستدراك ، فلم [13]

(1) نسخة 3 : نفح .

(2) نسخة 3 : « تقول » ساقطة .

(3) نسخة 2 ، 3 : تآلفت ، نسخة 4 : تولدت .

(4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : فلا .

(5) نسخة 2 ، 3 : تلقي .

(6) نسخة 4 : يهموت .

(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : وينفرد .

(8) نسخة 3 : « الحق سبحانه وتعالى » ساقط .

(9 ، 10) نسخة 2 ، 4 : بلا .

(11) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(12) نسخة 2 : فيأيها .

(13) نسخة 2 ، 4 : فكم .

(أ) الهذيان : كلام غير معقول لا صلة بعضه البعض وهو شبيه بكلام المجنون أو المعتوه . الفشار : كلام الغرور .

(ب) سورة القارعة – آية 4 ، 5 .

(جـ) سورة الأنبياء – آية 104 .

(د) سورة التكوير – آية 1 .

(هـ) سورة الانفطار – آية 1 .

(و) بهموت : مأخوذة من المبهم وهو الأمر المستغلق أو من البهم : جمع بُهمة بالضم وهي مشكلات الأمور ، وكأنه أراد القول : إن للفناء مغاليق وسدود . انظر لسان العرب – جـ 12 – ص 56 .

(ز) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب التفسير باب وأنذرهم يوم الحسرة – دار الكتب العلمية – بيروت – جـ 15 – ص 286، ص 287 .

وأخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الجنة (باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) – دار إحياء الكتب العربية ط 1 – 1955 م – جـ 4 – ص 2188 .

أتعبت فكرك ، وسرحت طائر عقلك حتى ارتقى في أوج الإنكار ، وتيامن وتياسر ، وتعنف وتعاسر [1] ، ولم تسترح إلى الأمر الواضح الجليّ ، والنور المُبين الجبلي الفطري [2] .

وقد بلغنا بالإجازة الشريفة عن عبد المنعم بن كُليب إجازة قال : أخبرنا صاعدِ بن سيار الهروي قال : أخبرنا أبو عامر الأزدي قال : أخبرنا عبد الجبار بن محمد الجراحي قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي قال : أخبرنا [أبو عيسى الترمذي قال : حدثنا محمد بن يحيى القطيعي قال : حدثنا [3]] عبد العزيز بن ربيعة البناني قال : حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة [4] فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ويُشركانه ، قيل : يا رسول الله فمن هلك قبل ذلك ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين به [5] » [أ] . قال الشيخ رضي الله عنه [6] فإن لم يكن أبواك حرفاك عن صراط الفطرة ، فمعلموك وجلساؤك ومن حسن ظنك في علمه غير نور فطرتك ، فإن ساعدك التوفيق وتبرأت من كل مسموع خدش وجه فطرتك ، وتضرعت إلى بارئك سوف ينازلك من خزائن جوده [7] الأزلي نور يُشرق به إقليم قلبك . وقد ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ قال : « إن النور إذا وقع في القلب [8] انشرح وانفسح ، قيل : يا رسول الله وهل لذلك من علامة ؟ قال : نعم ، التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود » [ب] . وما حكمت [9] بأن الأرض كَرِيُّ الخِلقَة مسلم [10] لك ذلك ، فهو منتهى الحدود والأطراف إلى عالم

(1) نسخة 4 : « وتعاسر » ساقطة .
(2) نسخة 3 ، 4 : الفطري والجبلي .
(3) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(4) نسخة 3 ، وهامش نسخة 1 : الملة وفي لفظ على الفطرة
(5) نسخة 3 : « به » ساقط .
(6) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « قال الشيخ رضي الله عنه » ساقط .
(7) نسخة 3 : وجوده .
(8) نسخة 2 : دخل القلب .
(9) نسخة 3 : وما حكمته .
(10) نسخة 4 : سُلم .

(أ) أخرجه البخاري – صحيح البخاري بشرح الكرماني – بيروت 1981 م – جـ 7 – ص 133 ، ص 134 .
(ب) أورده السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور – تفسير آية ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ – دار المعرفة – جـ 3 – ص 44 .

الشهادة [1] ، فأين أنت من الأرضين السبع التي لا يحيط بها إلا حدود عالم الغيب ؟ ، ثم أين أنت من السموات السبع اللاتي أولهن تُحيط بالأفلاك السبع أو الثمان [2] على ما زعموا ؟ ، فكلها حشو السماء الأولة ، وكل سماء بالنسبة إلى الأخرى كحلقة في أرض فلاةٍ ، هكذا على التدريج إلى أن تصير [3] الأرضون السبع والأفلاك وسائر ما احتوت عليه من العناصر والقوى ، والأرضون السبع [4] والسموات السبع [5] بالنسبة إلى الكُرسي كحلقة في أرض فلاةٍ ، والكرسي بما احتوى عليه بالنسبة إلى العرش كحلقة في أرض فلاة [أ] فهيهات تلاشت [6] الأوهام [7] وتضاءلت الأفهام [8] ولم تدر من عظيم [9] أمر اللَّه إلا القدر النزر اليسير وإليه المرجع والمصير .

---

(1) نسخة 1 : الغيب والشهادة .
(2) نسخة 3 : أو الثاني .
(3) نسخة 1 : يصير .
(4) نسخة 4 : « السبع » ساقطة .
(5) نسخة 2 ، 4 : « السبع » ساقطة .
(6) نسخة 1 : تلاشي .
(7) نسخة 3 : الأفهام .
(8) نسخة 3 : الأوهام .
(9) نسخة 3 ، 4 : ولم تدر كيف عظيم .

(أ) يذكر الشيخ الطحاوي بعض الأحاديث في هذا المعنى منها : « قال السدي : السموات والأرض في جوف الكرسي بين يدي العرش ، وقال أبو ذر رضي اللَّه عنه : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض » انظر شرح العقيدة الطحاوية – تحقيق جماعة من العلماء – المكتب الإسلامي – ص 279 – 280 .

الباب الخامس

في ذكر الخلق والأمر والخلقة والفطرة

قال اللّه تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ (أ) كلمة واحدة (1) جامعة من بليغات الذكر (2) ، اجتمع فيها ذكر الخلق والخالق والكون (3) والمكون ، هي (4) فصل جنس (ب) الوجود . اختص (5) الأنبياء عليهم السلام [بإدراك جميع ذلك ، واستنزاع صفوه وخالصه للأنبياء عليهم السلام (6)] الذين خُصوا بعقل زائد على العقل الذي يُدرك به (7) الخلق دون الأمر والخلقةُ دون الفطرة ، والمرتهنون بالعقل (جـ) الذي دون ذلك العقل ، وهُم الذين يدّعون الحكمة من الفلاسفة وغيرهم من الثنوية والمجوس والصابئة ، أدركوا الخلق والخلقة دون الأمر والفطرة ، فعالم الشهادة مشتمل على الخلق والأمر (8) ، والخلق فيه ظاهر (9) والأمر فيه باطن (10) ، وكذلك (11) عالم الغيب مُشتمل على الخلق والأمر (12) ، والأمر فيه ظاهر (13) والخلق فيه باطن (14) ، وإن شئت فسرت الفطرة والأمر بالقدرة ، والخلق والخلقة بالحكمة ، فأرباب العقول القاصرة أدركوا من عالم الشهادة الخلق دون الأمر والخلقة دون الفطرة ، وهو ما انتهت أفكار

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « واحدة » ساقطة .

(2) نسخة 3 ، 4 : القرآن .

(3) نسخة 2 ، 3 : « والكون » ساقط .

(4) نسخة 2 ، 3 : الأمر .

(5) نسخة 3 ، 4 : واختص .

(6) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(7) نسخة 4 : « به » ساقط .

(8) نسخة 4 : « والأمر » ساقط .

(9) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ظهر .

(10) نسخة 2 ، 3 ، 4 : بطن .

(11) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « وكذلك » ساقط .

(12) نسخة 3 : « والأمر » ساقط .

(13) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ظهر .

(14) نسخة 2 ، 3 ، 4 : بطن .

(أ) سورة الأعراف – آية 54 .

(ب) الجنس معناه في المنطق : كُلي مقول على كثيرين مختلفين بالحقائق مثل كلمة « حيوان » يدخل ضمن أفراده الكثير ممن يختلفون في حقيقتهم مثل : الإنسان والفرس والجمل والطير وهكذا . والفصل معناه في المنطق : كُلي يقع جوابًا على سؤال : « أي شيء هو في ذاته ؟ » أي أنه يفصل ويميز فردًا من أفراد الجنس ببيان حقيقته وماهيته فيصبح فصل الإنسان الذي هو فرد من أفراد الحيوان « ناطق » وفصل الفرس « صاهل » وهكذا . والسهروردي يعني في نصه أن « الوجود » لفظ كلي مقول على كثير من الموجودات مختلفين بالحقائق (إذن فهو جنس) ، فجاء الفصل وميز وجود الخالق عز وجل عن غيره من الموجودات في الآية البليغة التي ذكرها السهروردي .

(جـ) المرتهنون بالعقل : المحبوسون للعقل : فهم كالذي يرهن نفسه للعقل ولتصاريفه دون الشرع .

الفلاسفة إليه وزعموا أنه علة العلل ، والثنوية جعلوه نورًا [1] وظلمة ، وانتهت [2] أفكار [3] الفلاسفة إلى أن حكموا للصانع جلّ قدسُه وعبروا عنه بالجوهر [أ] : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾ [ب] . أنزلوا المعلول الأوّل منزلة الولد ، فانظر إلى هذا الجهل الذي ربا [4] على كل جهلٍ ، بإطلاق هذا اللفظ على الخالق الباري سبحانه ، فلولا أن اللّٰه تعالى ابتلى الخلق بأن لا [5] يكشف لهم ما في خزائن القدرة لمارت [جـ] الأرض وخُسفت بهم ، وسقطت عليهم السماء [6] ، وما أشبه بإثبات الولد للّٰه سبحانه بما صاروا إليه ، ولكن اللّٰه تعالى أخر عقوبته [7] من دار الابتلاء إلى دار الجزاء ، فما زعموه من [8] علة العلل له طرفٌ يلي سرادق [د] الكبرياء [9] ، وهو الأمر ، والروح القدسي [هـ] من الأمر الذي جهلته [10] الفلاسفة ، وله طرفٌ إلى الخلق وهو ما زعموا أن يكون منه واحدٌ بتوسط عقل آخر مؤدٍّ إلى التكثر [11] ، فذاك [12] الذي سموه

(1) نسخة 2 : جعلوا أنوارا .
(2) نسخة 3 ، 4 : فانتهت .
(3) نسخة 4 : فكرة .
(4) نسخة 2 : ربّى نسخة 3 : أبى .
(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : لم .
(6) نسخة 2 ، 3 ، 4 : السماء عليهم .
(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : العقوبة في .
(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « من » ساقطة .
(9) نسخة 2 ، 3 ، 4 : يلي الحق سبحانه وتعالى .
(10) نسخة 2 ، 3 ، 4 : جهله .
(11) نسخة 1 : بهامشها « التكبر » .
(12) نسخة 3 ، 4 : فلذلك .

(أ) أرى في هذا الاتهام تحاملًا من شيخنا السهروردي على الفلاسفة المسلمين ، وتحاملًا من شيخه الإمام الغزالي – أيضًا – الذي تبعه في هذا الرأي ، وهذا يرجع إلى تفسيرهما لرأي الفلاسفة المعروف عنهم في تسميتهم للّٰه تعالى (بالعقل) ، وفي رأيهم أن : العقل والجسم والهيولي والصورة جواهر . وبما أن اللّٰه تعالى عندهم عقلًا إذن فهو جوهر على مذهبهم . انظر الغزالي – مقاصد الفلاسفة – تحقيق د .سليمان دنيا – دار المعارف بمصر 1961 – ص 218 ، أيضًا تهافت الفلاسفة – تحقيق سليمان دنيا – ط 6 – دار المعارف بمصر – ص 79 . ولا أحسب أن الفلاسفة يذهبون إلى هذا القول ، ويكفينا في ذلك الفيصل الحق من أقوالهم ويمثلها ابن سينا في كتابه الشفاء – قسم الإلهيات – تحقيق محمد يوسف موسى وسليمان دنيا وسعيد زايد – القاهرة 1960 م – ص 348 . يقول « ولقائل أن يقول : إنكم تحاشيتم أن تطلقوا على الأول اسم الجوهر ، فلستم تتحاشون أن تطلقوا عليه معناه ؛ وذلك لأنه موجود لا في موضوع وهذا المعنى هو الجوهر الذي جنستموه له فنقول : ليس هذا معنى الجوهر الذي جنسناه ، بل معنى ذلك أنه الشيء ذو الماهية المتقررة الذي وجوده ليس في موضوع كجسم أو نفس : والدليل على أنه إذا لم يعن بالجوهر هذا لم يكن جنسًا البتة ، هو أن المدلول عليه بلفظ الموجود ليس يقتضي جنسيته » .

(ب) سورة مريم – آية 90 .

(جـ) لمارت : لتحركت وماجت ودارت حول نفسها من شدة تحركها . انظر لسان العرب – جـ 5 – ص 186 (مادة مور) .

(د) سرادق : كل ما أحاط بالشيء ، والجمع : سرادقات . انظر لسان العرب (مادة سردق) – جـ 10 – ص 157 .

(هـ) الروح القدسي : هو روح الأرواح ، فهو روح لا كالأرواح لأنه روح اللّٰه ، وهو المنفوخ منه في آدم ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ فروح آدم مخلوق ، وروح اللّٰه ليس بمخلوق فهو روح القدسي ، أي أنه الروح المقدس عن النقائص الكونية . انظر الدكتور عبد المنعم الحفني – معجم مصطلحات الصوفية – دار المسيرة – بيروت – ط 1 – 1980 م – ص 115 .

واحدًا ممكن الوجود واجب بإيجاب واجب الوجود بزعمهم (أ) ، هو لسان الروح وبه يطلعُ العقل على عالم الغيوب ويدرك منها بعضها ، ويستأثر [1] الروح بكثير منها لا يبرز إلى العقل الذي هو الترجمان ، [والعقل الثاني (ب) يحيط بعالم الشهادة ويطلع على أجزاء المُلك المحيط به سور الحس ، فإذا هو ترجمان الترجمان الأول [2]] فانظر إلى ما ينادي به الفلاسفة بنداء ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (جـ) بإدراكهم أمر الخلق والخلقة دون الأمر والفطرة ، فعز الأمر والفطرة أن يقتنص [3] بحبائل الأفكار الردية الغائصة في بحار الخلق والخلقة ، فجهلوا البارئ سبحانه ذا الأسماء والصفات ، خالق الصورة والمادة والهيولي وعلة العلل وخالق كل شيء سبحانه [4] ، وإن شئت قلت أدركوا الحكمة دون القدرة ، فالحكمة [5] سجاف مَسَبَّل (د)

---

(1) نسخة 2 : وتستأثر .

(2) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(3) نسخة 4 : يقتبض .

(4) نسخة 2 : « وخالق كل شيء سبحانه » ساقط .

(5) نسخة 4 : والحكمة .

(أ) هذا الواحد (العقل) الصادر عن اللّٰه الواحد (واجب الوجود) هو ممكن الوجود من وجه وواجب الوجود من وجه آخر كما يرى الفلاسفة ، فإمكانه يأتي من كونه غير موجود ثم وجد عن طريق الفيض والصدور . ووجوب وجوده من غيره وليس لذاته من حيث إن واجب الوجود لذاته هو الذي أوجده فصار وجوده واجبًا .

(ب) العقل الأول وإن كان السهروردي ينكر على الفلاسفة فكرتهم عنه بهذه الصورة السابقة إلا أنه يثبت عقلًا له صفة الأولية وهو لسان الروح وترجمانه ، وهو العقل المقبل فيما ورد في قول اللّٰه تعالى للعقل حين خلقه : « أقبل فأقبل وقال له أدبر فأدبر ... وهكذا » وقد ذكر هذا الحديث مرارًا في هذا الكتاب ، هذا العقل المقبل هو عقل واحد له صفتين : بالصفة الأولى سماه العقل الأول وهو العقل المؤيد بنور الشرع وهو لسان الروح . وسماه العقل الثاني وهو العقل الذي لم يستضئ بنور الشرع ؛ ولذلك فهو لا يحظى إلا بمعرفة علوم الملك الظاهر . وقد استفاض السهروردي في شرح هذه الفكرة في كتابه عوارف المعارف ، نورد فقرة صغيرة منها : « ... والذي ذكرناه من كون العقل لسان الروح وهو عقل واحد ليس هو على ضربين ، ولكنه إذا انتصب واستقام تأيد بالبصيرة واعتدل ، ووضع الأشياء في مواضعها ، وهذا العقل هو العقل المستضيء بنور الشرع ؛ لأن انتصابه واعتداله هداه إلى الاستضاءة بنور الشرع ، لكون الشرع ورد على لسان النبي المرسل ، وذلك لقرب روحه من الحضرة الإلهية ، ومكاشفة بصيرته التي هي للروح بمثابة القلب بقدرة اللّٰه وآياته واستقامة عقله بتأييد البصيرة ، فالبصيرة تحيط بالعلوم التي يستوعبها العقل ، والتي يضيق عنها نطاق العقل ؛ لأنها تستمد من كلمات اللّٰه التي ينفد البحر دون نفادها ، والعقل ترجمان تؤدي البصيرة إليه من ذلك شطرًا كما يؤدي القلب إلى اللسان بعض ما فيه ، ويستأثر بعضه دون اللسان . ولهذا المعنى من جمد على مجرد العقل من غير الاستضاءة بنور الشرع حظي بعلوم الكائنات التي هي من الملك ، والملك ظاهر الكائنات ، ومن استضاء عقله بنور الشرع تأيد بالبصيرة فاطلع على الملكوت ، والملكوت باطن الكائنات ... » ص 414 – مكتبة القاهرة 1973 م .

(جـ) سورة فصلت – آية 44 .

(د) سجاف : الحجاب أو ما يستر به الشيء .

مسبل : مرخي . والسهروردي هنا يشبه القدرة الإلهية بالعروس المغطى وجهها بحجاب وستر الحكمة ، ولا يستطيع النظر إليها إلا المحرم الذي تجوز رؤيته لها دون غيره من الناس .

على وجه عروس القدرة لتكون [1] محمية أن يكتحل بها غير المحرّم (أ) الذي ثبتت [2] محرميته بنور الفطرة ، الذي هو ميراث الروح القدسي ، فانحط العقل القاصر في دركات الهبوط ، فنزل إلى جِرم الأفلاك ، وأدرك من الأفلاك الخلق دون الأمر فجعل لها [3] اختيارًا وجعل للنجوم تدبيرًا ، غاب عنه أن [4] الأجرام الفلكية والنجومية موات ، من ورائها حياةُ الأملاك الموكلة بها ، منها التدبير وسوق الأشياء في الكائنات إلى المقادير ، ثم نزلوا إلى العناصر ، وقد حكم قوم منهم إلى أنها المعلول الأول ، وأثبتوا للعناصر طبيعة مدبرة فهلكوا ، فهكذا أدركوا منها ما يلي [الخلق وفاتهم إدراك ما يلي [5]] الأمر ، فللعناصر [6] أملاك وكلوا بها [7] هم روحانية العناصر ومنهم التدبير في قضايا الطبائع ، وعند هذا البيان ووضوحه انتقضت أبنية الدهرية والفلاسفة وقواعد [8] الثنوية والمجوس لبنة لبنة ، وارتفع علم واضح [9] البيان ، وانكسر [10] علمَ التصور [11] والتصديق والحدّ والبرهان في المفردات والمركبات ، إلا القدر [12] الذي يكال به بذور عالم الشهادة فحسب ؛ إذ لا تنكر [13] القضايا التي [تشهدُ بصحتها العلوم الهندسية والرياضية والطبيعية [14]] [فلما تعدوا طورهم وحَدُّهم [15] فيما سلم لهم من الهندسية والرياضية والطبيعية [16]] وتطلعوا إلى ما ليس لهم القدوم عليه ، كبحت أعنة أفكارهم وقيل لهم : ليس هذا بُعشّكم فادرجوا (ب) ، فلما حاولوا الخوض في الإلهيات انكشفت

---

(1) نسخة 3 : ليكون .
(2) نسخة 1 : يثبت .
(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : له .
(4) نسخة 3 ، 4 : « أن » ساقطة .
(5) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط بهامشها مثبت كما هو بالنص .
(6) نسخة 3 : للعناصر .
(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « وكلوا بها » ساقطة .
(8) نسخة 2 ، 4 : « وقواعد » ساقطة .
(9) نسخة 1 : هذا وبهامشها : واضح .
(10) نسخة 3 ، 4 : وانتكس .
(11) نسخة 2 ، 3 ، 4 : التصوير .
(12) نسخة 2 : المقدر .
(13) نسخة 1 : ينكر .
(14) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(15) نسخة 4 : وحدهم .
(16) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط وبهامشها مثبت كما هو بالنص .

(أ) المحرّم : يقال على الرجل الذي يمنع زواجه من المرأة لصلة القرابة كالأب والابن والأخ والعم والخال . ويقال أيضًا على الزوج ، حيث إنه يكون للمرأة كالحصن الذي يمنع زواج أي رجل من هذه المرأة ما دام هو زوجًا لها . والسهروردي في هذا الموضع يكمل تشبيهه للقدرة بالعروس بأنه لا يستطيع أحد أن يطلع أو يعرف عن حقيقتها شيء إلا الذي أحل له ذلك عن طريق استنارته بنور الشرع والفطرة الصحيحة .
(ب) هذا مثل يضرب لمن يتعرض إلى شيء ليس في استطاعته ولا يقوى عليه – انظر لسان العرب (مادة درج) – ج 2 – ص 267 . والمعنى هنا أن موضوع الإلهيات ليس من المواضيع المطروحة لنظر الفلاسفة وفكرهم .

[عورة جهلهم وافتضحوا باضطرابهم واختلافهم [أ] ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ [ب] ﴾] [1] والأنبياء [2] صلوات الله عليهم اتحدت مصادرهم كأنهم بنيان مرصوص ، عبروا بألسنةٍ مختلفة تنتهي [3] إلى بحر قلب متصل بالقلوب [4] ، متحد بها ، يستمد من البحر المحيط بعالمي الغيب والشهادة ، واختلفت الموارد من الشرائع بحسب ما اقتضت الحكمةُ الإلهية من مصلحة أهل كل زمان وكل ملّةٍ ، فما ضر اختلافهم في الفروع مع اتحادهم في الأصول [قال الشيخ رضي الله عنه [5]] حكى لي بعض العلماء أنه خامر باطنه ضرب من الارتياب ، فكدر عليه وقته ، فعلم الله تعالى ضراعته في طلب البيان ، قال : فرأيت فيما يرى النائم من أسمعني هذه الأبيات :

زعم الذين تخبطوا في جهلهم ... أن النبوة رأس كل قران [جـ]

كم من قران [6] قد مضى ... ما فيه من طه ولا يس والفرقان

الحق قول الأنبياء ؛ لأنهم ... بُعثوا بنور الحق والبُرهان

[قال : فاستيقظت وقد مُلئَ قلبي إيمانًا ويقينًا [7]] ، وذهب عني ما كان يُلِم بي ظنًّا وتخمينًا .

فمرائي قلوب الأنبياء صلوات الله عليهم مصقولةٌ بنور الفطرة ، يتعاهدها جنود الأملاك ، وتمسح عنها قتام [د] الخلقة ، فتنعكس فيها صور العالمين من الجنة والنار والصراط والحوض ، وجميع المخبر عنه من الأحكام الأُخروية . ومرائي قلوب الفلاسفة

---

(1) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(2) نسخة 2 : فالأنبياء .
(3) نسخة 3 ، 4 : ينتهي .
(4) نسخة 3 : « بالقلوب » ساقط .
(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « قال الشيخ رضي الله عنه » ساقط .
(6) نسخة 4 : وكم من قرار .
(7) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط وبهامشها مثبت كما هو بالنص .

(أ) قارن الإمام الغزالي – المنقذ من الضلال – ص 349 – 362 . وقد أثبت الغزالي أن أغلب علوم الفلاسفة قد تكون مسلمة ما عدا الإلهيات التي كثرت فيها أخطاؤهم . يقول : « وأما الإلهيات ففيها أكثر أغاليطهم فما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوه في المنطق ؛ ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيها » ص 353 المنقذ من الضلال .
(ب) سورة الحشر – الآية 14 .
(جـ) قران : فسرها الناسخ في الهامش بقران النجوم .
(د) قتام : الغبار .

غشيها قذى (1) (أ) الخلقة ، ويتعاهدها الشياطين بتسويل (ب) التخييل ، فتضيق (2) عرصة سطحها حتى ينتهي (3) إلى الخط ، وينتهي (4) الخط (5) إلى النقطة ثم تنتهي النقطة (6) إلى العدم ، فيعودون بيد صفر قهقرى (جـ) ، ويرجعون إلى وراء ، ويقول لهم لسان الغيب (7) العلمي (د) : أيها القانص ما أحسنت صيد الظبيات (هـ) ، فاتك السرب (8) (و) وما زودت غير الحسرات ، فلما فاتهم الوصول إلى فضاء معرفة القدم جعلوا من قدم (9) العالم بنيانًا وسورًا ، وصوروا منه بهتانًا (10) وزورًا ، ومن علة العلل مجهولًا ومنكورًا . وبالإجازة الشريفة عن أبي بكر عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلي قال : أخبرنا أبو محمد سلمان بن مسعود الشحام قال : أخبرنا أبو الحسين المبارك ابن عبد الجبار الصيرفي قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال : أخبرنا أبو محمد جعفر بن محمد بن نُصير الخلدي قال : أخبرنا الحرث بن أبي أسامة قال : حدثنا داود بن المحبر قال : حدثنا صالح المري عن الحسن بن أبي الحسن رضي الله عنه يرفعه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله العقل قال له : أقبل فأقبل ثم قال له : أدبر فأدبر ثم قال : ما خلقت خلقًا هو أحب إلي منك ولا أكرم علي منك ، لأني

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : قذا .
(2) نسخة 1 ، 4 : فيضيق .
(3) نسخة 2 : تنتهي .
(4) نسخة 3 : ثم ينتهي .
(5) نسخة 1 : « الخط » ساقط ومثبت بالهامش .
(6) نسخة 3 : « ثم تنتهي النقطة » ساقط .
(7) نسخة 2 : العتب .
(8) نسخة 3 : الشرب .
(9) نسخة 3 : « جعلوا من قدم » ساقط .
(10) نسخة 2 : « بهتانًا » ساقطة .

(أ) قذى : جمع قذاة وهو ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أو وسخ أو غير ذلك ... انظر لسان العرب (مادة قذى) جـ15 - ص 174 .

(ب) التسويل : تحسين الشيء وتزيينه وتحبيبه إلى الإنسان ليفعله أو يقوله . انظر لسان العرب (مادة سول) ج 11 - ص 350 . قال تعالى : ﴿ الشيطان سول لهم وأملى لهم ﴾ سورة محمد - الآية 25 ، أي زين لهم .

(جـ) يد صفر : يد خالية .

- قهقرى : عاد إلى الوراء ، يقال : رجع فلان القهقرى ... إذا تراجع على قفاه ... انظر لسان العرب (مادة قهقر) جـ 5 - ص 121 .

(د) الغيب العلمي : هو الغيب الذي جعله الله تعالى مفصلًا في علم الإنسان ، ويسمى غيبًا وجوديًا وهو كعالم الملكوت ، ويقابله غيب مجمل في قابلية الإنسان ويسمى غيبًا عدميًا ، وهو كالعوالم التي يعلمها الله تعالى ولا نعلمها فهي عندنا بمثابة العدم ، انظر د . عبد المنعم الحفني - معجم مصطلحات الصوفية - ص 197 - 198 .

(هـ) الظبيات : جمع ظبية وهي أنثى الغزال .

(و) السرب : يعني بها مجموعة كبيرة من الظبيات .

بك أعرف وبك أعبد وبك آخذ وبك أعطي [أ] » . فثبت بذلك أن للعقل إقبالًا وإدبارًا ، فإقباله [1] إلى عالم الأمر والفطرة وهو حظ الأنبياء صلوات الله عليهم ، وإدباره بالتوجه إلى عالم الخلق والخلقة وهو حظ المرتهنين بإدراك عالم الشهادة والحكمة والمُلك ، فالعقل حجة الله الباطنة كما أن القرآن [2] حجة الله الظاهرة يُضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا ، ليكون [3] العقل مناط التكاليف في دار الابتلاء ، ويدخل الإنسان في المأمور والمنهي [4] بارتكاب حجة العقل عليه ، تحقيقًا للثواب والعقاب وعمارة الجحيم والجنة ، كما ورد إخبارًا عن كمال لا يتأثر بطاعة المطيعين ومعصية العاصين هؤلاء في الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء [في النار ولا أبالي [ب] ، فضلًا ذلك منه وعدلًا [5]] ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ [ج] وتبيان [6] التحقيق [والإحاطة بسر [7]] الفطرة والخلقة والأمر والخلق ، لا حاجة بنا إلى [تقدير [8] طور آخر وراء العقل ، بل حصل الاستغناء عن تقدير [9] طور آخر وراء العقل بإثبات عقل فطري للأنبياء لا يشاركون [10]] فيه وبعقل خلقي للفلاسفة لا يتعدون طورهم [11] ، ليكون سور العقل يدور على الفئتين يجمعهم جنسه ويفرقهم فصله [12] ، ثم في هذا الأمر من ظهور سرائر القهر واللطف في الفئتين سِرّ ، وذلك أن الله تعالى خلق الإنسان وقلبه في الأطوار من النطفة والعلقة ، حتى أنشأهُ

---

(1) نسخة 4 : فبإقباله بالتوجه .
(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : كالقرآن .
(3) نسخة 4 : فيكون .
(4) نسخة 3 ، 4 : المأمور والمنهي .
(5) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط وبهامشها مثبت كما هو بالنص .
(6) نسخة 2 : وبتبيان .
(7) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط وبهامشها مثبت كما هو بالنص .
(8 ، 9) نسخة 1 : تقرير .
(10) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(11) نسخة 2 : طوره .
(12) نسخة 1 ، 2 : فضله .

(أ) أخرجه الحافظ العراقي في الإحياء – جـ 12 – ص 142 ، وقال « رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي أمامة وأبي نعيم من حديث عائشة بإسنادين ضعيفين » .

(ب) يشير إلى حديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه : « إن الله خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره ، فقال : هؤلاء في الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء في النار ولا أبالي ، فقال قائل : يا رسول الله على ماذا نعمل ؟ قال : على مواقع القدر » . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد – دار صادر – بيروت – ج 1 – ص 30 ، وانظر تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر – دار المسيرة – ط 2 – 1979 م – جـ 5 – ص 292 ، أيضًا : إتحاف السادة المتقين – الزبيدي – بيروت – جـ 9 – ص 207 ، ج 10 – ص 521 .

(جـ) سورة الأنبياء – الآية 23 .

خلقًا آخر قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (أ) فهذا الإنشاء آنفا بنفخ الروح فيه أعني (1) الروح العلوي الذي يظهر أثره عند مبادئ سطوع نور العقل من المولود ، غير الروح (ب) الذي محتده العناصر من اعتدال مزاج دم القلب الذي يتصرف فيه بعلم الطب ، وهو لسائر الحيوانات ، غير أن هذا الروح من الإنسان امتاز من جنس أرواح الحيوانات ، بأن أهلّه اللّه (2) موردًا للروح العلوي فاكتسب وصفًا زائدًا ، امتاز به عن جنس أرواح الحيوانات وصار (3) نفسًا ، هي (4) مصدر الاعوجاج والاضطراب والنزوع إلى المناهي والمخالفات التي تأباها قضية صريح العلم ، قال اللّه تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ (جـ) . فاختلاف الإلهامين لتغير الوصفين في النفس ، بأن تكون أمارة ثم تصير لوامة ثم تصير مطمئنة ، وهذه النفس لها رتبة الأنوثة (5) لما فيها من أصل خلقتها من التراب الذي له رسوب بوضع الجبلة (6) ، وافهم (7) هذا من قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ (د) . [والأرض لها نسبة الأنوثة وللماء نسبة الذكورة (8)] ، كما للنار نسبة الذكورة وللهواء نسبة الأنوثة ، وهذه (9) الأنوثة من النفس تنزع (10) إلى أنوثة الأرض ، والروح العلوي له نسبة الذكورة ، [وهذه الذكورة (11)] والأنوثة للروح والنفس في عالم الأمر ، كالأنوثة (12) والذكورة بين آدم وحواء عليهما السلام في عالم الخلق [وكما أن من

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : هو .

(2) نسخة 1 : اللّه تعالى أهله ، وبهامشها مثبت كما هو بالنص .

(3) نسخة 3 ، 4 : فصار .

(4) نسخة 2 ، 3 : هو .

(5) نسخة 2 : الأنوثية .

(6) نسخة 3 : الخلقة .

(7) نسخة 2 : فافهم .

(8) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ورد كالآتي : وللأرض نسبة الأنوثية وللماء نسبة الذكورية .

(9) نسخة 2 ، 3 ، 4 : فهذه .

(10) نسخة 1 : ينتزع .

(11) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط وبهامشها مثبت كما هو بالنص .

(12) نسخة 2 : كما الأنوثة .

(أ) سورة المؤمنون – الآية 14 .

(ب) تنقسم الروح عند السهروردي إلى قسمين : روح روحاني وهي التي تأتي عن طريق النفخة من اللّه تعالى في جسد الإنسان ، والروح الحيواني وهي التي بها حياة الجسد وحركته ، والأولى يختص بها الإنسان دون غيره من سائر الحيوانات ، أما الثانية فهي التي يشترك فيها معهم .

(جـ) سورة الشمس – الآية 7 .

(د) سورة الأعراف – الآية 176 .

ازدواج آدم وحواء ظهرت نتيجة الذرية في عالم الخلق [1]] ، كذلك حصل [2] من ازدواج الروح والنفس في عالم الأمر القلب ، والقلب ذو وجهين : له وجه إلى الروح الذي هو بمثابة [3] الأب ووجه إلى النفس التي هي بمنزلة [4] الأم ، وقد أشار رسول الله ﷺ إلى تقسيم القلوب وقال : « القلوب أربعة : قلب أجرد [5] فيه سراج يزهر فذلك [6] قلب المؤمن ، وقلب أسود منكوس فذلك [7] قلب الكافر ، وقلب مربوط على غلافه فذلك [8] قلب المنافق ، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه مثل البقلة يمدها الماء العذب الطيب ، ومثل النفاق فيه مثل القرحة يمدها القيح والصديد ، فأي المدتين غلبت عليه حكم له بها » [أ] . فالقلب المنكوس ميال إلى الأم التي [9] هي النفس الأمارة بالسوء ، ومن القلوب ما هو ميال إلى الأب الكامل . الذي هو الروح ، والعقل يدبر القلب المستقيم تدبير الأب للولد البار ، والزوجة الصالحة التي هي النفس انتزعت من صفة الأمارية إلى صفة الطمأنينة ، والولد البار هو [10] القلب المستقيم الذي فيه سراج يزهر وتدبيره للنفس الأمارة بالسوء والقلب الميال إلى النفس تدبير الرجل للزوجة المعوجة والولد العاق [11] [ب] ؛ إذ لابد له منهما لاستحكام رابطتهما ، فمنجذب إليهما من وجه ومنكر من وجه ، وبحسب الانجذابين يكون حكم السعادة والشقاوة ، وهذا العلم ميراث الأنبياء صلوات الله عليهم، وميراث نبينا محمد ﷺ ، وصَلَ إلى علماء الأمة بحسن [12] المتابعة . وبالإجازة الشريفة من عبد المغيث بن زهير إجازة قال : أخبرنا أبو

(1) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : فحصل .
(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « بمثابة » ساقطة .
(4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « بمنزلة » ساقطة .
(5) نسخة 2 : أزهر .
(6 – 8) نسخة 2 : فذاك .
(9) نسخة 4 : « التي » ساقطة .
(10) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الذي هو .
(11) نسخة 2 : « العاق » ساقطة .
(12) نسخ 2 ، 3 ، 4 : ميراثا بحسن .

(أ) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده – جـ 3 – ص 17 ونصه « قال رسول الله ﷺ : القلوب أربعة ، قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه ، وقلب منكوس ، وقلب مصفح ، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نور ، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر ، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر ، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم ، فأي المدتين غلبت على الأخرى غلبت عليه » .
(ب) يمثل السهروردي لصلة الروح بالقلب والنفس بالأب والابن والأم فالروح هو الأب ، والنفس هي الأم ، والقلب هو الابن وهذا النص بمعناه ذكره في كتابه « عوارف المعارف » وأسهب في شرحه في باب عنوانه « في معرفة الإنسان نفسه ومكاشفات الصوفية في ذلك » انظر العوارف – المصدر السابق – ص 400 – 414 .

الوقت السجزي قال : أخبرنا عبد الرحمن بن محمد المظفر الداودي قال : أخبرنا أبو محمد عبد اللّه بن أحمد بن حموية الحموي قال : أخبرنا أبو عمران عيسى بن عمر السمرقندي قال : أخبرنا الدارمي قال : أخبرنا نصر بن علي قال : أخبرنا عبد اللّه بن داود عن عاصم (1) عن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس قال : كنت جالسًا مع أبي الدرداء رضي اللّه عنه في مسجد دمشق فأتاه رجل فقال : يا أبا الدرداء إني أتيتك من المدينة ، مدينة رسول اللّه ﷺ لحديث بلغني (2) أنك تحدثه عن رسول اللّه ﷺ [قال : فما جاء بك تجارة ، قال : لا ، قال : ولا جاء بك غيره قال : لا (3)] ، قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سلك اللّه به طريقًا من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم ، وأن طالب العلم يستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ، وإن العلماء هم ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر » (أ) ، [قال شيخنا شيخ الإسلام شهاب الدين (4)] : فما لأرباب العقل القاصر من (5) الفلاسفة في هذا حظ [ولا نصيب ، قال اللّه تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ (6) كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ (7)] عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ (ب) . فتعالى اللّه ذو الخلق والأمر ، منه اليُسر والعُسر والنفع والضرّ والسعادة والشقاوة ، قسمةٌ عادلة من حكيم قادر عالم بخلقه ، يُسعدهم كما يشاء ويشقيهم كما يريد وهو العزيز الحميد .

---

(1) نسخة 1 : « عن عاصم » ساقط بهامشها كما هو بالنص .

(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : بلغني عنك .

(3) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط وبهامشها مثبت كما هو بالنص .

(4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : [قال شيخنا شيخ الإسلام شهاب الدين] ساقط .

(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « من » ساقط . (6) « الذين » إضافة من المحققة .

(7) نسخة 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(أ) أخرجه الترمذي في سننه (باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة) - كتاب العلم - جـ 5 - ص 48 - 49 . وأخرجه أبو داود في سننه (باب الحث على طلب العلم) كتاب العلم - جـ 4 - ص 57 - 58 . وكذلك الإمام أحمد في مسنده مختصرًا - جـ 4 - ص 239 - 240 . (ب) سورة الكهف - الآية 101 .

الباب السادس

في ذكر الفضل والعدل وجدوى الجمع بين النقل والعقل

قال الشيخ رضي اللّه عنه [1] افتتح اللّه كلامه القديم بسورة الفاتحة المشتملة على الثناء والدعاء ، فذكر في قسم الدعاء قسمة الفضل وقسمة العدل ، بذكر الصراطين ، وفي أول سورة البقرة أربع آيات مشتملة على ذكر الفضل ، وما بعدها آيات مشتملة على ذكر العدل ، وفي القرآن آياتٌ كثيرةٌ مشتملة على الفضل والعدل ، فمن [2] ذلك قوله تعالى : ﴿ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [أ] إلى قوله : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [ب] ثم ذكر العدل [3] فقال : ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [جـ] وقال : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [د] . فالأبواب السبعة لجهنم على وفق الأعضاء السبعة من العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ، لما كانت هذه السبعة مصادر السيئات كانت مواردها الأبواب السبعة.وهي [4] بعينها مصادر الحسنات ، ويُكتب للمؤمن ثواب نيته ، وهي [5] من أعمال القلب ، فزاد [6] في الأبواب بابًا آخر ، فصارت أبواب الجنان ثمانية فظهر عند ذلك سر [7] قوله : « سبقت رحمتي غضبي [هـ] » . فأما أعمال [8] القلوب من السيئات فغير مؤاخذ بها العبد [9] قال عليه

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : (قال الشيخ رضي اللّه عنه) ساقط .

(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : من .

(3) نسخة 1 : « ثم ذكر العدل » ساقط . بهامشها مثبت كما هو في النص .

(4) نسخة 2 ، 4 : وهذه هي .

(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : والنية .

(6) نسخة 1 : « زيد » هامشها مثبت كما هو في النص .

(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : وظهر سر .

(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : وأعمال .

(9) نسخة 1 : المؤمن بهامشها مثبت كما هو بالنص .

(أ) سورة الحجر – الآية 47 .

(ب) سورة الحجر – الآية 49 .

(جـ) سورة الحجر – الآية 50 .

(د) سورة الحجر – الآية 44 .

(هـ) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب التوحيد – باب 55 – جـ 8 – ص 216 ، وأخرجه مسلم في صحيحه – كتاب التوبة – باب 4 – جـ 3 – ص 2107 – 2108 ، وانظر أبي بكر عبد اللّه بن الزبير – كتاب مسند الحميدي – دار الكتب العلمية – بيروت ، جـ 2 – ص 478 ، كذلك الضحاك بن مخلد الشيباني – كتاب السنة – المكتب الإسلامي – بيروت ، ط 2 – 1985 م – جـ 1 – ص 270 .

السلام : « إن اللّٰه تعالى تجاوز لأمتي ما حدثت (1) به نفوسهم » (أ) . فقسم الفضل للأنبياء عليهم السلام ولأتباعهم الذين باشرت (2) أرواحهم روح اليقين ، وصادفهم نور الوحي المنزل والقول المجمل والمفصل ، وفي اتباعهم المحادثة والمكالمة فقال عليه السلام : «إن من أمتي لمكلمين(3) ومحدثين وإن عمر لمنهم (ب) » . فمنهم أرباب المسامرات والمناجاة ، يكلمون اللّٰه بإنزال حوائجهم به وصدق (4) ضراعتهم لديه فيسمعهم (5) اللّٰه ويُعرّفهم آثار الإجابة ، حتى يُشاكل (جـ) بقوة أحوالهم (6) وصفاء بواطنهم ، منامهم (7) اليقظة ، ويكونوا (8) مكلمين في منامهم ويقظتهم ، ففي المنام بقطع أمداد هواجس الحواس ، وفي اليقظة بركود وهج (9) الحواس ، لغلبة ذكر اللّٰه في قلوبهم ، وانتهاء ذكرهم إلى ذكر الذات ، فيكاشفون بتعريفات في اليقظة [والمنام ، إما (10) في لبسة الخيالات ، وإما من الهواتف الهوائية وإما من مناداة من القلوب ، وهذه كلها أبواب مسدودة على الفلاسفة ، ولصحة حالهم في اليقظة (11)] صحة منامهم كما قال اللّٰه تعالى إخبارًا عن خليله إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾ (د) . فحكم بإقامة منامه مقام الوحي المنزل في يقظته ، وتجدُ (12) لذلك بيانًا وبرهانًا ، بل تشاهده (13) كشفًا وعيانًا ، وهذا غير المنام الذي يكون من استصحاب حُكم اليقظة بواسطة القوة المتخيلة في مقدمة (14) الدماغ ، لتكون (15) تلك أضغاث أحلام لا حُكم لها ، وهؤلاء القوم بما يمنحون من القدر

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : يتجاوز لأمتي ما تحدثت .
(2) نسخة 1 ، 4 : باشر .
(3) نسخة 4 : مكلمين .
(4) نسخة 4 : ويصدقون .
(5) نسخة 2 : ويسمعهم .
(6) نسخة 2 ، 4 : أن بقوة حالهم .
(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : يشاكل منامهم .
(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ويكونون .
(9) نسخة 2 : رهج معناها الغبار في الهامش .
(10) نسخة 2 : فأما .
(11) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(12) نسخة 2 : ويجد ، نسخة 4 : ونجد .
(13) نسخة 2 : 4 : « تشاهده » ساقطة .
(14) نسخة 2 ، 3 ، 4 : مقدم .
(15) نسخة 3 ، 4 : فتكون .

(أ) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب العتق) – باب 6 – جـ 3 – ص 119 ، وأخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – باب 58 – جـ 1 – ص 116 .

(ب) ذكره مسلم بلفظ « قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم » . صحيح مسلم بشرح النووي – دار الفكر – بيروت – ط 2 – 1972 م – جـ 15 – ص 166 .

(جـ) يُشاكل : يماثل أو يشابه .
(د) سورة الصافات – الآية 102 .

والآيات يزدادون يقينا وقربًا من اللّٰه عز وجل ، والمنتحلون سبل الأفكار كلما ازدادوا علمًا ازدادوا من اللّٰه بعدًا [1] ، وينزح [2] (أ) الحياء والخشية والتقوى [3] من قلوبهم ، ولا [4] يعرفون القلب المنيب ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ ... مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ (ب) . فما لهؤلاء [5] ركن يأوون إليه شديد ، ومنزل السعادة عنهم ناءٍ بعيدٍ ، فإثبات الفضل والعدل هو فصل الخطاب ، ومنتجع أولي البصائر والألباب ، فقسم العدل هو الداء العضال ، فإما يمرض كمرض أرباب الأهواء والبدع ، [وإما يقتل كمرض الفلاسفة والهالكين ، فأرباب الأهواء[6]] كمن انتحل طرائق الغلو في الجبر والقدر والتعطيل والتشبيه والتسنن والتشيع ، فربما يغلبهم [7] الهوى فينكبون عن صراط الاستقامة ، ويقعون في مهواة التفريط والإفراط ، وفي غضون الكلام وسياقه [8] فبحسن [9] التدبر والتفكر الصالح وصفاء الفهم ينكشف لك ذلك فبحسن توفيق اللّٰه تعالى ، اعلم أن اللّٰه تعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام وتأهيله إياه لخلافته في الأرض ، وأسجد له ملائكته ، استخرج لتكوينه نخب السموات والأرض بمقتضى قانون الحكمة مع نزاهته واستغنائه عن مجاولة [10] (جـ) الأسباب ، ولكن إثبات الوسائط في التكوين قضية الحكمة ، ففي [11] مبدأ ذلك خاطب السموات والأرض [12] بقوله : ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ (د) فحملهما [13] بذلك [14] الخطاب أمانة عظيمة ،

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : بعدًا من اللّٰه .
(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : وينتزح .
(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : والتقوى والخشية .
(4) نسخة 2 ، 3 : فلا .
(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : فمالهم .
(6) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط . بهامشها مثبت كما هو بالنص .
(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : يغلبه .
(8) نسخة 2 : وسياقته .
(9) نسخة 2 ، 3 ، 4 : بحسن .
(10) نسخة 1 : محاولة .
(11) نسخة 2 : وفي .
(12) نسخة 3 : والأرضين .
(13) نسخة 3 : فحملها .
(14) نسخة 2 ، 4 : ذلك .

(أ) ينزح : معناها يَبعد ، مصدرها نزح وهو البعد . انظر لسان العرب (مادة نزح) جـ 2 - ص 614 .
(ب) سورة ق - الآية 33 .
(جـ) مجاولة : معناها التطواف والدوران حول الأسباب وتقصيها سببًا وراء الآخر .
(د) سورة فصلت - الآية 11 .

وأودعهما (1) سرًا عظيمًا فأبَيْنَ أن يحملنها ، فذلك (2) قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ (أ) . فلإبائها استردت الأمانة بأخذ القبضة من التراب ، وحملها الإنسان . احتوت طينة الإنسان على سر الأمانة وخمر في طينته (3) ذلك السرّ بتخمير أربعين صباحًا ، ثم خاطب الذر حيث استخرج الذر من صلب آدم كما ورد مسح ظهر آدم (ب) ، قيل كان المسح من بعض الملائكة ، وقيل كان من اللّه ، والفعل يضاف تارة إلى المباشر وتارة إلى المسبب ، فسالت الذرات من مسام بدنه كما يسيل العرق ، بعدد كل آدمي ذرة ، ثم ردها إلى ظهر آدم إلى أن تنتهي (4) إلى مواسم ظهورها في عالم الحكمة ، متخذة من الأشباح قوالبًا (5) ومن الأرواح مطالبًا (6) ، فخاطبها بـ ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ (جـ) فكان إجابة البعض اختيارًا وإجابة البعض اضطرارًا لصولة القهر الأزلي ، فالإجابة طوعًا واختيارًا (7) لأهل الفضل ، والإجابة كرهًا واضطرارًا لأهل العدل ، فكان (8) اللّه قادرًا على أن يقول لشيء (9) كن فيكون ، وإنما قدر التخمير بأربعين صباحًا ، ليتخذ الإنسان المستصلح لعمارة الدارين وخلافة اللّه في الأرض بكل يوم منزلًا من الحجاب ، لينحجب (10) بأربعين حجابًا من القرب ، ليتأتى منه عمارة الدنيا ، ولو لم تكن تلك الحُجب ما انعمرت الدنيا ، وهجمت الأرواح والنفوس على العكوف بأعتاب الجلال الأزلي ، وإذا (11) أراد اللّه تعالى بعبد (12) سعادة يُرقيه إلى ذروة الإخلاص ، ويوفر حظه من قسم الفضل - ويلهمه التبتل للعبادة والإخلاص

---

(1) نسخة 3 : وأودعها .

(2) نسخة 3 : 4 : « فذلك » ساقط .

(3) نسخة 2 : طينة الإنسان .

(4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ينتهي .

(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : قوالب .

(6) نسخة 2 ، 3 ، 4 : مطالب .

(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « اختيارًا » ساقطة .

(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : وكان .

(9) نسخة 2 ، 3 ، 4 : للشيء .

(10) نسخة 4 : ليحجب .

(11) نسخة 2 ، 3 ، 4 : فإذا .

(12) نسخة 2 ، 4 : بعبده ، نسخة 3 : « بعبد » ساقطة .

(أ) سورة الأحزاب - الآية 72 .

(ب) يشير إلى الآية الكريمة 172 من سورة الأعراف ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ .

(جـ) سورة الأعراف - الآية 172 .

فيها أربعين صباحًا (أ) ، ليزيل بكل صباح حجابًا من الحجب ، فباستكمال الأربعين تنصب إليه العلوم والمعارف انصبابًا ، ويتخذ من مواطن القرب منزلًا ومآبًا ، أخبرنا شيخنا أبو النجيب السهروردي ، قال : أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون ، قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري ، قال : حدثنا أبو عمر محمد بن العباس قال : حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال : حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا أبو معاوية الضرير قال : حدثنا حجاج عن مكحول قال : قال رسول الله ﷺ : « من أخلص لله العبادة أربعين يومًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه (ب) » فالله تعالى حيث ألبس الإنسان خلعة الكرامة وأهّله (1) لخلافته في أرضه ، سلم إليه مقاليد التسخير والتمليك بالمشيئة الأزلية والحكمة الإلهية ، [ولعل في ذلك إشارة ورمزًا بقوله (2) عليه السلام : « إن الله تعالى خلق آدم (3)] على صورته » (جـ) إذ الصورة لها (4) معنى والمعنى له صورة ، فصورة هذا المعنى محاكية لجلال الله تعالى بالتسخير والتمليك ، والمقصود تحصيل غرض وإشارة تفهم من هذا القول ، وإلا فالمعتقد إجراء أخبار الصفات على هيآتها من غير تأويل وتعطيل (5) (د) وحيث كان الأمر كذلك ،

(1) نسخة 2 ، 3 : و « أهله » الواو ساقطة .
(2) نسخة 2 : لقوله .
(3) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(4) نسخة 1 ، 2 ، 3 : له .
(5) نسخة 4 : ولا تعطيل .

(أ) لقد تعارف الصوفية على مصطلح « الأربعينية » وهي تعني أربعين يومًا وليلة يدخل فيها الصوفي إلى الخلوة يعتزل فيها الناس ويجاهد نفسه في مأكله ومشربه ويتعبد الله تعالى حق عبادته ، يقول د. عبد المنعم الحفني « هي رياضة الصوفية ، فيها يضبطون أحوالهم بالاعتزال من الناس وقلة المنام والطعام ، ومداومة الذكر » انظر معجم مصطلحات الصوفية – ص 15 .

(ب) أخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وحكم عليه بالضعف – جـ 1 – ص 55 – ط 4 – المكتب الإسلامي – بيروت 1398 هـ .

(جـ) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها – باب 11 – جـ 3 – ص 2183 ، يقول محمد فؤاد عبد الباقي : (على صورته) الضمير في صورته عائد إلى آدم . والمراد أنه خلقه في أول نشأته على صورته التي كان عليها في الأرض وتوفي عليها ... ولم ينتقل أطوارًا كذريته ... » وهذا هو التفسير الصحيح لمعنى الصورة التي خلق الله تعالى عليها سيدنا آدم ، وقد غفل السهروردي هذا المعنى وأشار إلى المعنى الآخر الذي فسره به كثيرون وهو أن الله تعالى خلق آدم على صورته هو ، أي على صورة الله تعالى . وهذا أمر يؤدي بنا إلى إشكالات واستحالات عقدية لا يقبلها السهروردي . وهي نفس فكرة التوراة في سفر التكوين في الإصحاح الأول ص 4 ، في أن الله قال « نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ... فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه ، ذكر أو أنثى خلقهم » .

(د) يلاحظ من هذا النص تأثر السهروردي بالمنهج السلفي في إجراء الصفات كما هي دون تأويل لها على غير ما يفهم من ظاهرها ، ولا تعطيل لبعض الصفات كما فعل المعتزلة ، وهذا أيضًا مذهب الأشعري الذي صرح به في كتابه « الإبانة عن أصول

اقتضت الحكمة أن يودَع في الإنسان قوى متضادة ، أودع فيه القوة الغضبية لدفع المضار والقوة الشهوانية لجلب المنافع ، حتى تهيأ بذلك للتسخير (1) والتمليك ، فإذن كان هذا موهبة لدنية من اللّٰه تعالى . ما (2) كان يتأتى له خلعة الكرامة أو الكمال (3) إلا بذلك ، ولله الكمال الأزلي الذي يتضاءل دونه كل كمال ، وقضية ذلك الكمال اجتماع صفتي الجلال والجمال والقهر واللطف ، فلطفه (4) يربو على كل لطف ، وقهره يعلو (5) على كل قهر ، فمن القهر الذي يزيد (6) على كل قهر أن يخلق للإنسان فعل الشر ويعاقبه عليه ، ومن اللطف الذي يزيد على كل لطف أن يخلق للإنسان فعل الخير ويثيبه عليه ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ (أ) . وله المال والمموِّلون (7) ، وأضاف العطايا (8) إليه ووعد عليه الثواب ، وعند هذا القول تثور أدخنة الاعتراض [وتتلاطم أمواج بحار (9)] الأفكار ممن يقول بقول أهل (10) القدر ، وتمتد (11) أعناق الأطماع إلى سد باب (12) الفعل من الإنسان في رأي الجبري ، فيقال له : اخمد ضرام أوهامك [أيها الجبري فالفعل ثابت لك بإضافة الكسب إليك ، ويقال للقدري

---

(1) نسخة 1 ، 3 : التسخير .
(2) نسخة 3 : وما .
(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : والكمال .
(4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ولطفه .
(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : يربو .
(6) نسخة 1 : يزيده ، نسخة 2 : مزيد .
(7) نسخة 1 : والمملوك بهامشها مثبت كما هو بالنص .
(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : العطاء .
(9) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط وبهامشها مثبت كما هو بالنص .
(10) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « بقول أهل » ساقط .
(11) نسخة 1 ، 3 : ويمتد .
(12) نسخة 1 ، 3 ، 4 : « باب » ساقط .

= الديانة » من أن لله سبحانه يدين وعينين ووجهًا بلا كيف . انظر ص 22 ، تحقيق د. فوقية حسين – دار الأنصار – ط 1 – مصر 1977 م . ويفهم من ذلك أن الأشعري يثبت لله تعالى اليد – مثلًا – ويفوض معناها إلى اللّٰه . إلا أنه في كتابه « اللمع » رجع عن رأيه وقرر ما يقرره المعتزلة في تأويل اليد بالقدرة . وشيخ الإسلام ابن تيمية وهو خير من يمثل السلفية يرى أن « طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته – اللّٰه تعالى – من الصفات ، من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل » مجموع فتاوى ابن تيمية (كتاب مجمل اعتقاد السلف) جـ 3 – ص 3 . وهذا ما يؤيده السهروردي في قوله : « ... فلا تبعد عن اللّٰه بالتشبيه وقد قرب منك ولا تفر منه بالتعطيل وقد دنا إليك » ثم بعد ذلك يعقد مصالحة بين الأشعري والحنبلي في هذه المسألة ، فيقول : « ... واعلم أيها الأخ الحنبلي أن أخاك الأشعري ما ذهب إلى التأويل إلا لما توهم من مخامرة البواطن من التشبيه والتمثيل ، ولو سلم له مجرد الاستواء ما أوّل ... وأيها الأخ الأشعري أن أخاك الحنبلي خوفه من النفي والتعطيل حمله على المبالغة والإصرار ... فليصالح أحدكما الآخر ... ولتقولا جميعًا إثباتًا من غير تشبيه ونفيًا من غير تعطيل » أعلام الهدى وعقيدة أرباب التقى – مخطوط بدار الكتب القطرية – تحت رقم 412 ، ورقة 25 – 27 .

(أ) سورة الحديد – الآية 11 .

سكن جأشك أيها القدري فإن الفعل مسلوب منك بإضافته إلى الخلق [أ] ، وافهما جميعًا [1]] سر قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [ب] وكذلك قوله : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [جـ] فالقلب أمير الجوارح كما أن [2] العقل أمير الحواس ، فلا يكون من الجارحة فعل إلا بإرادة القلب ، ولولا إرادة القلب لكانت [3] الجارحة جمادًا لا حركة فيها ، ثم القلب [4] لا إرادة له من ذاته ؛ إذ ذاته غير موجب للإرادة ، فإنه لحم صنوبري [5] مودع في الجانب الأيسر من تجويف الصدر [6] ، وإنما اللّٰه تعالى يخلق فيه إرادة وعلمًا ، كما أودع في العين الباصرة شعاعًا يحيط بالمرئيات ، فنسبة جارحتك إلى القلب كنسبة قلبك إلى اللّٰه تعالى [قال شيخ الإسلام إمام أئمة العالم شهاب الدين [7]] : وأوضح ذلك بمثل يقرب إلى الفهم هذا المعنى : قيل برمز مشتمل على معنى ما يضاف إلى الجمادات والعجماوات : قيل للكاغد [د] لم تسود وجهك وتشوش بياضك بهذا السواد ؟ فقال [8] بلسان الحال : سلوا هذا المداد الذي ورد علي وغير هيأتي وحليتي [هـ] ، فقيل للمداد : لم فعلت ذلك ؟ فقال [9] : كنت مستقرًا في قعر الدواة لا صعود لي من ذلك المنقعر ، فورد علي قصبة تسمى القلم

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين كالآتي : « فالفعل ثابت لك أيها الجبري بإضافة الكسب إليك ، ومسلوب منك بالإضافة إلى الخالق ، فافهم أنت أيها القدري والجبري » .

(2) نسخة 1 ، 2 ، 3 : « أن » ساقطة .

(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : كانت .

(4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : والقلب .

(5) نسخة 1 : « صنوبري » ساقطة .

(6) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « من تجويف الصدر » ساقط .

(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : فيقول .

(9) نسخة 2 : يقول ، نسخة 3 ، 4 : فيقول .

(أ) يفهم من هذا النص أن السهروردي يميل إلى عقيدة الأشعري في أن الفعل لله خلقًا وللعبد كسبًا . وبذلك ينكر على الجبرية قولهم أن الفعل لله تعالى خلقًا وليس للعبد دخل فيه ، بل هو كالريشة في مهب الريح . وينكر في الجانب الآخر قول القدرية بأن الفعل للإنسان خلقًا وليس لله تعالى دخل فيه . والسهروردي يرى أن الفعل مخلوق لله تعالى ومكتسب للعبد وهذه عقيدة أشعرية لا شك في ذلك . والدليل على ذلك استدلال السهروردي بالآيات التي استدل بها الأشعرية لتأكيد معتقدهم .

(ب) سورة الأنفال – الآية 17 .

(جـ) سورة الإنسان – الآية 30 .

(د) الكاغد : قد يكون المعنى به الورق الأبيض . وقد يكون هذا اللفظ فارسي الأصل ؛ ولذلك لم يفسره ابن منظور بأي معنى سوى أنه قال فيه في مادة كغد « الكاغد : معروف ، وهو فارسي معرب » لسان العرب – جـ 3 ص 380 .

(هـ) حليتي : صفتي وصورتي ، مأخوذ من الحلية : الصفة والصورة ، انظر لسان العرب – (مادة حلا) جـ 14 – ص 196 .

فرقاني [1] [أ] من منقعري ، ولولا نزوله إلي ما كان لي صعود ، فقيل[2] للقلم : لم فعلت ذلك ؟ فقال : كنت قصبًا نابتًا في بعض البقاع لا حركة مني ولا سعي ، فورد علي قهرٌ من الإنسان [3] بيد استولت علي ، فقطعني [4] وفرق بيني وبين وطني ومستقري ، فقيل [5] لليد : لم فعلت ذلك ؟ فقال [6] : لي تسأل ولي تؤاخذ ، سل الإرادة التي انبعثت من القلب فأوردتني هذا المورد ، فقيل [7] للقلب : ما هذا الفعل؟ وما هذا التحكم منك ؟ فقال [8] : إنما أنا قطعة لحم في جسد هذا الإنسان مماثل لسائر [9] جسده ، سلوا الخالق الذي أودع فيَّ عقلًا ودراية أنتجت تلك الأدوات هذه الهيئة [قال الشيخ رضي اللّٰه عنه [10]] فلو [11] انفتحت هذه البصيرة للإنسان ولم ينحصر الراكن إلى عقله في مضيق تدبيره وتقليده لأستاذه ومعلمه وأهل بلدته ومحلته والمجالسين له والمخالطين ، وانغسل عن وجه فطرته خدوش الخلقة التي أوردته موارد الشبه والضلالات ، أفرد الفعل للّٰه وأفرد الحكم لله ، ولاحت له ناصية التوحيد في حلية الكمال ، وانغسل عن وجه فطرته قتام الوهم والخيال [12] ، وقد بلغنا عن رسول اللّٰه ﷺ حديث يحل عقال الإشكال ، ويزيل داء الاعتلال ، وهو ما بلغنا بالإجازة الشريفة عن أبي الحسن علي بن عساكر قال : أخبرنا أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل المقدسي ، قال : أخبرنا أبو منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن إبراهيم القزويني إجازة قال : أخبرنا أبو طلحة العمر [13] بن أبي المنذر الخطيب قال : حدثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطان قال : أخبرنا أبو عبد اللّٰه محمد بن يزيد بن ماجة قال : حدثنا علي بن محمد قال : حدثنا إسحاق بن سليمان قال : سمعت أبا سنان

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : : رقاني .
(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : فيقال .
(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : إنسان .
(4) نسخة 2 ، 3 ، : وقطعتني ، نسخة 4 : قطعني .
(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : : فيقال .
(6) نسخة 2 ، 3 ، 4 : فيقول .
(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : فيقال .
(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : فيقول .
(9) نسخة 1 : كسائر .
(10) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(11) نسخة 2 : فلما .
(12) نسخة 2 : والخبال ، نسخة 3 : والخيال .
(13) نسخة 2 ، 3 ، 4 : القاسم .

(أ) رقاني : من الرقي وهو الصعود والارتفاع . انظر لسان العرب (مادة رقا) – جـ 14 – ص 332 .

يحدث [1] عن وهب بن خالد الحمصي عن ابن الديلمي قال : وقع في نفسي شيء من أمر القدر خشيت [2] أن يفسد علي ديني وأمري ، فأتيت أبيّ بن كعب ، فقلت : أبا المنذر : إنه قد وقع في قلبي شيء من هذا القدر ، فخشيت أن يفسد علي [3] ديني وأمري ، فحدثني من ذلك بشيء لعل اللّه عز وجل أن ينفعني به ، فقال : لو أن اللّه عز وجل عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت [4] رحمته خيرًا لهم من أعمالهم ، ولو كان لك مثل جبل أحد ذهبًا ، تنفقه في سبيل اللّه ما قبل منك حتى تؤمن بالقدر [5] ، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، فإنك إن مت على غير هذا دخلت النار ، [ولا عليك أن تأتي أخي عبد اللّه بن مسعود فتسأله ، فأتيته وسألته [6] ، فذكر لي مثل ما قال أبيّ وقال لي : ولا عليك [7] أن تأتي حُذيفة فتسأله ، فأتيت حُذيفة فسألته ، فقال مثلهما وقال : ائت زيد بن ثابت فأتيت زيد بن ثابت فسألته فقال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « لو أن اللّه عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم ولو كان لك مثل جبل [8] أحد ذهبًا تنفقه في سبيل اللّه ما قبل منك حتى تؤمن بالقدر كله ، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وإنك إن مت على غير هذا دخلت النار » [أ] [9]] [قال الشيخ رضي اللّه عنه [10]] واعلم أن الإرادة إرادة القلب من خزائن [الغيب ، والفعل من خزائن [11]] الشهادة ، وأنت تدرك عالم الشهادة وما فيه ، وما تدرك عالم الغيب ، فيفوتك فضيلة الإيمان بالغيب فتصير بذلك في خطة [ب] عظيمة ، هلك فيها الفلاسفة الجاهلون بعالم

---

(1) نسخة 1 : « يحدث » ساقطة .
(2) نسخة 3 : فخشيت .
(3) نسخة 2 : « أن يفسد علي » ساقطة .
(4) نسخة 4 : كانت .
(5) نسخة 4 : بالقدر كله .
(6) نسخة 2 ، 3 : فسألته .
(7) نسخة 2 ، 3 : « ولا عليك » الواو ساقطة .
(8) نسخة 1 : « الجبل » ساقط بهامشها مثبت كما هو بالنص .
(9) نسخة 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(10) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(11) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط وبهامشها مثبت كما هو بالنص .

(أ) أخرجه ابن ماجه بلفظه – سنن ابن ماجه – كتاب المقدمة – باب 10 – جـ 1 – ص 30 ، وأخرجه أبو داود في سننه – كتاب السُّنة – جـ 5 – رقم الحديث 4698 – ص 74 .
(ب) خطة : موقع أو موضع .

الغيب وهي [1] عدم الإيمان به ، المؤدي [2] بهم ذلك إلى إنكار العلوم الأخروية ثم إلى إنكار النبوات ، كل ذلك لركونهم [3] إلى العقل الذي لم يكتحل بنور الشرع ، والعقل المؤيد هو العقل الذي يتخطى عرصة الملك ويلج الملكوت ، ويخرق شغاف الغيب ، والعقل الجامد [أ] يدب في مدارج [4] المحسوسات ، ويسير في أجزاء المُلك ويتخذ في ظلم الأفكار من علم الهندسة نبراسًا ، [ويقدم أمام فكره رأيًا وقياسًا ، فيأخذ تارة يمينًا في الرياضيات ويأخذ تارة يسارًا [5]] في الطبيعيات ، فإذا اقتحم الإلهيات يحيط به سرادق من الغيرة ، ويموج في وجهه بحر من الحيرة ، وصار حاصل اجتهاده ونخبة [6] ارتياده أن [7] ينبز بالزندقة ، واتخذ من زنار [ب] العار منطقه [جـ] ، وابتاع بذلك حسن ثناء بعض الجهال عليه ، بأنه ذكي فاضل حكيم عاقل ، وهذه خسارة بينة لا ينقذ منها إلا الجذبة الإلهية والسابقة الأزلية [8] ، والله المحسن المنان .

---

(1) نسخة 2 : « وهي » ساقطة .

(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : والمؤدي .

(3) نسخة 1 ، 3 ، 4 : بركونهم .

(4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « مدارج » ساقطة .

(5) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(6) نسخة 4 : وتحية .

(7) نسخة 1 ، 2 : « أن » ساقطة .

(8) نسخة 2 ، 4 : الأولية .

(أ) العقل الجامد : يقصد به العقل الغير مستضيء بنور الشرع ، وهو العقل الذي يدرك أمور الخلق كمعرفته بالطبيعيات والهندسيات والرياضيات ، ويجمد عليها فلا يستطيع أن يدرك عالم الأمر وما به من أمور الإلهيات .

(ب) الزنار : ما يلبسه الذمي يشده على وسطه – انظر لسان العرب (مادة زنر) جـ 4 – ص 330 . والمعنى كأن الفيلسوف يلف وسطه ويشده بالعار كناية عن شدة تمسكه بآرائه المنحرفة .

(جـ) منطقه : من المنطق : وهو كل ما يشد به الوسط ، ويقال : انتطق الرجل أي لبس المنطق وهو كل ما شددت به وسطك . انظر لسان العرب (مادة نطق) جـ 10 – ص 354 .

الباب السابع

في ذكر المعاد وتكفير من ينكر حشر الأجساد

[قال الشيخ رضي اللّٰه عنه [(1)]] أنبأنا الإمام [سيدنا ومولانا المفترض الطاعة على كافة الأنام أبو العباس أحمد [(2)]] الناصر لدين اللّٰه أمير المؤمنين قال : أنبأنا عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي ، قال : أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي قال : أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداوودي قال : أخبرنا أبو محمد عبد اللّٰه بن أحمد بن حمويه الحموي قال : أخبرنا محمد بن يوسف الفربري قال : حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري قال : حدثنا عمر بن حفص قال : حدثنا أبي قال : حدثنا الأعمش قال : حدثنا زيد بن وهب قال : حدثنا عبد اللّٰه (رضي اللّٰه عنه) قال : حدثنا رسول اللّٰه ﷺ وهو الصادق المصدوق [(3)] قال : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة [(4)] ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث اللّٰه إليه ملكًا بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أم سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينها وبينه إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار [(أ)] » [قال الشيخ رضي اللّٰه عنه [(5)]] أعرضت [(6)] الفلاسفة عن ذكر الروح المذكور في سياق هذا الحديث الروح وهو [(7)] المذكور في القرآن : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾ [(ب)] وفي [(8)] قوله : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين ساقط . (2) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(3) نسخة 2 ، 4 : الصادق .

(4) نسخة 2 : « نطفة » ساقطة . بهامش نسخة 1 مثبتة كما هي بالنص .

(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين ساقط . (6) نسخة 2 : أعرض .

(7) نسخة 2 : « وهو » ساقط . (8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « وفي » ساقطة .

(أ) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب بدء الخلق – باب 6 – جـ 4 – ص 78 . وأخرجه مسلم في صحيحه – كتاب القدر – باب 1 – جـ 3 – ص 2036 .

(ب) سورة الحجر – الآية 29 .

رَبِّي ﴾ [أ] . وأثبتوا [1] النفس الكلي ، وسأوضح – إن شاء الله [2] – ما صاروا إليه ، وقصورهم [3] عن إدراك شأو [ب] الروح الروحاني . فالروح [4] الحيواني الذي يتصرف فيه بعلم الطب وهو الروح الموجود باعتدال أمزجة دم [5] القلب ، أعني بالقلب [6] هاهنا المضغة اللحمية المعروفة الشكل المودعة في الجانب الأيسر من الجسد ، وينتشر في تجاويف العروق الضوارب ، وهذه الروح لسائر الحيوانات ، ومنها [7] تفيض قوى الحواس ، وبين الروح الحيواني والروحاني رابطة تحكم [8] بحشر الأجساد وإثبات المعاد .

اعلم أن الروح الحيواني له استناد إلى التراب وفيه مشاركة للحيوانات [9] ، ولهذا ورد : « أن الحيوانات تحشر حتى يقاد [10] للجماء من القرناء ، ثم يقال لها : صيري ترابًا فتصير ترابًا [جـ] » ، وعند ذلك ﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾ [د] فرارًا من العذاب الأليم ، غير أن الروح الحيواني من الإنسان تميز من جنس أرواح الحيوانات ومن [11] التراب الذي هو أصله بالتخمير أربعين صباحًا على ما ورد : « خمر طينة آدم بيده أربعين صباحًا [هـ] » ويكون [12] الروح الحيواني مستعدًّا لورود الروح [13] العلوي عليه بما اكتسب من شرف التخمير ، وصار نفسًا ممتازًا من جنس أرواح الحيوانات ؛ ولذلك صار مستصلحًا لعمارة الدارين ، حتى انتهى به الأمر إلى أن صلح لخلافة الله في أرضه ، قال الله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [و] وصار [14] مستصلحًا للثواب

(1) نسخة 4 : فأثبتوا .
(2) نسخة 2 ، 4 : « إن شاء الله » ساقطة .
(3) نسخة 3 ، 4 : لقصورهم .
(4) نسخة 2 : والروح .
(5) نسخة 4 : « دم » ساقط .
(6) نسخة 2 : القلب .
(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ومنه .
(8) نسخة 1 : يحكم .
(9) نسخة 2 : مشارك مع الحيوانات . نسخة 4 : وفيه مشاركة مع الحيوانات .
(10) نسخة 1 : تقاد .
(11) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « من » ساقطة .
(12) نسخة 1 ، 4 : وتكون .
(13) نسخة 4 : « الروح » ساقط .
(14) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « صار » ساقط .

(أ) سورة الإسراء – الآية 85 .
(ب) شأو الروح : غاية أو حقيقة الروح .
(جـ) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل بلفظ « أن رسول الله ﷺ قال : إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة » سنن الإمام أحمد – جـ 1 – ص 72 . قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . انظر جـ 10 – ص 352 – دار الكتاب العربي – بيروت – ط 3 – 1982 م .
(د) سورة النبأ – الآية 40 .
(هـ) انظر تخريجه فيما سبق . وانظر الترمذي في سننه – كتاب تفسير القرآن – باب 2 – جـ 4 – ص 204 . وسنن أبي داود – كتاب السنة (باب القدر) – جـ 5 – ص 67 .
(و) سورة البقرة – الآية 30 .

والعقاب ، فاستصلاحه للثواب بترقيه في معارج التزكية والتخلية ، بالتكميل بالفضائل ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ (أ) . فاستوجب بذلك أن يكون كتابه [1] في [عليين قال اللّٰه تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾ (ب) ، وباستصلاحه للعذاب أهمل [2] سياسة النفس فاستوجب [3] العقاب ، وصار كتابه [4] في] سجين ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾ (جـ) وصار يهوى [5] في مهواة من [6] الرذائل المؤدية إلى العذاب الأليم ؛ وذلك لرجوعه إلى أصل خلقته من الترابية ، وللتراب رسوب بالطبيعة ، وإلى ذلك الإشارة بقوله : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ (د) وأجزاء القوالب [7] بعد ما صارت ترابًا واستحالت مدرًا [8] وشجرًا ، حتى لو عادت إلى مراكزها من الاستقصات [9] (هـ) رابطتها مع النفس التي هي الروح الحيواني مستحكمة [10] ، وقد انحل هذا [الإشكال وزال عن البواطن المريبة للاعتلال [11] بقصة [12]] إبراهيم عليه السلام ، وذلك أنه مر بجيفة حمار بساحل البحر ، قد توزعتها دواب البحر والبر وكان إذا مد البحر جاءت الحيتان ودواب البحر [فأكلت منها ، وما وقع منها يصير في الماء ، وإذا [13] جزر البحر [14]] جاءت السباع فأكلت منها ، فما وقع منها يصير ترابًا ، وإذا

(1) نسخة 2 : كتابها .
(2) نسخة 3 ، 4 : « وباستصلاحه للعذاب أهمل » ساقطة ، نسخة 2 : وبإهماله .
(3) نسخة 2 ، 4 : استوجب .
(4) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(5) نسخة 2 : بهواهُ .
(6) نسخة 1 ، 3 : « من » ساقطة .
(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : القالب .
(8) نسخة 2 : حجرًا ومدرًا .
(9) نسخة 2 : الاستقصات محكم رابطها .
(10) نسخة 2 ، 3 ، 4 : : « مستحكمة » ساقطة ، وفي نسخة 1 : كتب الناسخ عند كلمة رابطتها : مبتدأ ، وعند مستحكمة : خبر .
(11) نسخة 4 : المرئية الاعتدال .
(12) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(13) نسخة 2 : فإذا .
(14) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(أ) سورة الشمس – الآيات 7 : 9 .
(ب) سورة المطففين – الآية 18 .
(جـ) سورة المطففين – الآية 7 .
(د) سورة الأعراف – الآية 176 .
(هـ) الاستقصات : هكذا كتبت في جميع النسخ ولعلها – وهو الصحيح – الاسطقسات وهو مصطلح فلسفي يوناني بمعنى « الأصل وتسمى العناصر الأربع ، التي هي : الماء والأرض والهواء والنار . اسطقسات لأنها أصول المركبات التي هي الحيوانات والنباتات والمعادن » الجرجاني – كتاب التعريفات – مكتبة لبنان – ص 24 .

ذهبت السباع جاء الطير فأكل منها ، وما سقط قطعته الريح في الهواء ، فلما رأى إبراهيم عليه السلام ذلك [1] تعجب منها وقال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (أ) فأوحى اللّه تعالى إليه : ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ (ب) . ويتلو [2] هذه القصة عزير عليه السلام وقد رأى عظام حماره الميت تلوح ، ثم نظر إليها وهي تتركب حسب جسد الحمار ، ثم كساها اللّه اللحم ومد عليها الجلد وهو ينظر إلى ذلك ، حتى نهق الحمار ليسمعك أيها المنكر لحشر الأجساد إن كنت سامعًا ولكن ﴿ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (ج) ، ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (د) قال اللّه تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ (هـ) ، وذاك [3] إذا مدت سرادقات العزة ونادى منادي الحشر ، وأخذ التسخير [الإلهي بترائب الخلائق ، وتجلى اللّه لفصل الخطاب [4]] ، ونشر طوامير (و) الحساب ، وقربت الشمس من رؤوس الخلائق ، وألجمهم العرق حتى عرقوا في رشح جسدهم إلى شحمة أذنهم ، ورفعت أعلام الفهم [5] ، ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ (ز) ، مزمومة بسبعين ألف زمام ، وتجلت عرائس الجنان بحورها وقصورها وولدانها وغلمانها وأكوابها وأترابها ، يؤتى [6] بالروح ويقال [7] أنت محل الثواب والعقاب فيقول : يا رب كنت رضيعًا في مهد عالم الغيب ، أرضع الألبان الروحانية ، لم يكن لي نزول إلى عالم الكون والفساد ، فلم [8] أكن مصدرًا للجرائم ، ومنتظمًا في سلك الحيوانات والبهائم ، وإنما الجريمة كانت من الجسد المكون من أجزاء ترابية ، فهو من طبعها ، وركب متون الأخطار وتحمل أثقال الأوزار ، فهو المستحق

---

(1) نسخة 1 : « ذلك » ساقطة . (2) نسخة 3 ، 4 : وتتلو . (3) نسخة 3 ، 4 : وذلك .

(4) نسخة 4 : ما بين المعقوفتين ساقط وبهامشها مثبت كما هو بالنص .

(5) نسخة 3 ، 4 : القهر . (6) نسخة 4 : يُجاء .

(7) نسخة 3 : ويقال له . (8) نسخة 3 : ولم .

(أ ، ب) سورة البقرة – الآية 260 .

(جـ) سورة الأعراف – الآية 100 وتبدأ بقوله تعالى ﴿ أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء ... ﴾ .

(د) سورة البقرة – الآية 18 . (هـ) سورة النحل – الآية 111 .

(و) طوامير : المخبآت من الذنوب . (ز) سورة الفجر – الآيتان 22 - 23 .

للعقاب ، فيقال للجسد : ماذا تقول فيما أحيل عليك ، فيقول الجسد : يا رب كنت جمادًا ملحقًا بالحجر والمدر ، لا بطش لي ولا حركة ، ولو بقيت على حالتي أعمارًا لم يكن مني حراك ، ولا خضت غمرات الهلاك ، فيقول اللّٰه تعالى : أيها [1] الروح والجسد ، مثلكما كمثل أعمى دخل بستانًا فيه أنواع الفواكه فهو لا يراها ، وفي [2] البستان زَمِن [أ] يرى الفواكه ولا قدم له يسعى إليها ، فيقول الزَّمِنُ للأعمى : احملني حتى أوديك [ب] إلى الفاكهة فنتناول جميعًا ، فيأخذ الأعمى الزَّمِن فيتناولان باجتماعهما جميع ما يريدان ، فأنتما أيها [3] الروح والجسد اشتركتما في الاكتساب [4] والأعمال ، فتشتركان في تقلب الأحوال ثوابًا كان أو عقابًا ، فذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ [جـ] ، وهذا الذي أوردناه علم مجهول عند الفلاسفة لا يكال بمكيال الأفكار ، ولا يوزن بميزان الحماقة والاغترار ، فإنما غاية مدارك أفكارهم ما ينسب إلى رئيس [د] القوم وقائدهم إلى النار ، بإثبات النفس الكلي زعم أنه المعلول الثالث مع مخالفة جماعة له في ذلك ، فإن [5] المركبات نتائج البسائط ، وأن النفوس توزعت على الأجساد بمثابة الجداول ، بالنسبة [6] إلى البحر ، وأنها بالموت يتصل الجزء بالكل [وجهل هذا الذي انتحل هذا [7]] ، أن كل نفس في كل جسد له استقلال بعلم ودراية وفعل وإرادة وتدبير ، وبين النفوس مباينات ظاهرة ، وكل نفس محكم الارتباط بأجزاء القالب متحصن به عن امتزاجه [8] بنفس آخر ، ورابطته [9] مع الروح رابطة لا ينحل نظامها ولا يرى منه [10] انفصامها ، ولو اتحد المؤثر لاتحد [11] الأثر ، فما بال اختلاف الأثر والمؤثر واحد [12] ؟ اتحدت الآثار بالأجساد أم صدرت عن

---

(1) نسخة 4 : أيتها .
(2) نسخ 1 ، 2 : « وفي » الواو ساقطة .
(3) نسخة 3 ، 4 : أيتها .
(4) نسخة 3 : الأكساب .
(5) نسخة 3 ، 4 : وإن .
(6) نسخة 4 : « بالنسبة » ساقطة .
(7) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط وبهامشها مثبت كما هو بالنص .
(8) نسخة 1 : امتزاجها .
(9) نسخة 1 : ورابطتها .
(10) نسخة 1 : منها .
(11) نسخة 2 : اتحد .
(12) نسخة 2 : « والمؤثر واحد » ساقط .

(أ) زمن : صاحب عاهة مزمنة . والمراد به هنا المقعد العاجز عن المشي .
(ب) أوديك : أذهب بك .
(جـ) سورة النحل – الآية 111 .
(د) يقصد به أرسطو .

الكل ؟ فإن [1] صدرت عن الكل فما بالها تباينت وتغايرت والأصل واحد ؟ ثم إنهم [2] استزلوا فلاسفة الإسلام بهذا الخيال ، وأوهموهم إثبات النعيم والعذاب الروحاني حتى [3] أنكروا حشر الأجساد وعذابها ونعيمها ، فاتفقوا جميعًا [4] في الكفر والخذلان وشاركوا في [5] الهلاك والخسران ، وباؤا بغضب من اللّٰه بتكذيبهم الأنبياء وتصديقهم الفلاسفة ، وإنما وردوا مشارع البوار [أ] ، واحتقبوا أثقال الأوزار بتسليمهم زمام التقليد إلى الفلاسفة وركونهم إليهم ، وكونهم رأوا العلوم الرياضية والهندسية مبرهنة ، فقلدوهم في الإلهيات وهي غير مبرهنة [ب] ، ومن سخافة عقولهم ثبتوا على التقليد [6] وما رجعوا عنهم ، وقد رأوا من اضطراب آرائهم وتنوع أنحائهم في قدم العالم وحدوثه [7] وفي المعلول الأول ، فمن قائل إنه العنصر ، ومن قائل إنه العقل ، وفي اختلافهم في مبدأ العالم قال بعضهم : أوله الماء ، وقال بعضهم : الهواء ، وقال بعضهم : إنه النار ، وكل هذا الاختلاف مؤذن ببطلان مصيرهم وعجزهم عن البيان وتقصيرهم ، ثم تصدى جماعة [8] في مصنفاتهم والرد عليهم بقرائح تتعثر [9] في أذيال الشكوك ، بل يستنشق من مصنفاتهم [10] روائح مخامرة خفية [11] بالميل إلى معتقدهم . وقد وردت الأخبار بمبادئ تكوين العالم [12] بما أخبر عنه الرسول ﷺ موافقًا لما قيل : إن في التوراة مكتوبًا في السفر الأول مبدأ خلق العالم [13] : إن اللّٰه تعالى خلق جوهرًا ثم نظر إليه نظر هيبة ، فذابت أجزاؤه فصارت ماء ، ثم ثار من الماء بخار مثل الدخان ، فخلق اللّٰه منه السموات ، وظهر [14] على وجه الماء زبد مثل زبد البحر ، فخلق منه

(1) نسخة 3 ، 4 : وإذا .
(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « ثم أنهم » ساقط .
(3) نسخة 2 ، 3 : « حتى » ساقطة .
(4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « جميعًا » ساقطة .
(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « وشاركوا في » ساقط .
(6) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « ثبتوا على التقليد » ساقط .
(7) نسخة 3 ؛ 4 : وحدوثه ما رأوا في اختلافهم في .
(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : تصدوا في .
(9) نسخة 1 : يتعثر ، نسخة 3 : تعثروا .
(10) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ويستنشق منها روائح .
(11) نسخة 2 ، 3 ، 4 : المخامرة الخفية .
(12) نسخة 2 : التكوين للعالم .
(13) نسخة 3 ، 4 : للعالم .
(14) نسخة 3 : فظهر .

(أ) مشارع : موارد . البوار : الهلاك .
(ب) قارن مع الإمام الغزالي – المنقذ من الضلال – ص 353 – 354 .

الأرض ، ثم أرساها بالجبال (أ) . فهذا الذي ورد في التوراة هو ما أخبر به رسول الله ﷺ : « إن أول ما خلق الله من الأرض موضع الكعبة فكانت زبدة [1] بيضاء ، فدحيت الأرض من تحتها (ب) » . فهذا هو القول الحق ، وما عداه من أقوالهم قُشار ، فكان تقليد الإسلاميين للفلاسفة في الإلهيات [من غير برهان ، وقياسهم قول الفلاسفة [2]] على قولهم في القضيات الهندسية المبرهنة بالبراهين – كمن أخذ بيده دليل في العمران ، وسلك به [3] في مواضع معروفة بالآثار [4] ، ثم انتهى به إلى فضاء ومهلكة ليس بها علم ولا دليل ولا منهج ولا سبيل ، فحسن ظنه بما رأى منه في العمران فتبعه ، فرماه دليله في مهالك لا منجا [5] منها ولا خلاص ، فندم على متابعته فاستغاث لطلب الخلاص ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ (جـ) ، فالأنبياء صلوات الله عليهم أخبروا بالحشر والمعاد وما أعد الله في الدار الآخرة للعباد ، بعقول كاملة متصلة ببحر العلم المحيط بعالمي الغيب والشهادة ، وعقل الفلاسفة جدول منقطع المدد ، ارتقى في معارج المركبات والبسائط والأفلاك ، ثم تضاءل في سيره فعاد قهقرى [6] ، ورجع إلى وراء محجوبًا عن عوالم الغيوب غير عارف للرب ، بل عارف بحد [7] المربوب كحاكم مقيم في خطة العجز عن الحقائق والإحاطة بالمبادئ والسوابق (د) ، والله [8] تعالى في كلامه القديم أخبر بالدلائل القاطعة

---

(1) نسخة 3 ، 4 : ربوة .

(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين نصه كالآتي : « وقياسهم في ذلك من غير برهان » .

(3) نسخة 3 : « به » ساقطة .

(4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : بالعمران والآثار .

(5) نسخة 3 : لا منجا له .

(6) نسخة 2 : قهقرا .

(7) نسخة 3 ، 4 : عارفًا لحد .

(8) نسخة 3 ، 4 : فالله .

(أ) ما ورد في التوراة في مبدأ خلق العالم هو : « ... وقال الله ليكن نور فكان نور ... وفصل الله بين النور والظلمة ، ودعا الله النور نهارًا والظلمة دعاها ليلًا ... وقال الله ليكن جلَد في وسط المياه – ودعا الله الجلد سماء ... ودعا الله اليابسة أرضًا ، ومجتمع المياه دعاه بحارًا » الكتاب المقدس – سفر التكوين – الإصحاح الأول – ص 1 .

(ب) أورده السيوطي بروايات عدة منها : « أخرج ابن حجر وابن المنذر والطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن عمرو قال : خلق الله البيت قبل الأرض بألفي سنة ، وكان إذ كان عرشه على الماء زبدة بيضاء ، كانت الأرض تحته كأنها حشفة فدحيت الأرض من تحته » انظر الدُر المنثور في التفسير بالمأثور – دار الكتب العلمية – بيروت – ط 1 – 1990 م – ص 93 – (تفسير الآية 96 من سورة آل عمران) . وانظر أيضًا : أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي – أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار – تحقيق رشدي الصالح ملحس – دار الأندلس – ص 31 – 32 .

(جـ) سورة ص – الآية 3 . قال تعالى ﴿ كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص ﴾ .

(د) المبادئ والسوابق : هي المقدمات ، وقد تكون مقدمات لا تحتاج إلى دليل وبرهان ، بل هي في حقيقتها واضحة للمؤمن . يقول =

على حشر الأجساد ، فقال سبحانه : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (أ) ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ (ب) وقال : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ (جـ) ، هل [1] الأثقال المخرجة إلا الأجساد ؟ وهل إنكار ذلك إلا رد [2] للقرآن وانغماس [3] في بحر الكفر والإلحاد ؟ وقد بلغنا بالإجازة الشريفة عن أبي الحسن علي بن عساكر عن أبي علي الحسن بن مهرة الحداد عن الحافظ أبي نعيم الأصفهاني قال : حدثنا عبد الله بن محمد قال : حدثنا محمد بن سهل قال : حدثنا سلمة بن شبيب قال : حدثنا إبراهيم بن حكيم بن إبان قال : حدثنا أبي قال : كنت جالسًا [4] مع عكرمة عند منزل يزداد ، وكان عكرمة نازلًا مع يزداد نحو الساحل ، فذكروا الذين يغرقون في البحار قال عكرمة : الحمد لله أن الذين يغرقون في البحر تتقسم لحومهم الحيتان ، فلا يبقى منهم شيء إلا العظام تلوح فتلقيها [5] الأمواج إلى البر [6] ، فتمكث العظام حينًا حتى تصير جاملًا [7] (د) نخرة ، فتمر بها الإبل فتأكلها ، ثم تسير الإبل فتبعر [8] ، ثم يجيء قوم بعدهم ينزلون المنزل فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه ، ثم تخمد تلك النار ، فتجيء الريح فتلقي [9] ذلك الرماد على الأرض ، فإذا جاءت النفخة [10] ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (هـ) فيخرج أولئك وأهل القبور سواء

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : فهل .
(2) نسخة 2 : ردًا .
(3) نسخة 2 : وانغماسًا .
(4) نسخة 2 : « جالسًا » ساقطة .
(5) نسخة 1 : يلوح فيلقيها .
(6) نسخة 1 : البحر هامشها مثبت كما هو بالنص .
(7) نسخة 2 : حائلًا ، نسخة 3 : جامدة ، نسخة 4 : خامدة .
أما نسخة 1 : فذكر معنى الكلمة في هامشها بقوله : الجميل الشحم المذاب .
(8) نسخة 3 : فتبعرها .
(9) نسخة 1 : فيلقى .
(10) نسخة 2 ، 3 ، 4 : النفخة قول الله تعالى :

= الجرجاني في معنى المبادئ « هي التي لا تحتاج إلى البرهان بخلاف المسائل فإنها تثبت بالبرهان القاطع » ص 207 – التعريفات .
وأحسب أن السهروردي لا يخرج في مقصوده عن هذا المعنى ، وقد ذكر في عوارف المعارف مجموعة من المصطلحات الصوفية المترادفة والتي تعني مقدمات الأحوال ومن ضمنها لفظ « البوادي » الذي أراه يحمل معنى المبادئ يقول : « ومنها الطوارق والبوادي والبادة والواقع والقادح والطوالع واللوامع واللوائح وهذه كلها ألفاظ متقاربة المعنى ... والمقصود أن هذه الأسماء كلها مبادئ الحال ومقدماته وإذا صح الحال استوعب هذه الأسماء كلها ومعانيها » ص 479 عوارف المعارف .
(أ) سورة الزمر – الآية 73 .
(ب) سورة الزمر – الآية 71 .
(جـ) سورة الزلزلة – الآية 1 - 2 .
(د) جاملًا : الشحم المذاب والمعنى أن العظام تهتري حتى تصبح كالشحم المذاب . انظر لسان العرب (مادة جمل) جـ 11 – ص 127 .
(هـ) سورة الزمر – الآية 68 ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ .

[قال الشيخ رضي اللّٰه عنه [1]] فما أدرك الأنبياء عليهم السلام من الأمور الأخروية من البعث والنشور والحساب والصراط والميزان والشفاعة والحوض والجنة والنار ، أدركوا ذلك بعقول فطرية ، عبرت عن إدراك الروح القدسي ، والفلاسفة أدركوا عالم الشهادة بعقول خلقية [2] غير مكتحلة بنور الهداية ، وعند هذا يظهر الفرق بين العقل الفطري والعقل الخلقي ، لا حاجة بنا إلى أن نقول أدرك الأنبياء صلوات اللّٰه عليهم ما أدركوه بطور [أ] وراء طور العقل ، ولا نثبت لطور وراء [3] العقل وجودًا ، بل سور [4] العقل يدور على مفهوم الأنبياء صلوات اللّٰه عليهم ومدركاتهم من عالمي الغيب والشهادة ، وعلى مدركات الفلاسفة من عالم الشهادة دون عالم الغيب ، بإثبات فضل خاص للأنبياء صلوات اللّٰه عليهم ممتاز من جنس أصل [5] العقل ، وهو العقل المكتحل بنور الهداية ، غير العقل الجامد العري عن نور الهداية ، وقد أسلفنا في غير [6] هذا الباب تقسيم العقل ، في تدبير العقل للأمرين جميعًا بإقباله وإدباره ، واللّٰه الهادي بفضله إلى مناهج الرشاد والآخذ بعدله زمام من يسلك سبيل العناد ، وقد تحقق [7] القول بتكفير القائلين المنكرين لحشر [8] الأجساد .

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(2) نسخة 3 : فطرية خلقية .
(3) نسخة 2 ، 3 : وراء طور .
(4) نسخة 4 : بنور .
(5) نسخة 1 : أهل .
(6) نسخة 3 ، 4 : قبل .
(7) نسخة 2 : وهو يحقق .
(8) نسخة 1 ، 2 : بحشر .

(أ) طور : حد الشيء وحاله . فيقال : عدا طوره أي جاوز حده وقدره . انظر لسان العرب (مادة طور) جـ 4 – ص 508 .

الباب الثامن

في ذكر الولادتين وشرح حال الفريقين من المحقين ومن المبطلين

[قال الشيخ إمام الأئمة (1) :] قد ورد فيما ورد : لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين يشعر ذلك بأن الولادة ولادتان : ولادة طبيعية مستندة إلى الأركان الأربعة بإجراء سنة اللّٰه تعالى في خلقه ، وولادة حقيقية معنوية ، وكما أن الولادة الطبيعية لها استناد إلى الأركان الأربعة من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة التي يجمعها (2) المرة الصفراء والمرة السوداء والدم والبلغم ، وكل واحد (3) من هذه له مكان من أعضاء الجسد ، يفهم ذلك من علم التشريح ، ومدد ذلك متصل بالأمهات والاستقصات (4) ، فالولادة الحقيقية المعنوية أيضًا لا تتم (5) إلا بأربعة ، ومن عدم هذه الأربعة لم يولد الولادة المعنوية . **أحد الأركان الأربعة** الإيمان بالغيب بشروطه وقيوده ، ومن شروطه وقيوده (6) الإيمان بالأنبياء وتصديقهم والملائكة ، وما أخبر اللّٰه (7) من الجنة والنار والبعث والنشور ، وهو أصل (8) الثلاثة الأخرى الذي تبتنى عليه (9) ، وقد عدمت الفلاسفة والدهرية هذا ، فكأنهم ما ولدوا بل هم مغيبون (10) في مشائم (أ) العدم ، ما برزوا إلى الوجود ولا استنشقوا نسيم الحياة من اليقين والشهود ، وسبيلهم سبيل الميت الملحود . وبالإجازة الشريفة عن أبي الحسن علي بن عساكر عن أبي زرعة بإسناده إلى ابن ماجه قال : حدثنا علي بن ميمون الرقي قال : حدثنا سعيد بن سالم عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد اللّٰه (رضي اللّٰه عنه) قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « قال الشيخ إمام الأئمة » ساقط .

(2) نسخة 4 : تجمعها .

(3) نسخة 1 : واحدة .

(4) هكذا في جميع النسخ « الاستقصات » ولعلها الاسطقسات ، وهو مصطلح يوناني بمعنى « الأصل وتسمى العناصر الأربعة : الماء والأرض والهواء والنار اسطقسات ؛ لأنها أصول المركبات التي هي الحيوانات والنباتات والمعادن » الجرجاني – التعريفات – ص 24 .

(5) نسخة 1 ، 4 : لا يتم .

(6) نسخة 3 ، 4 « ومن شروطه وقيوده » ساقط .

(7) نسخة 3 ، 4 : التنزيل به .

(8) نسخة 3 ، 4 : أساس .

(9) نسخة 2 : عليه تبتني ، نسخة 4 : عليه يبتني .

(10) نسخة 3 ، 4 : مغيبين .

(أ) مشائم : جمع مشيمة وهي كيس يحيط بالجنين وهو في رحم أمه .

خردل من كبر ، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان (أ) » .
وعن عبد اللّٰه بن عباس (رضي اللّٰه عنهما) قال : قدم وفد عبد القيس على رسول اللّٰه ﷺ فأمرهم بالإيمان باللّٰه عز وجل ، قال : أتدرون ما الإيمان بالله ؟ قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا إله إلا اللّٰه وأن محمدًا رسول اللّٰه ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطوا الخمس [1] من الغنيمة [2] (ب) » .

الثاني من الأربعة التوبة النصوح ، ومجمل ذلك متابعة العلم ، ومفصله تقييد الجوارح عن المناهي والمكاره الشرعية وما لا يشهد العلم بصحته وهو أن يصبح الرجل ويُمسي [3] ولا يكتب عليه صاحب الشمال شيئًا ، وهي [4] التوبة النصوح المأمور بها بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ (جـ) ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (د) وهي المحكوم لها بمحبة اللّٰه تعالى قال اللّٰه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (هـ) . وبالإجازة الشريفة إلى ابن ماجه قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا شبابة قال : حدثنا ورقاء عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن اللّٰه عز وجل أفرح بتوبة أحدكم منه بضالته إذا وجدها » (و) .

فالتوبة للأحوال السنية كالأرض للغروس [5] ، فمن لا أرض له لا غرس له ، ومن لا توبة له لا حال له ، والفلاسفة بمعزل عن [6] هذا علمًا وعملًا .

(1) نسخة 1 : « الخمس » ساقطة . بهامشها مثبت كما هو بالنص .
(2) نسخة 1 : المغنم .
(3) نسخة 1 ، 4 يظل الرجل ويبيت . بهامشها مثبت كما هو بالنص .
(4) نسخة 3 ، 4 : وهو .
(5) نسخة 3 : للغرس .
(6) نسخة 3 : من .

(أ) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – باب 39 – جـ 1 – ص 93 ، وأخرجه أبو داود في سننه – كتاب اللباس – باب 26 – جـ 4 – ص 351 ، وأخرج الترمذي في سننه – كتاب البر والصلة – باب 61 – جـ 4 – ص 361 . وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .
(ب) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الإيمان – باب 40 – جـ 1 – ص 19 .
(جـ) سورة التحريم – الآية 8 .
(د) سورة النور – الآية 31 .
(هـ) سورة البقرة – الآية 222 .
(و) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الدعوات – باب 3 – جـ 7 – ص 146 ، وأخرجه مسلم في صحيحه – كتاب التوبة – باب 1 – جـ 3 – ص 2102 .

وثالث الأربعة الزهد في الدنيا من الجاه والمال ، وحبس النفس عن النزوع إلى ذلك ، وبالإجازة الشريفة إلى ابن ماجه قال : حدثنا هشام بن عمار قال : حدثنا حكيم بن هشام قال : حدثنا يحيى بن سعيد عن أبي فروة عن أبي خلاد ، وكانت له صحبة قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهدًا في الدنيا وقلة منطق فاقربوا [1] منه فإنه يلقي الحكمة [أ] » .

الرابع [2] دوام العمل للّٰه ، وهو دوام التقرب إلى اللّٰه ظاهرًا وباطنًا قلبًا وقالبًا ، وذلك يتقييد الجوارح ورعايتها بالمحاسبة ، وتقييد الجوانح [ب] بالمراقبة ، ورؤية اطلاع اللّٰه على ظاهره وباطنه ، وهي روح الذكر [3] ، وحقيقته متصل [4] بذكر الذات ، وبه [5] دوام العمل ، وبتصحيح ذلك دفع خواطر المعصية وخواطر الفضول حتى التبري من حديث النفس والتخييل الذي هو الوجود الذهني ، فإذا تطهر الوجدان العيني والذهني بسياسة العلم تنصقل [6] مرآة القلب ، وتنعكس فيها [7] أنوار الجلال والجمال الأزلي ، وتنتقش فيه نقوش أكوان العالمين ، ويبقى الروح القدسي عاكفًا على بساط المكاشفة والمشاهدة ، ويقول : لا أعبد ربًا لم أره ، وهذه جملة ممنوع حريمها أن يطرقه قدم فلسفي أو دهري ، محمية بحراسة اللّٰه تعالى والملأ الأعلى ، وعند التحقق بالولادة المعنوية [8] يكون [9] ولوج ملكوت السموات ، وارتقاء طائر الهمة البشرية من أوكار الطبيعة والخلقة إلى أوج الفطرة قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ [جـ] ، وعند ذلك تتفجر [10] من صماء [د] الوجود مياه العلوم والحياة

---

(1) نسخة 2 : فاقتربوا .
(2) نسخة 2 : الرابع من الأربعة .
(3) نسخة 3 : الروح للذكر .
(4) نسخة 2 : متصلة .
(5) نسخة 2 : وبها .
(6) نسخة 1 ، 3 : تتصقل .
(7) نسخة 3 ، 4 : فيه .
(8) نسخة 2 : « المعنوية » ساقطة .
(9) نسخة 1 : تكون ، نسخة 2 : يكون له .
(10) نسخة 2 ، 3 : ينفجر ، نسخة 4 : تنفجر .

(أ) أخرجه ابن ماجه – تعليق محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء الكتب العربية – جـ 2 – كتاب الزهد – ص 1373 .
(ب) الجوانح : أوائل الضلوع تحت الترائب ... وسميت بذلك لجنوحها على القلب . والمعني بها هنا أعمال القلوب . انظر لسان العرب (مادة جنح) جـ 2 – ص 429 .
(جـ) سورة الأنعام – الآية 75 .
(د) صماء : شديد الانسداد ، فيقال : أذن صماء وقناة صماء وحجر أصم . وفتنة صماء : شديدة . انظر لسان العرب (مادة صمم) جـ 12 – ص 344 .

الأبدية [1] ، وتنتج هذه الولادة العلم بأن العقول البشرية ضعيفة السير ضيئلة الحركة ، منقطعة المدد ، لا ينتقش في صفيح لوحها إلا محدود منقطع المدد ، كهيئتها [2] منقطعة المدد والزمان والمكان ، وما انتقش فيها من الكائنات محدودات منقطعات الإمداد [3] ، فأنى لها [والحال هذه] [4] ادعاء الاطلاع على الأمر الأزلي الذي ليس في بيداء أزليته زمان ولا مكان ؛ إذ الزمان [5] والمكان أحياز حشتها [أ] المشيئة الأزلية كائنات ومفهومات ومدركات ، والله تعالى هيأ لأرباب العقول مناهج ، يسلك كل منهم منهجه الذي يؤديه إلى الحد المحدود له ، وكل من أرباب العقول [6] مشغول الذهن ، مملوء [7] الفهم بما أنتج [8] له ، مسدود عليه باب ما وراء حده المحدود أن يتقدم [9] ، والسبق [10] للأنبياء - صلوات الله عليهم - في سير عقلهم فيما وراء الكائنات من عالم الشهادة ، واكتحال بصيرتهم بالعلم اللدني المغترف من بحر العلم الأزلي ، فجمع ذلك العلم متفرقات أفكارهم ، وطمسها صفو إدراكاتهم من لوح أذهانهم ، واستولت على أرواحهم القدسية وقلوبهم الصافية الزكية أشعة الجلال والجمال الأزلي ، وتلاطمت بحور أرواحهم بأمواج الأنس والهيبة ، فأنّى لهم مع هذه الحالة إعارة طرف بصيرتهم لما سوى الله ، ثم إن الله تعالى بمشيئته الأزلية قدر [11] لعالم الملك والشهادة نصيبًا من الزمان محدودًا ، ليكون [12] حيزًا لمدة بقاء عالم الشهادة ، فإذا انتهى إلى أجله تظهر رايات القدر الإلهية ، وتطلع طلائع الآيات الباهرة ، ويطوى بساط الحكمة المبسوط [13] في مدة الزمان المقدر [14] ، ثم يظهر بعد طيه طلائع الأبد والسرمد ، الذي لا يُكال بمكيال الحد والمقدار ، ويصير الأبد محاكيًا للأزل ، [في امتداد أطناب الكمال والبقاء

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الأبدي .
(2) نسخة 1 : لهيئتها ، نسخة 3 ، 4 : كهيئاتها .
(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : المدد .
(4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين هكذا [وهي ضعيفة السير] .
(5) نسخة 2 ، 4 : فالزمان ، نسخة 3 : والزمان .
(6) نسخة 3 ، 4 : العقل .
(7) نسخة 1 : مملي .
(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : أتيح .
(9) نسخة 2 ، 3 ، 4 : والتقدم إليه .
(10) نسخة 2 ، 3 ، 4 : فالسبق .
(11) نسخة 2 : قرر .
(12) نسخة 2 ، 3 ، 4 : جعل ذلك الزمان المحدود .
(13) نسخة 1 : المبسوطة .
(14) نسخة 4 : المقدم .

(أ) أحياز حشتها : مواضع ملئتها .

إلى ما لا نهاية له من الأزل [1]] والأبد ، والزمان المقدر الحيز لعالم [2] الملك والشهادة بالنسبة إلى طرفي الأزل والأبد يسير [3] منقطع النسبة بالمقايسة إلى ما لا يقاس عليه من طرفي الأزل والأبد ، فيا معشر المدعين للحكمة الذين أحاطوا علمًا بعالم المُلك والشهادة ، ودققوا النظر فيه بالتصويرات [4] والتصديقات ، وحصر المفردات والمركبات بالحدود والبراهين ، ولم يألوا جهدًا في دقيق [5] النظر وإصابة الفكر ، من الإحاطة بأجرام الكواكب والأفلاك والعناصر والأمهات ، وسائر البسائط والمركبات ، وكل [6] ما احتوت عليه علومهم يسير من كثير ، وجعلتم ما فهمتموه مشغلة لعقولكم وأفكاركم ، فألهاكم [7] ذلك عن السير الصادق بأقدام الضراعة ، والطلب لمعرفة ما لا سبيل إلى معرفته إلا بتعريفه ، وحرمتم الورود إلى مشارع بحر من شرب منه شربة لا يبقى له فكر يلهيه ولا نظر عقل يعتريه ، وأكثر نتيجة عقلكم الذي سائر علومكم فرع لذلك الأصل ، هو علمكم بما سميتموه علة العلل ، وهو ما حيزه اللّه تعالى في مبدأ تكوين الزمان ، ثم رتبه على [8] المراتب التي فهمتموها من العقل الأول والثاني والنفس والأجرام الفلكية والمركبات والعناصر ، فالدهرية غرقوا في بحر الكون المفهوم عندهم ، وغطتهم أمواج البحر ، وقالوا : ما من دور فلكي إلا وبعده دور إلى غير نهاية ، وهذا حصول في مغرقة ما لهم منها مخلص ؛ إذ لا سبيل لهم [9] إلى إدراك طرفي الأزل والأبد . [والفلاسفة كهيئتهم في غرقهم [10] بادعاء أجسام [11]] لا تتناهى مكانًا ، وحوادث لا أول لها [12] زمانًا ، ودورات سرمدية من الأفلاك ، وانقطع نظرهم في طرفي الأزل والأبد ، فيا معشر المدعين للحكمة [13] مفهومكم عيبة [أ] مختومة [14]

---

(1) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(2) نسخة 3 ، 4 : المحيز بعالم .
(3) نسخة 3 : يصير .
(4) نسخة 3 ، 4 : التصورات .
(5) نسخة 1 : تدقيق وهامشها ثابت كما هو بالنص .
(6) نسخة 2 : كل .
(7) نسخة 4 : وألهاكم .
(8) نسخة 1 : رتب عليه بهامشها مثبت كما هو بالنص .
(9) نسخة 1 : « لهم » ساقطة وبهامشها مثبتة كما هي بالنص .
(10) نسخة 2 : الغرق .
(11) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط وبهامشها مثبت كما هو بالنص .
(12) نسخة 3 ، 4 : لا تتناهى .
(13) نسخة 2 : الحكمة ، نسخة 3 ، 4 : من الحكمة .
(14) نسخة 1 : عيبه مختومته .

(أ) عيبة : العيبة : وعاء من أدَم يكون فيه المتاع ، أو ما يجعل فيه الثياب ، ويقال عيبة الرجل أيضًا بمعنى : موضع سره وخاصته . انظر لسان العرب (مادة عيب) جـ 1 – ص 634 . والمعنى بها هنا أن آراء الفلاسفة أمر خاص بهم ومطبوع ومختوم عليه بطابع مفاهيمهم المنحرفة عن الفهم الصحيح .

بطابع [1] فهمكم مردودة عليكم ، محفوظة من خدش الأفكار [2] ، محمولة بيد الموافقة والإقرار ، محشو فيها علة العلل وسائر البسائط والمركبات ، غير أن عقول الأنبياء (صلوات اللّٰه عليهم) وعقول أتباعهم من الصديقين ، الذين ناهزت إدراكات عقولهم إدراكات عقول الأنبياء ، ببركة متابعتهم الأنبياء (صلوات اللّٰه عليهم) ، حكمت بأن بصائرهم مطموس عليها من إدراك الأزل والأبد ، وكسر مكيال الزمان والمكان ، وصار فهمكم سرادقًا [3] مضروبًا عليكم ما لكم منه بروز لا إلى أزلية الأول ولا إلى أبدية الآخر وبما تقرر من هذه الحدود لا مبالاة ولا اعتداد بما ذكرتموه وأحلتموه إلى علة العلل ، من الإيجاد والإيجاب والسبق الزماني والذاتي ما حاك في صدر [4] من هذه المطالعة مطالعته [5] شيء ، وصار المحقق عندكم مسلمًا لكم ، غير أنه مزيف عند من ربت [6] مطالعة عقله على مطالعة عقولكم ، وجميع ما هو حشو المصنفات من كتب الفلاسفة اليونانيين [7] ومقالاتهم وآرائهم في مصنفات فلاسفة الإسلام ، الذين بسطوا الكلام وأكثروا منه ، وساروا فيه كسير [8] السواني [أ] وهو [9] فشار مثبوت على أعتاب خزائن الأسرار الإلهية التي لا تفتح إلا بمفتاح [10] النبوات ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴾ [ب] . وقد ورد فيما رواه سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة (رضي اللّٰه عنه) قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء باللّٰه ، فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة باللّٰه [جـ] » . فأهل الغرة باللّٰه [11] ، الفلاسفة والدهريون ، ثوروا من عرصة الجهل علمًا ، وصوروا من العدم وجودًا ، وادعوا علة ومعلولًا .

(1) نسخة 3 ، 4 : وطلائع .
(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الإنكار .
(3) نسخة 3 : سرادقات .
(4) نسخة 3 ، 4 : وما حاك في صدوركم .
(5) نسخة 3 ، 4 : مطالعة .
(6) نسخة 2 ، 4 : أربت .
(7) نسخة 1 ، 2 ، 4 : واليونانيين .
(8) نسخة 2 : هو كسير .
(9) نسخة 2 ، 3 ، 4 : هو .
(10) نسخة 2 : بمفاتح .
(11) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « باللّٰه » ساقطة .

(أ) السواني : ما يسقى عليه الزرع والحيوان من بعير وغيره . ومفردها سانية وهي الناقة التي يستقى عليها ، وفي المثل : سير السواني ، ومعناه سفر لا ينقطع . انظر لسان العرب (مادة سنا) – ج 14 – ص 404 .
(ب) سورة الجن – الآيات : 26 ، 27 ، 28 .
(جـ) أهل الغرة باللّٰه : أصحاب الغرور والتكبر على اللّٰه تعالى . قال تعالى : ﴿ ولا يغرنكم باللّٰه الغرور ﴾ سورة فاطر – الآية : 5 . والحديث أخرجه الحافظ العراقي على هامش إحياء علوم الدين للإمام الغزالي وقال فيه : « الحديث رواه أبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين له في التصوف من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف » – جـ 1 – ص 35 . وأخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة وقال : « ضعيف جدًا » – جـ 2 – ص 262 .

الباب التاسع

في الكشف عن أغاليط الفلاسفة ، وإيضاح طريق الأنبياء عليهم السلام

[قال الشيخ رضي اللّٰه عنه] (1) غلطت (2) الفلاسفة وضل سعيهم ، ولم يظهروا (3) بتخليص نور الفطرة من ظلم (4) رسوم الخلقة ، ولم يطووا بساط الأطوار الخلقية ليخلصوا إلى الأنوار الفطرية التي أودعت فيهم بخطاب ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ (أ) ، وهم يتقلبون ذرًا في فضاء القدرة ، مُلجأون إلى الجواب « بيلى » ، وقد بلغنا بالإجازة الشريفة قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن عساكر إجازة قال : أخبرنا أبو طالب عبد القادر محمد بن يوسف قال : أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الأزجي قال : أخبرنا عبيد الله بن محمد بن سلمان [الدقاق المخرمي قال : أخبرنا جعفر بن محمد الفريابي قال : حدثنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن] (5) الدمشقي قال : حدثنا أيوب بن سويد قال : حدثنا أبو يحيى بن عمر الشيباني عن عبد اللّٰه بن الديلمي عن عبد اللّٰه بن عمر (رضي اللّٰه عنهما) قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « إن اللّٰه خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره ، فمن أصابه ذلك النور اهتدى ، ومن أخطأه ذلك النور ضل وغوى ؛ فلذلك أقول جف القلم بما هو كائن » (ب) [قال الشيخ رضي اللّٰه عنه] (6) فالعدل الأزلي والقهر الإلهي أدرك زمرة الفلاسفة والدهرية في ظلمة (7) الخلقة ، ولم تهمر (8) (جـ) عليهم سحائب الجود الأزلي بإسهامهم حظ النور ، ووكلهم إلى عقولهم ، والعقل حجة اللّٰه يضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا ، فتوجهت عقولهم بنتائجها من

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : غلط .
(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : يظفروا .
(4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ظلمة .
(5) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(6) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(7) نسخة 3 ، 4 : ظلمات .
(8) نسخة 2 ، 4 : تهم ، نسخة 3 : تمر .

(أ) سورة الأعراف – الآية : 172 .
(ب) الحديث سبق تخريجه عن الترمذي وقال فيه : هذا حديث حسن – انظر سنن الترمذي – ج 5 – ص 26 ، وأيضًا أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده – ج 2 – ص 176 .
(جـ) لم تهمر : لم يسل أو لم يسقط أو لم يصب عليهم . انظر لسان العرب (مادة همر) – جـ 5 – ص 266 .

الأفكار ، وامتدت بالوقوف على علم [1] المنطق والرياضيات والطبيعيات ، فما زالت [2] متوالدات [3] أفكارهم حتى رقت بهم إلى العناصر ، ثم إلى فلك القمر وما وراء ذلك من الأفلاك والنجوم ، حتى انتهت موكولة [4] إلى آرائها فانتهى سيرها ، فصيروا [5] من العدم وجودًا وثوروا من عرصة الجهل علمًا ، ودارت رؤوسهم بهوسات قنع بها دنيٌّ هممهم [6] ، مُضيعين لمعرفة بارئهم وخالقهم ولم يهتدوا إلى معرفة الروح العلوي الروحاني القدسي الذي اختلف فيه آراء [7] أهل الإيمان ، فمن قائل إنه قديم ؛ لأنه من أمر الله تعالى ، قال الله عز وجل : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [أ] . وقالوا : أمره قديم فيكون الروح قديمًا . ومن قائل إنه محدث لما ورد : « إن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام » [ب] وهذا هو الصحيح [8] ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ [ج] . فلو أضاف [9] الفلاسفة رتبة العلية إلى [10] الروح العلوي لما استنشق منه روح القدم ، لكان له وجه بأن يكون الله تعالى جعله مفتتح باب تكوين عالم الشهادة ، ومن أثبت حدوثه لا يغيب عن البصائر أنه يكون أقرب المخلوقات إلى الله تعالى ، وكان حريًّا بإضافة العلية إليه ، فأمر [11] الروح أمر عظيم لعظم شأنه ، وللأقوال فيه متسع . نُقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : « الروح ملك من الملائكة ، له سبعون ألف وجه ، ولكل وجه منه [12] سبعون ألف لسان ، ولكل لسان منه [13] سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ، ويخلق الله [14] من كل تسبيحة ملكًا

---

(1) نسخة 3 : علوم .

(2) نسخة 3 ، 4 : مما دلت .

(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : متولدات .

(4) نسخة 3 : عقولهم موكولة .

(5) نسخة 2 ، 3 : 4 : فصوروا .

(6) نسخة 3 ، 4 : وهمهم .

(7) نسخة 3 : رأي .

(8) نسخة 2 ، 3 : 4 : « وهذا هو الصحيح » ساقط .

(9) نسخة 2 : أحال .

(10) نسخة 2 : على .

(11) نسخة 3 : وأمر .

(12 ، 13) نسخة 2 : « منه » ساقطة .

(14) نسخة 1 ، 4 : « الله » ساقطة .

(أ) سورة الإسراء – الآية : 85 .

(ب) أورده ابن الجوزي في كتاب الموضوعات بلفظ : « قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ، ثم حطها تحت العرش ، ثم أمرها بالطاعة لي فأول روح سلم على روح علي عليه السلام » . قال ابن الجوزي : « هذا حديث موضوع قال الأزدي : عبد الله بن أيوب – وهو في سلسلة رواة الحديث – وأبوه كذابان لا تحل الرواية عنهما » انظر جـ 1 – ص 401 – دار الفكر – ط 2 – بيروت 1983 م .

(ج) سورة البقرة – الآية : 148 .

يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة » (أ) فما (1) هذا وصفه قَمِن (ب) أن تضاف إليه العلية ، وجعله مفتتح باب الملك ، وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : « إن الروح خلق من خلق الله صور على صورة (2) بني آدم ، وما نزل من السماء ملك إلا ومعه واحد من الروح » (جـ) . فأقوال أصحاب رسول الله ﷺ أضواء مقتبسة من مشكاة النبوة ، مختالة في ملابس الصحة والقوة منغرسة (3) في مغارس القلوب المحفوظة بنور الإيمان . وقال مجاهد : الروح على صورة بني آدم ، لهم أيد (4) وأرجل ورؤوس يأكلون الطعام ، وليسوا بملائكة . وقال أبو صالح : الروح كهيئة الناس (5) وليسوا بناس . وقال سعيد بن جبير : « لم يخلق الله خلقًا أعظم من الروح غير العرش ، ولو شاء أن يبتلع السموات والأرضين السبع في لقمة لفعل ، صورة خلقه على صورة الملائكة ، وصورة وجهه على صورة الآدميين ، يقوم يوم القيامة عن يمين العرش ، والملائكة معه في صف واحد ، وهو ممن يشفع لأهل التوحيد ، ولولا أن بينه وبين الملائكة سترًا من نور لاحترق (6) أهل السموات من نوره » (د) . [قال الشيخ رضي الله عنه] (7) وهذه (8) الأقاويل من أهل الورع والتقوى من التابعين لا تكون إلا متلقاة من أصحاب رسول الله ﷺ ، الناطقين بالحق المتلقين (9) من الوحي المنزل . عميت (10) بصائر الفلاسفة وبقوا في تيه أفكارهم ، أين هم من مطالعة هذه العوالم البعيدة المدى ، التي (11) من شام (هـ) بارقة من أسرارها

(1) نسخة 2 : فمن .

(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : صورهم على صور .

(3) نسخة 1 ، 3 : منغرس .

(4) نسخة 2 ، 3 : أيدي .

(5) نسخة 3 ، 4 : الإنسان .

(6) نسخة 2 : لأحرق .

(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(8) نسخة 3 ، 4 : فهذه .

(9) نسخة 1 : « المتلقين » ساقط .

(10) نسخة 3 : عميت عنها .

(11) نسخة 2 : الذي .

(أ) أورده السيوطي قال : « أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في كتاب الأضداد وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي في الأسماء والصفات عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله ﴿ ويسألونك عن الروح ﴾ قال : ... إلى آخر الأثر » انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور – بيروت – 1990 م – جـ 4 – ص 361 .

(ب) قمن : أحرى أو أولى .

(جـ) أورده السيوطي في الدر المنثور – جـ 4 – ص 361 .

(د) انظر هذه الأقوال عند البيهقي ، الأسماء والصفات ، ص 366 - 368 ، وأيضًا السيوطي في الدر المنثور – جـ 6 – ص 506 . تفسير آية ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفًا ﴾ سورة النبأ – الآية 38 .

(هـ) شام : معناها نال أو دخل ، يقول ابن منظور : وأصل الشيم النظر إلى البرق ... وشام الشيء في الشيء : أدخله وخبأه . انظر لسان العرب (مادة شيم) جـ 12 – ص 330 - 331 .

اهتدى ، فهلا أضاف العلية إلى مثل هذا ، وعدل [1] منه إلى علة العلل المشابهة [2] للات وهبل [3] ؟ [فمسارح نظرهم] [4] سراب وعن أوطان الحقائق اغتراب . ﴿ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ [أ] يصلون بزعمهم إلى عديم القدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام ، وإذا [5] لم يجدوا إلى معرفة الروح سبيلًا ليضيفوا العلية إليه ، فهلا عدلوا إلى العقل ؟ وقد ورد في الخبر على ما سيأتي إسناده في غير هذا الباب [ب] ، وذلك على ما ورد : قال رسول اللّٰه ﷺ : « أول ما خلق اللّٰه العقل قال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ، ثم قال له : اقعُد فقعد ، ثم قال له : انطق فنطق ، ثم قال له : اصمت فصمت ، فقال : وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي وجبروتي وسلطاني ما خلقت خلقًا أحبُّ إليَّ منك ولا أكرم عليَّ منك ، بك أُعرف ، وبك أُعبد ، وبك أُطاع ، وبك آخذ ، وبك أُعطي ، وإياك أعاتب ، ولك الثواب وعليك العقاب ، وما أكرمتك بشيء أفضل من الصبر » . وكان هذا الخلق العزيز على اللّٰه حريًّا أن تكون العلِّية مُضافة إليه ، وهم جعلوه معلولًا وكان بالعلية أولى من المعلولية ، وقد ورد : « أن أول ما خلق اللّٰه القلم ، ثم خلق النون وهي الدواة ، ثم قال : اكتب ، قال : وما أكتب ؟ قال : ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة » [جـ] . فذلك قوله تعالى : ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [د] ، والفلاسفة رأوا ظهر المرآة ولم يروا وجه المرآة الذي [6] تنعكس الأشياء فيه على حقائقها ، فعبروا عن ذلك بالعنصر ، فلا تزال عباراتهم معكوسة منكوسة ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، وكان رسول اللّٰه ﷺ إذا ذكر له عن رجل شدة اجتهاده وعبادته سأل عن عقله . لما قد علم أن العقل هو الذي أهل لمعرفة مقادير العبودية ، وقال رسول اللّٰه ﷺ : « لا يعجبنكم إسلام رجل حتى تعلموا [7] ما عقدة عقله » [هـ]

---

(1) نسخة 2 ، 4 : وعدوله .
(2) نسخة 2 : المشابه .
(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : والهبل .
(4) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين « مصارفهم » .
(5) نسخة 2 : وإذ .
(6) نسخة 1 ، 4 : التي .
(7) نسخة 2 : تنظروا .

(أ) سورة النور – الآية : 39 .
(ب) أورد السهروردي هذا الحديث بإسناده كاملًا ، وقد كرر الاستشهاد به دون الإسناد عدة مرات ، وقد أخرجه الحافظ العراقي في الإحياء – ج 12 – ص 142 .
(جـ) انظر ابن الجوزي – كتاب الأذكياء – المصدر السابق ، ص 11 .
(د) سورة القلم – الآية : 1 .
(هـ) انظر الحارث بن أبي أسامة – بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث – جـ 2 – ص 805 – حديث رقم 823 .

وروي عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت : « قلت : يا رسول الله بأي شيء يتفاضل الناس ؟ قال : بالعقل في الدنيا والآخرة ، قلت : أليس يُجزى الناس بأعمالهم ؟ [قال : يا عائشة وهل يعمل بطاعة الله إلا من عقل ؟ فبقدر عقولهم] [1] يعملون ، وعلى قدر ما يعملون يجزون » [أ] . وقال رسول الله ﷺ : « [إن الرجل لينطلق إلى المسجد فيصلي وصلاته لا تعدل جناح بعوضة ، وإن الرجل ليأتي] [2] المسجد فيصلي وصلاته تعدل جبل أحد إذا كان أحسنهم عقلًا » [ب] [قال الشيخ رضي الله عنه] [3] عدمت الفلاسفة عقل الهداية ، وقنعوا بقضية علم [4] منقسم إلى بديهي وضروري وكسبي ، وتعاملوا به في تثبيت عالم الحس والشهادة ، وكان [5] حظهم من [6] العقل إدباره ، حيث قال الله له : أدبر ، وحظ الأنبياء من [7] العقل إقباله ، حيث قال الله له : أقبل . فصار الظفر بالثبوت على صراط الاستقامة في العلم للأنبياء صلوات الله عليهم ؛ لأنهم أدركوا أمهات العلوم وجُمَلَها ، واطلعوا على غايات مطارح نظر العقلاء ومسارح فكرهم ، ولم ينقطعوا بالجزئي عن الكلي ، والفلاسفة انقطعوا بالجزئي عن الكلي ؛ فالكلي وقف على الأرواح القدسية والقلوب الصافية الزكية ، والجزئي متشعب في أودية الأفكار بمثابة الأوشال [جـ] المنقطعة الاتصال ، وذلك أن الأنبياء أقبلوا على الله عن صفو يقين ، موهوب لهم بقلوب مملوءة بحب الله ، ونفوسهم الإنسية المشاركة لنفوس غيرهم برابطة النفسية ، كانت على طبعها من امتلائها بالحديث الذي يجري في النفوس ، وهو رشح النفس [8] الناطقة ، والتخيل المخامر لها المعجون فيها ، والعبارة عن ذلك الوجود الذهني ، فبحسن الإقبال على الله تعالى استنارت أجرام [د]

(1 ، 2) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(4) نسخة 2 : عقل .

(5) نسخة 2 ، 3 : فكان .

(6 ، 7) نسخة 2 : في .

(8) نسخة 3 : النفوس .

(أ) انظر أبي جعفر محمد حماد العقيلي – كتاب الضعفاء الكبير – تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط 1 – 1984 م – جـ 1 – ص 103 . وقال العقيلي في رواته : « جميعًا منكرين » .

(ب) انظر الزبيدي – إتحاف السادة المتقين – جـ 8 – ص 490 ، وأيضًا سليمان بن أحمد بن أيوب – المعجم الكبير – جـ 4 – ص 149 ، بلفظ : « قال النبي ﷺ : قد يتوجه الرجلان إلى المسجد ، وينصرف أحدهما وصلاته أفضل من الآخر إذا كان أفضلهما عقلًا ، وينصرف الآخر وصلاته لا تعدل مثقال ذرة » .

(جـ) الأوشال : جمع وشل وهو الماء الذي يخرج من بين الصخر قليلًا قليلًا . انظر لسان العرب (مادة وشل) جـ 11 – ص 725 .

(د) أجرام : جمع جرم وهو الصوت . انظر لسان العرب (مادة جرم) جـ 12 – ص 92 .

حديث النفس ، وانقلبت أعيانها بوصول إكسير نور الجلال إليها ، فصارت أعيانها علومًا إلهامية لدنية ، كلما أَلَمَّ بقلوبهم [1] علم إلهامي فروا منه إلى الملهم [الأزلي فتقرر بفرارهم إلى الملهم جوهرية العلم في قلوبهم ، وعوضهم اللّٰه عن الفرار من الإلهام إلى المُلهم] [2] بأن جعل لهم أقوالًا فعالة تنساق إلى الاستعدادات والأوضاع الصالحة ، فتجذبها [3] إلى اللّٰه تعالى ثوابًا لفرارهم من النعمة إلى المنعم [لئلا تقطعهم النعمة عن المنعم] [4] ، وعوضهم عن التخيل - الذي هو من لوازم الوجود الذهني - الاطلاع على المغيبات ، فتتكشف [5] لهم الحقائق في أوعية الخيال [6] ، كما تنكشف في المنام [7] المنامات الصالحة ، كما ورد عن رسول اللّٰه ﷺ بالإجازة الشريفة عن أبي الحسن علي ابن عساكر عن أبي علي الحسن بن مُهرة الحداد عن أبي نعيم الأصفهاني قال : حدثنا أبو جعفر أحمد بن جعفر بن معبد قال : حدثنا أحمد بن عبد العزيز البزاز قال : حدثنا محمد بن المثنى قال : حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد قال : حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد قال : سمعت مجاهدًا يحدث عن ابن عمر (رضي اللّٰه عنه) قال : خرج رسول اللّٰه ﷺ ذات يوم كأنه قابض على شيئين ، قد ضم كفيه حتى انتهى إلى أصحابه ، ففتح يمينه فقال : « بسم اللّٰه الرحمن الرحيم . هذا كتاب من الرحمن الرحيم فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وأسماء عشائرهم مجمل على آخرهم ، لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ، ثم فتح يساره فقال : بسم اللّٰه الرحمن الرحيم . هذا كتاب من الرحمن الرحيم فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم [8] وعشائرهم ، مجملٌ على آخرهم ، لا يزاد فيهم [9] ولا ينقص منهم » [أ] ولو التفتوا إلى الإلهام بالإصغاء إليه ، واسترسلوا في إثباته في الأذهان لكثف ذلك وقذفهم [10] في أودية الإنكار التي هي مهلكة لأقوام اعتدوا بها واتخذوها أساس أمرهم ، وبنوا على شفا [11] جرف هار فانهار بهم [12] في نار جهنم ،

(1) نسخة 2 : بقلبهم .
(2) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط وبهامشها مثبت كما هو بالنص .
(3) نسخة 2 : تجذبها .
(4) نسخة 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : تنكشف .
(6) نسخة 3 ، 4 : حقائق في الأوعية الخيالية .
(7) نسخة 2 : « المنام » ساقطة .
(8) نسخة 2 : وأسماء عشائرهم .
(9) نسخة 3 ، 4 : « فيهم » ساقط .
(10) نسخة 2 : وقذفتهم .
(11) نسخة 2 : شفى .
(12) نسخة 2 ، 3 ، 4 : به .

(أ) الحديث سبق تخريجه عن الإمام أحمد بن حنبل في مسنده - ج 2 - ص 167 ، وأيضًا الترمذي في سننه - ج 4 - ص 449 .

واللّه تعالى بتوفيقه وتوفيره حظَّ الأنبياء صلوات اللّه عليهم من العلم جعل لقلوبهم وجهًا إلى النفس التي هي الروح الحيواني - [علي ما أسلفناه في غير هذا الباب - ووجهًا إلى الروح العلوي الروحاني الذي هو من أمر اللّه ، ومع استنارة (1) القلب بنور الروح الروحاني] (2) يضيق أن يكون وعاء للعلم ، فإذا توجه إلى النفس بوجهه الذي يليه (3) يبقى على ضرب من الانفصال من الروح العلوي والعلوم الأزلية التي تنفذ البحار دون نفادها ، ما انتقش منها في اللوح المحفوظ صارت على ضرب من الانفصال ، فصار بين المنفصلين مناسبة موجبة (4) ، لكون القلب يصير وعاء وجوديًا تستقر فيه العلوم والمعارف ، ولو بقي مستترًا (5) بشعاع الروح لم يصلح وعاء (6) للعلم لكمال استغراقه ، فعلوم الأنبياء من هذا القبيل مواهب غيبية ، ولولا انفصال القلب من الروح العلوي بتوجهه إلى النفْس حتى صار وعاء للعلم بذلك ، لكان من حنوه إلى اللّه تعالى وشوقه بواسطة الروح [في شغل شاغل عن إثباتْ العلوم ؛ فالروح] (7) العلوي له الحظ الوافر من القرب من اللّه تعالى ، والعقل لسان الروح وترجمانه ، وخطاب اللّه للعقل على ما ورد : « أول ما خلق اللّه العقل » إشارة إلى العقل (8) ؛ لأنه لسان الروح ، وحكم اللسان حكم لذي اللسان في الخطاب ، وهاهنا زلت أقدام الفلاسفة بانتهاء أفكارهم إلى إثبات هذا العقل ، الذي تخيلوه المعلول الأول ، بل لا علة (9) ، بل المعلول والعلة شيء واحد ، وهو خلق من خلق اللّه ، ولما انقطع سير عقولهم (10) جعلوه هو الأول ؛ إذ لم يجدوا سبيلًا إلى ما وراء ذلك ، فحينئذٍ رجعوا من عنده وأقبلوا بالعقل الثاني الذي زعموه موجودًا بواسطة العقل الأول [وجعلوا (11) للعقل الأول وجهين : وجه إلى الإمكان ، ووجه] (12) إلى الإيجاب بواجب الوجود على ما زعموه ، ولم يعرفوا واجب الوجود أبدًا ؛ إذ لا سبيل

---

(1) نسخة 2 : استنار . نسخة 4 : ومتى استنار . (2) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(3) نسخة 2 : يليها . (4) نسخة 3 : وجودية .

(5) نسخة 3 ، 4 : مستنيرًا . (6) نسخة 2 : أن يكون وعاء .

(7) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط . بهامشها مثبت كما هو بالنص .

(8) نسخة 1 : الروح ، وقد يكون المعنى مع هذه اللفظة صحيحًا ويكون الكلام هكذا : « إشارة إلى الروح ؛ لأن العقل لسان الروح » . ويصدق هذا المعنى سياق الكلام اللاحق حيث يقول : « وحكم اللسان حكم لذي اللسان في الخطاب » .

(9) نسخة 3 : بلا علة .

(10) نسخة 4 : عقلهم . (11) نسخة 1 : وجعلوه .

(12) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

لهم إلى ذلك ، وأخذ العقل الذي هو لسان الروح في السير [1] في عوالم الغيوب ، وأخذ العقل الثاني بأيدي أفكارهم وسيرها [2] في ميادين الكائنات ، فوصل إلى المنزل الأول [3] من النفس الكُلي ، ثم إلى المنزل الثاني من الأجرام الفلكية ، ثم إلى المنزل الثالث من الكواكب ، ثم إلى المنزل الرابع من العناصر ، ثم إلى المنزل الخامس من المركبات ، فتاهوا بأفكارهم في ميدان [4] عالم الشهادة والملك والحكمة ، وغابوا بهذه القشور عن لباب القدرة المحتجب بسجاف الحكمة وعالم الغيب ، غيب الأرض والسماء المكتن [5] (أ) في أكنان القدرة ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (ب) ، فالأنبياء عليهم السلام سلكوا بالعقل الأول ودخلوا به إلى عوالم الغيوب ، ملازمين لمنازل القرب ، عاكفين بأرواحهم على مطالعة الجلال والجمال الأزلي ، مثبتين [6] للعلم بالأمور الأخروية من الجنة والنار والحوض والشفاعة وغير ذلك ، وكلما [ازداد الأنبياء بمطالعتهم صحائف القدر قربًا من اللّه تعالى] [7] ، ازداد الفلاسفة بإشغال [8] أفكارهم وغرقهم في مغرقة علمهم وفكرهم بُعدًا من اللّه ، فاختلف الطريقان وتباين المسلكان :

هـواك نجـد وهـواي الـشـام وذا وهذا قط لا يلتام (جـ)

وعالم الشهادة وما فيه معتبر للأنبياء [9] صلوات اللّه عليهم ، أحاطوا بجملته المشتملة [10] على تفاصيله ، علمًا انعكس في مرآة قلوبهم دفعة واحدة ، استغنوا عن تحري تفاصيله بالأفكار من غير كدٍّ وعناء ، بل بلذاذة وهناء ، مستدلين بالصنع على الصانع ، متنزهين في رياض القدرة والحكمة ، ناظرين من القدرة والحكمة إلى الحكيم القادر ، لا يطرف

---

(1) نسخة 4 : « في السير » ساقط .
(2) نسخة 3 ، 4 : في سيرها .
(3) نسخة 1 : أول المنزل .
(4) نسخة 3 ، 4 : بيداء .
(5) نسخة 3 : المستكن .
(6) نسخة 1 : مبينين ، وبهامشها مثبت كما هو بالنص .
(7) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(8) نسخة 4 : باشتغال .
(9) نسخة 2 ، 4 : الأنبياء .
(10) نسخة 1 : بجمله المشتمل ، وبهامشها مثبت كما هو بالنص .

(أ) المكتن : المستتر .
أكنان : جمع كن وهو كالأبنية والمساكن تقي الحر والبرد . ويقال : كِن : هو كل شيء وقى شيئًا . انظر لسان العرب (مادة كنن) جـ 13 – ص 360 .
(ب) سورة النحل – الآية : 77 .
(جـ) لا يلتام : لا يلتقيان أو لا يتشابهان .

طرف بصيرتهم بقذى [1] الكائنات ، وطرف عقول الفلاسفة محشو [2] بقذى [3] الكون بمطالعته ، فأبرز الحق سبحانه بواسطة العقل الثاني الإحاطة [4] بأجزاء الكائنات وعالم الشهادة ، حتى وقف الخلق على كيفية مركبات الكون من الأفلاك والنجوم ، فإن كان ظهور ذلك بواسطة الأنبياء ؛ فمنحة من اللّٰه وقسط [5] من العلم ، وإن كان ذلك لا بواسطة الأنبياء صلوات اللّٰه عليهم ؛ فالكل تعريف من الحق سبحانه وتعالى ، والخلق في خطة العجز عن إدراك ذلك ، حتى العلوم المذمومة كالسحر والطلسمات والأكتاف ، كل ذلك من تعريف اللّٰه ، ولكن يضل بذلك من يشاء من خلقه ليكون العلم حجة عليهم ، ويهدي بذلك من يشاء ليكون معتبرًا لهم :

وفي كل شيءٍ له آية تدل على أنه واحد [أ]

فمن [6] الآيات العظيمة : الشمس التي خلقها اللّٰه تعالى ، وجعلها بإجراء سنته سببًا لتربية الجمادات والناميات والحيوانات ، وهي بمقدار [7] الأرض مائة وستة وستون مرة وربع وثمن ، ثم أعظم الكواكب خمسة عشر كوكبًا من الكواكب الثابتة ، كل واحد منها مثل أربعة وتسعين مرة ونصف مثل الأرض ، ثم زحل وهو مثل الأرض تسعة وتسعين مرة ونصف ، ثم المشتري وهو مثل الأرض اثنين وثمانين مرة ونصف وربع مرة ، ثم سائر الكواكب الثابتة الباقية ، كل واحد منها يصغر عن الآخر [8] على مراتبها ، حتى يكون أصغرها مثل ستة عشر مرة من الأرض ، ثم المريخ وهو مثل مرة ونصف من الأرض ، ثم القمر وهو أصغر من الأرض ويقع من الأرض مثل جزءٍ [9] من تسعة وثلاثين جزءًا وربع جزء [10] من الأرض ، ثم الزهرة وهي جزؤٌ من أربعة وأربعين جزءًا [11] من الأرض ، ثم عطارد وهو جزء من مائة واثنين وثلاثين جزءًا من الأرض ، فهذه مقادير أجرام الكواكب وأبعاد الأفلاك من الأرض ، وأما أبعاد الأفلاك [12] فإن

---

(1) نسخة 2 : بقذا .
(2) نسخة 1 : محشوش .
(3) نسخة 1 ، 3 ، 4 : قذى .
(4) نسخة 3 : لإحاطته .
(5) نسخة 2 : وقيسط .
(6) نسخة 2 ، 3 : من .
(7) نسخة 2 : مقدار .
(8) نسخة 2 : الأرض .
(9 – 10) نسخة 1 : جزؤ .
(11) نسخة 1 : جزؤًا .
(12) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « وأما أبعاد الأفلاك » ساقط .

(أ) هذا البيت مشهور لأبي العتاهية – انظر ديوانه ص 122 وقد نسبه ابن خلكان في وفيات الأعيان إلى أبي نواس – ج 7 – ص 138 ، وقد ذكر الطوسي في هذا المعنى قول القائل :

وفي كل شيء له شاهد يدل على أنه واحد

انظر كتاب اللمع – تحقيق د. عبد الحليم محمود – دار الكتب الحديثة بمصر – 1960 م – ص 53 .

من مركز الأرض إلى أقرب بعد فلك القمر مائة ألف وثمانية وعشرين [1] ألفًا وأربعة وتسعين [2] ميلًا ، والميل : ثلاثة آلاف ذراع ، وغلظ فلك [3] القمر مائة وستة عشر ألفًا [4] وثمان مائة وأربعون ميلًا ، وأبعد بُعد القمر الذي هو أقرب بُعد فلك عطارد مائتان وأربعة وأربعون ألفًا وتسع مائة وثمانية [وثلاثون ميلًا ، وغلظ فلك عطارد ثلاث مائة وثمانية وثمانون ألفًا] [5] وثمان مائة وخمسون ميلًا ، وعلى هذا الترتيب كل فلك بالنسبة إلى الفلك الآخر ، حتى قيل : نسبة الأرض إلى فلك البروج جزءٌ من ألف ألف وثلاث مائة ألف وستة وخمسون [6] ألفًا وثلاث مائة وأربعة وستون [7] جزءًا من درجة واحدة ؛ فهذه [8] عرصة من عرصات الملك الإلهي ، تحير العقل فيه ، وهو عالم من عوالم اللّٰه تعالى وهو حبس عقول الفلاسفة ما لهم منه ارتقاء ، وما فيه من الكواكب وعلم التسيير والاتصالات والكسوف والخسوف والمقارنة والمقابلة والتربيع والتثليث كل ذلك مسلم ، فإذا آل الأمر إلى الحكم بالتأثيرات [9] يدفع في صدورهم بالإنكار ويخفى بالاستكبار ، ويقال : الأمر إلى صانع الكواكب [10] لا إلى الكوكب ، وإلى الأملاك الموكلة بها [من عند اللّٰه لا إلى المراكب ، فالكواكب مراكب والأفلاك حركاتها بالأملاك] [11] فلا تشرك بالنجوم ؛ فالشرك بها مشؤم [12] ، وقد ورد فيما بلغنا بالإجازة الشريفة إلى أبي زرعة بإسناده إلى ابن ماجه قال : حدثنا أبو بكر قال : حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد اللّٰه بن الأخنس عن الوليد بن عبد اللّٰه عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس (رضي اللّٰه عنهما) قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « من اقتبس علمًا [13] من النجوم اقتبس شعبة من السحر [14] زاد ما زاد » [أ] .

---

(1) نسخة 2 : وعشرون .

(2) نسخة 2 : وتسعون .

(3) نسخة 4 : ذلك .

(4) نسخة 2 : ألف .

(5) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(6) نسخة 2 : وخمسين .

(7) نسخة 2 : وستين .

(8) نسخة 2 : فهذا .

(9) نسخة 2 : والتأثيرات .

(10) نسخة 2 ، 3 ، 4 : إلى الكواكب .

(11) نسخة 2 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(12) نسخة 1 : مسموم .

(13) نسخة 2 : شعبة .

(14) نسخة 2 ، 3 ، 4 : النفاق .

(أ) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده – جـ 1 – ص 227 ، وأخرجه أبي داود في سننه – كتاب الطب – باب 22 – جـ 4 – ص 226 ، وأخرجه ابن ماجه في سننه – (كتاب الأدب) – باب 28 – جـ 2 – ص 1227 .

الباب العاشر

في ذكر عظيم خلق الله في عالم الغيب

[قال شيخ الإسلام شهاب الملة والدين رضي اللّٰه عنه] (1) : اعلم أن مالا نهاية له لا طرف له ولا حدٌّ ينتهي إليه ، فإذا كان كذلك ؛ فالأزل أبدٌ والأبد أزلٌ ، تفانت الأفكار وانقطع سيرُ (2) الأوهام (3) ، وتاهت العقول في مهامه العجز ، فمن ترامى إلى إدراك (4) أمر من أمور غيب اللّٰه وشهادته راكنًا إلى موهومه ومعقوله ، غير مستعين باللّٰه في (5) التفهيم والتنبيه ؛ فإنه يضلُّ عن سنن الرشاد ، ويتظاهر بنضال العناد ، وعوالم اللّٰه تعالى عَلمها الأنبياء وعلمها (6) غيرهم ، [وما لم ينته إليه علوم الأنبياء صلى اللّٰه عليهم وغيرهم] (7) بل هي في بخزائن العلم (8) القديم لم تبرز من مكامن الغيب إلى فضاء الوجود ، ولا وقعت في شبكة (9) العلوم التي تلائم هذه الدار الفانية القصيرة الأمد من الأنبياء وغيرهم ، ولكن أثبت العقلُ المكتحل بنور الهداية الأزلية جُملها دون تفاصيلها ؛ إذ الجملة تُدرك بشعاع نور الشهود ، والتفاصيل لا تدرك لضيق وعاء الوجود ، كُل ذلك بالنسبة إلى الأزل (10) الأزلي ، والأبد (11) الأبدي أحقر من خردلة بالنسبة إلى جميع العوالم ، وحيث الأمر كذلك يتعجب من مُدع عقلًا أن ينشر لعلمه (12) القاصر ديوانًا ، ويخيل (13) إلى نفسه تبيانًا وبيانًا وحدًّا وبرهانًا بالتصور (14) والتصديق ، ولا تطرف (15) عين بصيرته خجلًا وحياء ، ولا ترتعد فرائصه هيبة وعياء ، ولا يتوارى في تخوم الصغار (أ) ،

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(2) نسخة 3 ، 4 : سير .
(3) نسخة 2 : الأفهام .
(4) نسخة 2 : « إدراك » ساقطة .
(5) نسخة 1 : من .
(6) نسخة 2 : « وعلمها » ساقطة .
(7) نسخة 2 : ما بين المعقوفتين كالآتي : وما لم تنته إليه علومهم .
(8) نسخة 2 : غيب .
(9) نسخة 2 ، 3 : شباك .
(10) نسخة 2 ، 4 : أزل ، نسخة 3 : (الأزل) ساقط .
(11) نسخة 2 ، 3 ، 4 : أبد .
(12) نسخة 2 ، 3 : لعقله .
(13) نسخة 4 : ويحيل .
(14) نسخة 2 : بالتصوير .
(15) نسخة 1 : تطرق ، نسخة 4 : ولا يطرق .

(أ) الصغار : جمع صغر وهو ضد الكبر . انظر لسان العرب – (مادة صغر) – جـ 4 – ص 458 .

ويكبح طِرف طَرفه في ميدان الأسرار ، ما هذا الإقدام إلا جرأة ووقاحة ؛ بل تمرد [1] وسفاهة ، وأنا أذكر في هذا الباب ما أخبر به الأنبياء وأخبر به نبينا محمد صلوات اللّٰه عليه ، الذي هو مورد العلوم ومصدرها ، ومثبت الحقائق في صحائف قلوب الأمة ومسطرها [2] ، وما أخبر به يسيرٌ من كثير ؛ ليستدل [3] باليسير على الكثير ، فمن ذلك ما أخبرنا الشيخ [4] أبو المنعم حُذيفة بن سعد الوزان قال : أخبرنا العدل أبو الفضل أحمد ابن الحسن بن خيرون قراءة قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال : أخبرنا أبو علي عيسى بن محمد بن أحمد بن عمر الطوماري قال : أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد العبدي قراءة عليه قال : أخبرنا عبد المنعم وهو أبو عبد اللّٰه بن إدريس بن سنان بن سعيد بن كليب قال : أخبرنا أبي إدريس بن سنان قال : أخبرني جدي أبو أمي وهب بن منبه اليماني عن كعب (رضي اللّٰه عنه) : « إن حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة صف خلف صف ، يدورون حول العرش ، يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء ، فإذا استقبل بعضهم بعضًا ؛ هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ، ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام ، أيديهم إلى أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم ، فإذا سمعوا تهليل أولئك وتكبيرهم رفعوا أصواتهم ، فقالوا [5] : سبحانك وبحمدك أنت اللّٰه الذي لا إله غيرك ، أنت اللّٰه الأكبر [6] ، الخلق كلهم لك ، ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليد اليمنى على اليسرى على نحورهم ، من رؤوسهم إلى أقدامهم شعر ووبر وزغب وريش ، ليس منها [7] شعرة ولا وبرة ولا زغبة ولا ريشة ولا عظم ولا مفصل ولا قصبة ولا عصب ولا جلد ولا لحم ولا روح ، إلا وهو يسبح اللّٰه تعالى ويمجده ويحمده بلون من التسبيح والتحميد لا يسبح الآخر به ، ما بين جناحي الملك منهم مسيرة [8] ثلاث مائة عام ، وما بين شحمتي [9] أذنيه إلى عاتقه مسيرة [10] أربع مائة عام ، وما بين كتفي أحدهم مسيرة [11] خمس مائة عام ، [وما بين ثديي أحدهم

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : تمردًا .
(2) نسخة 3 ، 4 : ومستطرها .
(3) نسخة 2 : يُستدل .
(4) نسخة 2 : ما أخبرنا به .
(5) نسخة 2 : وقالوا .
(6) نسخة 2 ، 4 : أكبر .
(7) نسخة 4 : فيها .
(8) نسخة 2 : مسير .
(9) نسخة 1 ، 2 ، 3 : شحمة .
(10 ، 11) نسخة 2 : مسير .

مثل ذلك ، ومن قدمه إلى كعبه مسيرة خمسين ومائة عام] (1) ، وما بين كعبيه (2) إلى ركبتيه مسيرة (3) مائتي عام ، وما بين ركبتيه وأصل فخذيه مسيرة (4) خمسين ومائة عام ، وما بين فخذيه وأضلاع جنبيه مسيرة (5) ثلاث مائة عام ، [وما بين ضلعين من أضلاعه مسيرة (6) مائة عام ، وما بين كفه إلى مرفقيه مسيرة (7) مائة عام ، وما بين مرفقيه إلى أصل منكبيه مسيرة (8) ثلاث مائة عام] (9) ، وكفاه لو أذن اللّٰه له أن يقبض بأحدهما على جبال الأرض كلها لفعل ، وبالأخرى (10) على أرض الدنيا كلها لفعل (11)(أ) ، قال : « وذكر وهب : إن حملة العرش طول كل واحد منهم مسيرة (12) مائتي ألف عام وسبعة عشر ألف سنة ، وإن قدر موضع قدم أحدهم مسيرة (13) سبعة آلاف سنة ، ولهم وجوهٌ وعيونٌ لا يعلم عدتها (14) إلا اللّٰه تعالى ، فلما حملوا العرش وقعوا على رُكَبهم من عظمة اللّٰه ، فلقنوا لا حول ولا قوة إلا باللّٰه ، فاستووا قيامًا على أرجلهم ، وأن قدم كل واحد منهم نافذ (15) تحت الأرض السفلى مقدار مسيرة (16) خمس مائة عام على الريح ، يحمدون اللّٰه ويعظمونه ويمجدونه ويسبحونه لا يفترون ، يقولون : لا إله إلا اللّٰه ذو العرش المجيد الرفيع ، ثم يستغفرون اللّٰه للمؤمنين والمؤمنات » (ب) . فيأيها الغافل صاحب البضاعة النزرة اليسيرة . اعزل عقلك في سماع هذا الأثر من آثار عظمة اللّٰه ، وقد أثبت في عالم الملك في مقادير الكواكب ما إذا سمعه العامي ينكر ذلك ويقول : ما هذه النسبة بين الشمس والأرض ؟! وعقلك (17) في إنكار هذا الخبر بالنسبة إلى عقول الأنبياء – صلوات اللّٰه عليهم ، الذين أحاطوا علمًا بهذه العوامل – كنسبة عقل العامي

---

(1) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(2) نسخة 1 ، 3 ، 4 : كعبه .
(3 – 8) نسخة 2 : مسير .
(9) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(10) نسخة 2 : والأخرى .
(11) نسخة 2 : فعل .
(12 ، 13) نسخة 2 : مسير .
(14) نسخة 2 : عددها .
(15) نسخة 2 ، 3 ، 4 : نافذة .
(16) نسخة 2 : مسير .
(17) نسخة 3 ، 4 : فعقلك .

(أ) أورد هذا الخبر بلفظه الإمام البغوي في تفسيره معالم التنزيل – جـ 7 – ص 139 – 140 ، سورة غافر الآية 7 – دار طيبة – ط 2 – 1995 م . والزمخشري في تفسيره الكشاف – سورة غافر الآية 7 – جـ 4 – ص 151 – دار الكتاب العربي – 1986 م – بيروت . وفقرات صغيرة من هذا الخبر الطويل أخرجها البيهقي رواية عن جابر بن عبد اللّٰه الأنصاري وعن ابن عباس رضي اللّٰه عنهم . انظر كتاب الأسماء والصفات – ص 398 - 399 .

(ب) أورد هذا الخبر بلفظ قريب الإمام السيوطي في كتابه الدر المنثور جـ 7 – ص 274 - 275 طبعة دار الفكر . وانظر تفسير الألوسي جـ 24 المجلد الثامن ص 44 - 45 تفسير الآية 7 من سورة غافر . دار الفكر .

إلى عقلك ، وما ذكر من موضع أقدامهم في [1] تخوم الأرض السفلى ، ليست هي الأرض الكرية الخلقة التي حددتها أنت وقدرتها نقطة لدائرة الفلك ، فوراء هذه الأرض أراضٍ في [2] عوالم الغيوب ، وفي طبقات بعضها الجحيم وراء ما وصل إليه مكيال هندستك . وبالإسناد إلى أبي إسحاق الثعلبي قال : حدثنا [ابن فنجويه قال : حدثنا مخلد بن جعفر بن الحسن بن علوية قال : حدثنا] [3] إسماعيل بن عيسى قال : حدثنا إسحاق بن بشر قال : حدثنا ابن جريج عن عكرمة ومقاتل عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : « قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام : إني أُحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء ، قال : لن تقوى على ذلك ، فقال : بلى ، فقال : أين تشاء أن أتخيل لك ؟ فقال : بالأبطح ، فقال : لا يسعني ، قال : فبمنى ، قال : لا يسعني ، قال : فبعرفات ، قال : ذلك بالحري أن يسعني ، فواعده فخرج النبي ﷺ للوقت ، فإذا هو بجبريل عليه السلام قد أقبل من جبل عرفات بخشخشة وكلكلة ، قد ملأ ما بين المشرق والمغرب ، ورأسه في السماء ورجلاه في تخوم الأرض ، فلما رآه النبي ﷺ خر مغشيًا عليه ، فتحول جبريل في صورته وضمه إلى صدره وقال : يا محمد لا تخف ، كيف ولو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في تخوم السابعة ؟ [4] وأن العرش لعلى كاهله ، وإنه ليتضاءل أحيانًا من مخافة الله عز وجل حتى يصير مثل الوصع – يعني العصفور – حتى لا يحمل عرش ربك إلا عظمته » [أ] فلما طلب رسول الله ﷺ من جبريل أن يراه في مضيق عالم الشهادة ، ضاق عن رؤيته نطاق عصمة رسول الله ﷺ حيث كان في مشيمة [5] خلقته ، فلما انفصل جنين فطرته من [6] مشيمة خلقته في ليلة المعراج ،

---

(1) نسخة 3 : إلى . (2) نسخة 2 : من .

(3) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط . بهامشها مثبت كما هو بالنص .

(4) نسخة 3 ، 4 : الأرض السابعة . (5) نسخة 3 : ميمنة .

(6) نسخة 2 ، 3 : « جنين فطرته من » ساقط .

(أ) شرح السنة للبغوي – المكتب الإسلامي – جـ 7 – ص 215 . وقد ورد برواية أخرى في مسند إسحق بن راهويه جـ 2 – ص 491 رقم (1076) في سلسلة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ لجبريل : إني أحب أن أراك في صورتك فقال : أتحب ذلك ؟ فقلت : نعم ، فواعده جبريل في بقيع الغرقد مكان كذا وكذا من الليل ، فلقيه رسول الله ﷺ في موعده فنشر جناحًا من أجنحته وقال روح جناحين من أجنحته تسد أفق السماء حتى ما يرى رسول الله ﷺ من السماء شيئًا » . وقد ورد برواية أخرى في المنتخب من مسنده عبد بن حميد ص 439 رقم (1519) وحكم على إسناده بالضعف وقال : وقد ثبت من غير وجه أن النبي ﷺ رأى جبريل في صورته التي خلقه الله عليها .

وصُفِّي [1] خلقته براوق [أ] سبع سموات ، وتخلف في كل سماء جزؤ من نسبة خلقته [ب] ، وجدد لباسًا من نور فطرته ، وسار مسافر فطرته في مهامه الغيوب ، وتخلف عنه جبريل وقال له : « يا أخي جبريل هذا مقام يفارق فيه الخليل خليله ؟ قال جبريل : ﴿ مَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ لو دنوت أنملة لاحترقت [جـ] ؛ ليعلم أن لنبينا صلوات الله عليه حظًا من عالم القرب لا يدركه جبريل ، ويتصاغر جبريل في ذلك العالم كما تصاغر رسول الله ﷺ في هذا العالم ؛ فهذا [2] العلم وأمثاله ليس من علوم الأفكار .

وبالإسناد إلى الثعلبي عن ابن فنجويه قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن شيث [3] قال : حدثنا المسنوحي قال : حدثنا عبد الله بن يعيش قال : حدثنا يونس بن بكير قال : حدثنا محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد عن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهم) قالت : « سمعت رسول الله ﷺ يذكر سدرة المنتهى ، يسير الراكب في ظل الفنن [د] منها مائة عام ، ولو أن رجلًا ركب حقة [هـ]

---

(1) نسخة 1 ، 3 ، 4 : وصفا . (2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : وهذا . (3) نسخة 2 : شبيب .

(أ) راوق : المصفاة . ويقال : راق الشراب أي صفا . انظر أبو بكر الرازي – مختار الصحاح – دار المعارف بمصر – (مادة روق) – ص 264 . والمقصود به : أن خلقته الجسدية صفيت بمصفاة العروج .

(ب) تجدر الإشارة هنا إلى أن مفهوم انفصال النبي ﷺ في معراجه عن النشآت البدنية مفهوم أساسي عند صوفية المسلمين ، وهو على سبيل الحقيقة لا المجاز . ويعدونه أنموذجًا يتحقق به الكُمّل من الأولياء من أمته ﷺ . وقد عالج ابن عربي موضوع معراج الأولياء . وبيّن أنه يكون على قدم المعراج النبوي ونهجه ، وأن الولي في معراجه الروحاني ينسلخ أيضًا من نشأته البدنية ، ويترك وراءه العناصر الأربعة : التراب والماء والهواء والنار ، وهذا المعراج يسميه ابن عربي « معراج التحليل على الترتيب » ، أي : التحلل من أركان النشأة البدنية على الترتيب المحدد . وهذا التحلل يصفه ابن عربي بأنه « موت » لا مفر منه للحصول في نشأة أخرى ، وهو شاق على السالك ومؤلم له ؛ لأن القبض يلازم الولي في هذه العوالم . على أن العناصر التي انسلخ منها الولي في معراجه سوف يستعيدها في عودته ويستردها واحدة تلو الأخرى على الترتيب الذي تقدها به ، ولكن بعد أن يراها بصورة أخرى مخالفة ؛ فقد كان يراها في مرحلة الانسلاخ بعين نفسه ، وهو الآن يراها بعين ربه . وكأن السهروردي في هذا النص يشير إشارة مجملة إلى هذا المعنى الذي فصله ابن عربي في أكثر من موضوع من كتبه . انظر : الفتوحات المكية جـ 3 – ص 345 – دار الكتب ، مصر 1329 هـ . ورسالة الأنوار . ضمن رسائل ابن عربي – جـ 1 – ص 13 وما بعدها – ط حيدر آباد 1361 هـ ، وانظر أيضًا : ميشيل شود كيفيتش – الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي (بالفرنسية) – ترجمه للعربية الدكتور أحمد الطيب – دار القبة الزرقاء – مراكش – المغرب – الطبعة الأولى 1999 م – الفصل العاشر .

(جـ) أخرج البيهقي عن ابن شقيق قال : « بلغني في حديث أن جبريل عليه الصلاة والسلام قال : بيننا وبين العرش سبعون حجابًا ، لو دنوت إلى أحدهن لاحترقت » قال البيهقي : وهذا الذي ذكره ابن شقيق يروى عن زرارة ابن أبي أوفى (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ مرسلًا إلا أنه لم يذكر العرش ، وفي هذا الأثر عن مجاهد بن جبر – وهو أحد أركان أهل التفسير – إشارة إلى أن الحجاب المذكور في الأخبار إنما هو بين الخلق من الملائكة وغيرهم وبين العرش . انظر الأسماء والصفات – ص 403 .

(د) الفنن : الغصن المستقيم من الشجر . (هـ) حقة : أنثى البعير الصغيرة .

وطاف على ساقها ؛ ما بلغ المكان الذي ركب منه حتى يدركه الهرم » (أ) وهي شجرة طوبى التي ذكرها اللّٰه عز وجل في سورة الرعد (ب) . وبالإسناد إلى أبي إسحاق قال : حدثنا ابن فنجويه قال : حدثنا مخلد بن جعفر قال : حدثنا الحسن بن علوية قال : حدثنا إسماعيل بن عيسى قال : حدثنا إسحاق قال : حدثنا مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس (رضي اللّٰه عنهما) قال : « إن في صدر اللوح : لا إله إلا اللّٰه ، ودينه الإسلام ، ومحمد عبده ورسوله ، فمن آمن باللّٰه تعالى وصدَّق بوعده واتبع رسوله ؛ أدخله الجنة ، قال : واللوح لوحٌ من درة بيضاء . طوله ما بين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافتاه الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوته حمراء ، وقلمه نور ، وكلامه معقود [1] بالعرش ، وأصله في حجر ملك يقال له ما طريون ، محفوظ من الشياطين ، فذلك قوله تعالى : ﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ (جـ) . للّٰه تعالى فيه [2] في كل يوم وليلة ثلاث مائة وستون لحظة ، يحيي ويميت ، ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء » [3] (د) ، والفلاسفة لم يدركوا ما أدرك الأنبياء ، وكأنهم نظروا في [4] ظهر المرآة ، وهو منتقش بنقوش عالم الشهادة ، ووجه المرآة المنعكس فيه مُجمل عالم الغيب لم يدركوه ولم يعرفوه ، وحرفوا الكلم عن مواضعه ، وساقوا ما أخبر به الأنبياء صلوات اللّٰه عليهم مساق مدركاتهم بعقولهم ، وفسروه بعباراتهم واصطلاحاتهم ، اصطلاحات صاغتها أفكارهم ، وقالوا عن اللوح المحفوظ : هو أول المبدع ، وهو العنصر الذي فيه الموجودات والمعلولات ، انبعث من كل صورة موجودٌ في العالم على المثال الذي في العنصر الأول ، فمحل الصور ومنبع الموجودات هو ذات العنصر ، وما من موجود في عالم [5] العقلي [6] وعالم [7] الحسي [8] إلا وفي ذات

(1) نسخة 4 : بر معقود .
(2) نسخة 1 : « فيه » ساقطة .
(3) نسخة 2 ، 3 : « ويفعل ما يشاء » ساقطة .
(4) نسخة 4 : إلى .
(5) نسخة 3 ، 4 : العالم .
(6) نسخة 2 : العقل .
(7) نسخة 3 ، 4 : العالم .
(8) نسخة 2 : الحس . نسخة 3 ، 4 : والذي .

(أ) أخرجه الترمذي وقال فيه : « هذا حديث حسن غريب » – باب 9 – ج 4 – ص 68 – رقم الحديث 2541 . وانظر مستدرك الحاكم على الصحيحين – ج 2 – ص 469 قال في الحكم عليه : « صحيح على شرط مسلم » . وانظر السيوطي – الدر المنثور – ج 6 – ص 125 – دار المعرفة .

(ب) إشارة إلى الآية 29 من سورة الرعد ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ﴾ .

(جـ) سورة البروج – الآية : 22 .

(د) انظر تخريجه فيما سبق . وقد ذكره الشيخ ابن أبي العز في شرحه للعقيدة الطحاوية مختصرًا ، ونسبه أيضًا إلى عبد اللّٰه بن =

العنصر صورة ومثال عنه ؛ فالذي ذكروه وأدركوه بأفكارهم كأنه ظلال قوالب معلومات الأنبياء صلوات الله عليهم ، مما تجسد للأنبياء صورها من اللوح المحفوظ والجنة والنار والنعيم والعذاب ، كل ذلك تجسد للأنبياء حقائقها بصورها التي وردت في التنزيل والكتب السالفة ، وأخبر به الأنبياء عليهم السلام ، وظلال ذلك تشكل في مرآة أفكار الدهرية والفلاسفة ، فعبروا بما انتهت إليه أفكارهم ، فضلوا في تيه علوم الأفكار ، وانقطعوا عن الوصول إلى معرفة الصانع الذي يستدل بصنعه عليه . ومما ورد من (1) عظيم أمر الله وخلقه الذي تتضاءل (2) دون إدراكه العقول ، وتتلاشي الأفهام في وصف الكرسي ، [يقول الله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ (أ) . وورد : أن كل قائمة من الكرسي] (3) طولها مثل السموات السبع والأرضين السبع ، وهو بين يدي العرش ، ويحمل الكرسي أربعة أملاك ، لكل ملك أربعة وجوه ، أقدامهم في الصخرة التي تحت الأرض السابعة السفلى مسيرة خمس مائة عام ، ملك على صورة سيد البشر آدم عليه السلام ، وهو يسأل للآدميين الرزق والمطر من السنة إلى السنة ، وملك على صورة سيد الأنعام وهو الثور ، يسأل للأنعام الرزق من السنة إلى السنة ، وملك على صورة سيد السباع وهو الأسد ، يسأل الرزق للسباع من السنة إلى السنة ، وملك على صورة سيد الطير وهو النسر يسأل للطير الرزق من السنة إلى السنة » (ب) وبالإسناد إلى الثعلبي قال : حدثنا عبد الله بن حامد الوزان قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق قال : حدثنا الحسن بن سفيان بن عامر قال : حدثنا إبراهيم ابن هشام بن يحيى الغساني قال : حدثنا أبي عن جدي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر قال : « قلت : يا رسول الله أي آية نزلت (4) عليك أعظم ؟ قال : آية الكرسي ، ثم قال : يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسي [إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي] (5) كفضل الفلاة على الحلقة » (جـ) . وفي بعض الأخبار : « أن بين حملة

(1) نسخة 2 ، 3 : من .

(2) نسخة 1 ، 3 : يتضاءل .

(3) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(4) نسخة 1 : نزل ، نسخة 3 : « نزلت » ساقطة .

(5) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

= عباس كما نسبه السهروردي إليه أيضًا . وأخرجه محمد ناصر الألباني من رواية الطبراني في المعجم الكبير – جـ 3 – ص 165 – وحكم عليه بالضعف .

(أ) سورة البقرة – الآية : 255 .

(ب) أخرجه البيهقي مختصرًا – كتاب الأسماء والصفات – ص 403 .

(جـ) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات – ص 405 .

العرش وحملة الكرسي سبعين [1] حجابًا من ظلمة ، وسبعين [2] حجابًا من نور ، غلظ كل حجاب مسيرة [3] خمس مائة سنة ، ولولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش » [أ] وورد : « أن بين الأرض والأرض اليوم مقدار خمسين ألف سنة من أيامنا وشهورنا وسنيننا ، وليس في السموات ولا [4] بينهن والأرضين [5] ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ، ولكن ذلك كله محجوب بالنور ، حجاب دون حجاب ، وشعاع دون شعاع ، مثل شعاع نور الشمس وشعاعها عند ذلك الشعاع ، وذلك النور مثل الكوكب الدري في النهار المضيء » [ب] وفي التفكر في القول بأن ليس هناك ليل ولا نهار يتبين أن بساط الزمان والمكان مطوي هنالك ، وعند ذلك تبطل تصويرات الفلاسفة من السبق الزماني والذاتي فيما ذكروه في [6] العلة والمعلول ، ويبطل احتجاجهم بالزمان حيث قدروا زمانًا ، وقد ورد : إن [7] غلظ كل سماء مسيرة ألف سنة ، وبين كل سمائين [8] مسيرة ستة آلاف سنة ، [فذلك اثنان وأربعون ألف سنة إلا ثمانية آلاف سنة] [9] » [جـ] فذلك خمسون ألف سنة ، فالذي سبق تقديره من أجرام الأفلاك والأبعاد بالأميال والذِّرعان ، ففي هذا العالم مقدر بالأعوام والشهور والأيام

(1 ، 2) نسخة 1 : سبعون .
(3) نسخة 2 : مسير .
(4) نسخة 2 : وما .
(5) نسخة 3 : 4 : « والأرضين » ساقطة .
(6) نسخة 2 : من .
(7) نسخة 2 ، 3 : « إن » ساقطة .
(8) نسخة 3 : سماء إلى سماء .
(9) نسخة 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(أ) أخرجه البيهقي – المصدر السابق – ص 403 .
(ب) أخرجه البيهقي بلفظ مختلف – الأسماء والصفات – ص 400 .
والترمذي أخرج في سننه رواية أخرى . انظر كتاب التفسير جـ 5 – ص 403 ، 404 ط مصطفى الحلبي – تحقيق إبراهيم عطوة « عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : بينما نبي الله ﷺ جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب فقال نبي الله ﷺ : هل تدرون ما هذا ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم قال : هذا العنان . هذه زوايا الأرض يسوقه الله تبارك وتعالى إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ، قال : هل تدرون ما فوقكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإنها الرقيع ؛ سقف محفوظ وموج مكفوف ، ثم قال : هل تدرون كم بينكم وبينها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : بينكم وبينها مسيرة خمسمائة سنة ثم قال : هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : فإن فوق ذلك سمائين ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، حتى عد سبع سموات ما بين كل سمائين كما بين السماء والأرض ... ثم قال : هل تدرون ما الذي تحتكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها الأرض الأخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ... » قال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه .
(جـ) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده – تحقيق أحمد محمد شاكر – جـ 3 – ص 202 رقم (1770) .

والساعات ، والدرج والدقائق ؛ ليتبين لك نسبة عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، جلت العظمة الإلهية أن يدرك (1) كنه قدرها عقول البشر ، أو أن يحيط بغايتها بالاستدلال والنظر ، والأخبار الواردة في عظيم أمر اللّٰه وعظيم خلقه من العرش والكرسي والسموات والأرض (2) والجنان (3) والنيران (4) والملائكة ؛ لا ينحصر (5) في هذا المختصر ، وإنما نقلنا من ذلك يسيرًا من كثير ، ويجمع تفاصيل ذلك خبر عزيز ، بالإجارة الشريفة إلى (6) أبي الحسن علي بن عساكر عن أبي علي الحسن بن مهرة الحداد عن أبي نعيم الأصفهاني قال : حدثنا محمد بن علي بن حبيش قال : حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني قال : حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز النسائي قال : حدثنا حماد بن سلمة عن ابن سنان عن وهب قال : « إن للّٰه تعالى ثمانية عشر ألف عالم ، الدنيا منها عالم واحد ، وما العمارة في الخراب (7) إلا كفسطاط في صحراء (8) (أ) . أيها المغتر بيسير علمه ، الراكن إلى [معقوله ، المحصور في عالم ضيق عرصته ، قصير مدته بالنسبة إلى عوالم اللّٰه] (9) يسير من كثير ، شموسُ القدرُ (10) الإلهية متسعة الأشعة ، وأنت بمثابة الخفاش ، وطائر (11) عقلك ليس له قوادم وخواف ورياش ، تطير بأجنحة الأوهام في فضاء العالم المحسوس ، المندرج في طي الأفلاك ، زعمت الإحاطة بالقدر التي لا تتناهى وتحوم حول سرادقات العزة الأزلية ؛ لتحصرها في قالب وهمك وخيالك بجنونك (12) وخبالك (13) ، عليك تضييق عرصة المحسوس (14) التي يمسحها (15) قدم قياسك ، فيا معشر المنتمين إلى

---

(1) نسخة 3 ، 4 : تدرك .
(2) نسخة 3 ، 4 : والأرضين .
(3) نسخة 1 : الجبال .
(4) نسخة 3 ، 4 : والنار .
(5) نسخة 4 : لا تنحصر .
(6) نسخة 3 ، 4 : عن .
(7) نسخة 1 : في هامشها زيادة « في هذا العالم » .
(8) نسخة 3 : الصحراء .
(9) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(10) نسخة 4 : القدرة .
(11) نسخة 3 : فطائر .
(12) نسخة 3 ، 4 : بجنوبك .
(13) نسخة 2 : « بجنونك وخبالك » ساقط . نسخة 3 : زيادة « ليضيق عليك » . نسخة 1 : في هامشها زيادة « في خيالك يضيق عليك بضيق » .
(14) نسخة 3 ، 4 : المحبوس .
(15) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الذي يمسحه .

(أ) الحافظ أبي نعيم الأصبهاني – حلية الأولياء – جـ 4 – ص 70 – مطبعة السعادة بمصر 1974 م .

الإسلام (1) من المتقدمين والمتأخرين كيعقوب الكندي وحنين بن إسحاق ويحيى النحوي وأبي الفرج المفسر وأبي سليمان السجزي وأبي سليمان محمد بن مسعر المقدسي وأبي بكر ثابت بن قرة الحراني وأبي تمام يوسف بن محمد النيسابوري وغيرهم كالفارابي وابن سينا ، تركتم علوم الأنبياء صلوات الله عليهم التي استأثرت بها الأرواح العلوية الروحانية النبوية ، التي هي متصلة ببحار العلوم الأزلية التي تنفد البحار دون نفادها : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (أ) . وبالإسناد إلى أبي إسحاق الثعلبي قال : حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن قال : حدثنا إسحاق بن سعد بن الحسين بن سفيان عن جده عن نصر عن ليث عن مقاتل عن أبي معاذ الفضل بن خالد عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم عن الربيع عن أنس عن شهر بن حوشب عن أبي بن كعب قال : « العالمون هم الملائكة ، وهم ثمانية عشر ألف ملك ، منهم أربعة آلاف وخمس مائة ملك بالمشرق ، وأربعة آلاف وخمس مائة ملك بالمغرب ، [وأربعة آلاف وخمس مائة ملك بالكنف الثالث من الدنيا] (2) ، وأربعة آلاف وخمس مائة ملك بالكنف الرابع من الدنيا ، مع كل ملك من الأعوان مالا (3) يعلم عددهم إلا الله ، ومن ورائهم أرض بيضاء كالرخام ، مسير (4) الشمس فيها أربعون (5) يومًا ، طولها لا يعلمه إلا الله ، مملوءة ملائكة يقال لهم الروحانيون ، لهم زجل بالتسبيح والتهليل ، لو كشف عن صوت أحدهم لهلك أهل الأرض من هول صوته (6) ؛ فهم العالمون ، منتهاهم إلى حمله العرش » (ب) . وبالإجازة الشريفة عن أبي الحسن علي بن عساكر عن أبي علي الحسن بن مُهرة الحداد عن أبي نعيم الأصفهاني قال : حدثنا سليمان بن أحمد قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن عدس المصري قال : حدثنا وهب الله بن روق أبو هريرة قال : حدثنا بشر بن بكر قال : حدثنا الأوزاعي قال : حدثنا عطاء عن عبد الله بن عباس قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن لله ملكًا لو قيل له : التقم

(1) نسخة 3 : الإسلاميين .
(2) نسخة 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(3) نسخة 3 : مالم .
(4) نسخة 3 ، 4 : مسيرة .
(5) نسخة 3 ، 4 : أربعين .
(6) نسخة 3 ، 4 ، وهامش نسخة 1 : صوتهم .

(أ) سورة لقمان – الآية : 27 .
(ب) لم أقف عليه .

السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفعل ، تسبيحه سبحانك حيث كنت » (أ) .
وقد ورد أن موسى عليه السلام قال في مناجاته : يا رب لو أنك لما خاطبت السموات والأرض بقولك : ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا ﴾ (ب) لو عصت ما كنت تفعل بهن ؟ قال : كنت أُسلط عليها دابة من دوابي تبتلعها ، قال : يا رب وأين تلك الدابة ؟ قال : في مرج من مروجي ، قال موسى : يا رب وأين ذلك المرج ؟ قال : في غامض علمي » (جـ) أبعد هذا السير للعقل [1] مجال ، أم لقول قائل في تحديد القدر مقال ؟! وهل هناك إلا العجز والاستكانة والاعتراف بالقصور في [2] الاستبانة والإيمان بالغيب ، وتنحية جلباب الشك والريب ؟ فسبحان من قدره لا يحيط بها الإحصاء ، ولا يبلغها الاستقصاء ، له الحمد وله الشكر على ما وهب من الإيمان وشمل من الإنعام [3] والإحسان ، لا تفي القوة [4] البشرية بحصر يسير من عظيم أمر خلق [5] الله في عالم الغيب . وبما ورد أن البيت المعمور يطوف به كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة (د) . وورد أن كل قطرة تنزل من السماء [6] إلى الأرض يصحبها [7] ثلاثة أملاك ، ملك يصونها أن تمتزج [8] بغيرها ، وملك يؤديها إلى الأرض التي قُدر لها ، وملك يجعلها غذاء النبات الذي [9] قدر لها (هـ) .
وورد أن جبريل عليه السلام كل يوم [10] ينزل في عين تحت العرش ، يغوص فيها ، ثم

---

(1) نسخة 2 : العقل .
(2) نسخة 2 : والاستبانة .
(3) نسخة 1 ، 4 : « الإنعام » ساقطة ، نسخة 3 : الحصان .
(4) نسخة 3 ، 4 : قوى .
(5) نسخة 2 : (خلق) ساقطة .
(6) نسخة 3 ، 4 : السحاب .
(7) نسخة 4 : تصحبها .
(8) نسخة 2 : تمزج .
(9) نسخة 3 ، 4 : التي .
(10) نسخة 2 ، 3 : « كل يوم » ساقطة .

(أ) الطبراني في المعجم الكبير – تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي – مكتبة ابن تيمية – ج 11 – ص 195 .
(ب) سورة فصلت – الآية : 11 .
(جـ) لم أقف عليه .
(د) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير – جـ 11 – ص 417 رقم (12185) عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « البيت المعمور في السماء يقال له الضراح ، وهو على مثل بيت الحرام بحياله لو سقط لسقط عليه ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لم يروته قط ، وأن له في السماء حرمة قدر حرمة مكة – قال : ويدخل البيت كل يوم سبعون ألف ملك لا يدخلونه أبدًا » ط 1 – 1980 م .
ورواه ابن كثير في البداية والنهاية – جـ 1 – ص 41 (باب ذكر خلق الملائكة) عن علي بلفظ : « يصلي فيه سبعون ألف من الملائكة لا يعودون إليه أبدًا » .
(هـ) أورده ابن كثير في البداية والنهاية – جـ 1 – ص 46 (باب ذكر الملائكة وصفاتهم) بلفظ : « ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقرها في موضعها من الأرض » .

يصعد فينتفض انتفاضة ، يخلق من كل قطرة من انتفاضه ملك [أ] .

فإذا آمنت بهذا وعلمته من عظيم خلق اللّٰه ، فاعلم أن الأنبياء صلوات الله عليهم امتدت أشعة بصائرهم من أرواحهم القدسية إلى الأزل والأبد ، وتجلى لأرواحهم [1] الكمال الأزلي ، لمن [2] لم يزل ولا يزال ، فلولا تثبيت اللّٰه لهم لغاصوا في غشيتهم صعقين ، كما خر موسى لما تجلى ربه [3] للجبل ، فانعكس من عظيم التجلي الذي جعل الجبل دكًّا في مرآة وجود موسى فخر صعقًا ، وحيث كان الأمر كذلك غابت بصائر الأنبياء في مطالعة عظيم الكمال ، وصاروا لم يروا بين الأزل والأبد وجودًا سوى وجودهم القائم بالحق ، وغابت عنهم الكائنات لاستيلاء أنوار الشهود على قلوبهم :

كن حيث شئت تصل إليك ركابنا [4] فالأرض واحدة وأنت الأوحد

فإذا عادوا من عزائم شهودهم إلى رخصة رسوم وجودهم ، يدركون بوجودهم النوراني الروحاني من عالم الغيب ، فيدركون الجنة والنار والأحكام الأخروية ، فتبقى أمور عالم الغيب حشو بصائرهم ، فلا يبقى في أشعة بصائرهم سعة لمطالعة عالم الشهادة ، ثم إذا أراد اللّٰه بهم الرجوع إلى الوجود الجسماني الجسدي ليكون ذلك حظ سكان عالم الشهادة من أهل الإيمان ؛ فإما ببركة [5] حضور الأنبياء ووجودهم بينهم ، وإما للمرسلين بقيامهم [6] [ب] بوظيفة الدعوة إلى اللّٰه ؛ فعند ذلك ينعكس في مرآة بصائرهم جمل عالم الشهادة ، فيستغنون [7] بإدارك جمله عن تفاصيله . فيا معشر أجنة مشائم عالم الشهادة من الفلاسفة والدهرية ، غاب عنكم أن أجزاء الملك من عالم الشهادة

---

(1) نسخة 1 : بهامشها : تجلت أرواحهم .

(2) نسخة 1 : « لمن » ساقطة .

(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : اللّٰه .

(4) نسخة 2 ، 3 : ركائبنا .

(5) نسخة 3 ، 4 : لهم فبركة .

(6) نسخة 3 : فأما للمرسلين فقيامهم .

(7) نسخة 1 : فليستغنون .

(أ) لم أقف عليه .

(ب) ها هنا تفرقة دقيقة وذكية بين النبي والرسول ، وكأن الشيخ يؤكد على مذهب الأشعري في أن النبي هو الذي يوحى إليه ، لكنه لا يؤمر بالتبليغ ، فمجرد وجوده بين الناس رحمة وبركة لهم ... أما الرسول : فهو الذي يؤمر بالتبليغ . وتأثيره – إضافة إلى بركة وجوده – راجع أيضًا إلى وظيفة الدعوة والتبليغ ... ولعل هذا ما قصد إليه الشيخ من أن حظ سكان عالم الشهادة ؛ إما بسبب مجرد وجود النبي بينهم وبركته عليهم ، أو بسبب الاستجابة لدعوة الرسول وبلاغه . انظر في هذا الموضوع البغدادي : الفرق بين الفرق – بيروت 1928 م – ص 343 . أيضًا أصول الدين – إستانبول 1928 م – ص 154 .

حشوه الأملاك المدبرة الموكلة بأجزاء الملك من الأفلاك والكواكب والبسائط والمركبات ، فلو لم يكن حشو عالم الشهادة ولبابه (أ) حضور الملأ الأعلى لانقضت (1) أجزاؤه ذرة ذرة .

فيا قاصري (2) العقول رسوم عالم الشهادة من الأفلاك والكواكب والبسائط والمركبات والعناصر إلى أن ينتهي في علمكم إلى علة العلل - كل ذلك سُباطة (ب) ملقاة بفناء عرصة عالم الغيب ، وهذا التعريف والكشف نداء فقير من فقراء أمة محمد ﷺ أودعه كتابه هذا (3) ليكون نصيحة لمن يوقظه (4) من رقاد الفلسفة ، ويكون (5) حجة من اللّٰه تعالى ، ويحظى هذا الفقير بثواب نصيحته (6) في اللّٰه تعالى ، قال رسول اللّٰه ﷺ : « ألا إن الدين النصيحة ، فقيل : يا رسول اللّٰه لمن ؟ قال : للّٰه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » (ج) .

---

(1) نسخة 2 : لا نقصت .
(2) نسخة 1 : فيا قاصرين .
(3) نسخة 1 : « هذا » ساقطة وبهامشها مثبتة كما هي في النص ، نسخة 2 : « هذا » ساقطة .
(4) نسخة 1 : توقظه .
(5) نسخة 3 ، 4 : أو يكون .
(6) نسخة 2 ، 3 ، 4 : نصحه .

(أ) لبابه : لُبّ كل شيء ولبابه : خالصه وخياره . انظر لسان العرب (مادة لبب) - ج 1 - ص 729 .
(ب) سباطة : الموضع الذي يرمى فيه التراب والأوساخ وما يكنس من المنازل . انظر لسان العرب (مادة سبط) - ج 7 - ص 309 .
(ج) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الإيمان - باب 42 - ج 1 - ص 20 ، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب 23 رقم الحديث 95 - ج 1 - ص 74 .

الباب الحادي عشر

في صحيح الأنباء عن حال الأنبياء والصديقين

من اتباع الأنبياء عليهم السلام

قال الشيخ الكبير رضي الله عنه (1) : الكرم الإلهي والجود الأزلي قصر الطريق البعيد [على الأنبياء وطوى لهم البعيد] (2) وفتح لهم عين القلب الشهيد ، وأمد أشعة بصيرتهم بمدد متصل بخزائن الجود ، فتصفحوا صحائف الكائنات جملها المشتملة على تفاصيلها في أسرع زمان وأقصر أوان ، ووصلوا بقدم صدقهم في العبودية الربوبية (3) إلى معين أمهات العلوم التي تشعبت أوشال (أ) بحارها في أودية أفكار النفوس الجزئية (4) من الفلاسفة والدهرية ، ثم إن الفلاسفة والدهرية تطلعت عقولهم إلى حظ من العلم ، فالسابقة الأزلية من خزائن القهر والجلال أبعد عليهم الطريق ، وأخذهم (5) في مناهج يسيرة الجدوى من العلوم الرياضية والطبيعية ، ومنهم من انقطع من الطريق ووقف عند حظه من ذلك ، ومنهم من لم تخمد نار استعداده بفتور الطبيعة ، واستعلى ضرام (6) اهتمامه إلى العلوم الهندسية وعلم الهيئة ، فخاض غمراتها واستوعب بنظره تفاصيل هيآتها ، وارتقي بمعارج المركبات من نتائج الطبيعات إلى العنصر [ثم إلى الأفلاك والكواكب ، وأقواهم حذقًا سبق إلى إثبات العنصر] (7) الأول بزعمه ، وزعم أن صور الأشياء من الكائنات مثبتة فيه ، وخالفه في ذلك نفر منهم ووافقه نفر (8) ، واضطراب آرائهم وتنوع أنحائهم لا محالة (9) يشعر أرباب البصائر وهن أساسهم وخبطهم في

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « قال الشيخ الكبير رضي الله عنه » ساقط .

(2) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط . وبهامشها مثبت كما هو بالنص .

(3) نسخة 2 ، 4 : للربوبية .

(4) نسخة 1 ، 2 : الجزؤية .

(5) نسخة 2 ، 3 : وأخذ بهم .

(6) نسخة 2 : نار .

(7) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط ، وبهامشها مثبت كما هو بالنص .

(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : منهم نفر .

(9) نسخة 2 : ما ، نسخة 3 ، 4 : مما .

(أ) أوشال : جمع وشل وهو الماء الكثير . وهو من ألفاظ الأضداد . وفي هذا الموضع جاء بهذا المعنى . انظر لسان العرب (مادة وشل) جـ 11 – ص 725 .

وسواسهم ، وخطأهم في قياسهم ، على أن جميعهم عن [1] آخرهم انتهوا إلى عدم صوروا منه وجودًا ، وإلى مجهول توهموا منه مشهودًا ، وقالوا : هذا نهاية الأفكار ومعين [2] الأسرار ، وانقطع بهم هنالك السير :

فألقت عصاها واستقر بها النوى   كما قر عينًا بالإياب المسافر

فعادوا قهقرى ورجعوا إلى وراء ، ولم يخمدوا عند صباح ، مصباح نظرهم السرى [أ] وعرائس أنوار المعارف احتجبت عنهم ، فلم يعبر عنها منهم واصف ، والله تعالى بمشيئته الأزلية فتح أبواب خزائن العطية ، وأطلق خلع التقريبات ، وفتح خزائن التعريفات ، وخلع على آدم أبي البشر عليه السلام خلعة العلوم ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [ب] ، وقمطته [جـ] يد الكرم بقماط المعارف ، وأعين الملأ الأعلى طامحة النظر بعين الغبطة ، فتخمرت العلوم في طينته مع تخمر العصيان والنسيان ، فما زالت آثار ذلك التخمير تتقلب في عرصات الأصلاب والأرحام مختلفة الأنواع بتنوع إجابتهم عند نداء ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [د] ، كانت إجابة البعض اضطرارًا كإجابة الفلاسفة والدهرية ، والصدى بالنداء كرهًا يلبى [هـ] . وإجابة بعضهم اختيارًا كإجابة الأنبياء وأتباعهم ، فكان الاختلاف في النطف والأمشاج قاضيًا بالاستقامة والاعوجاج ، إلى أن برزت الذرات من مكامن الغيوب والقدرة إلى عالم الشهادة والحكمة ، وأخذ كل واحد طريقه [3] . منهم من أخذ [4] الطريق البعيد وسلك [5] فيه على ما سبق ، ومنهم من أخذ في الطريق القريب بعناية الدليل الشفيق وهم الأنبياء ، فخلع على الخليل خلعة الخلة [6] فصار بذلك في منزل من منازل التقريب وقال لسان حاله :

قد تخللت مسلك الروح مني   ولذا [7] سمي الخليل خليلا

---

(1) نسخة 2 : على .
(2) نسخة 4 : ومغني .
(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : فأخذ كل منهم طريقه .
(4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : أخذ في .
(5) نسخة 2 ، 4 : وسلك الطريق .
(6) نسخة 2 : وخلع على إبراهيم الخليل .
(7) نسخة 2 : فلذا .

(أ) السرى : السير ليلًا ، والمعنى هنا : أن نظرهم المستيقظ ليلًا على ضوئه ونوره لم يهدهم إلى شيء .
(ب) سورة البقرة – الآية : 31 .
(جـ) قمطته : لفّته بعنايتها .
(د) سورة الأعراف – الآية : 172 .
(هـ) كأن الذر من بني آدم كلهم جميعًا لبوا نداء الحق تبارك وتعالى باعترافهم بخالقيته وربوبيته ، حتى المعاندين والجاحدين منهم رددوا مع جميع بني جنسهم كلمة « بلى » اعترافًا بعبوديتهم لله تعالى ، حتى وإن كان ذلك على كره منهم واضطرار .

ولسان حنوه [1] وشغفه ودنوه يقول :

رعى اللّٰه قلبًا في الحشا تسكنونه — فإنكم نعم الجوار لمهجتي

وقصته في إلقائه في النار [2] ومجيء جبريل إليه معروفة « قال له جبريل وهو بين الفضاء والهواء : هل [3] لك من حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ، قال : فاسأل [4] ربك ليصرف عنك لفح [5] النار ، فقال : حسبي من سؤالي علمه بحالي » [أ] فيا أيها الفلسفي والدهري هل مر بمشام [ب] حقيقتك من هذا الحديث نسمة ؟ [6] [جـ] ، أو هل عاينت بهذا الربع طلله ورسمه ؟ ثم خلع على موسي صلوات اللّٰه عليه خلع [7] المكالمة وقال : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [د] ، أفرغ في وعاء وجوده مياه مواثيقه وعهوده حين [8] هاجت هوج الشوق في عالم قلبه بما أودع فيه ، وكاد لا يقوم بتداركه وتلافيه [9] وقال : ﴿ ... أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ [هـ] أترى كانت هذه المسألة [10] والاقتراح على علة العلل حاس [11] [و] علة العلل في تيه الجهالة من غير مهل ، وخلع على عيسى صلوات اللّٰه عليه خلعة الروحية الروحانية ، وخرب به سد إسكندر العادة والطبيعية باستيلاده من غير أب ، وتكوين حواء عليها السلام من غير أم ، وتكوين آدم صلوات اللّٰه عليه من غير أب وأم [12] ، صارت قياسات قاصري العقول هباء منثورًا ، وتصويرات [13] الأفكار

---

(1) نسخة 2 : حبوه .

(2) نسخة 1 ، 3 ، 4 : إلقاء النار .

(3) نسخة 4 : أهل .

(4) نسخة 2 : فسل . نسخة 3 ، 4 : فسأل .

(5) نسخة 3 : نفخ .

(6) نسخة 1 : نشمه .

(7) نسخة 3 ، 4 : خلعه .

(8) نسخة 3 : حتى .

(9) نسخة 3 ، 4 : تلاقيه .

(10) نسخة 2 : كان المسألة .

(11) نسخة 2 : خاس .

(12) نسخة 2 ، 3 ، 4 : لا من أب ولا أم .

(13) نسخة 4 : وتصوير .

(أ) تفسير الطبري – تفسير الآية 69 من سورة الأنبياء : ﴿ يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم ﴾ – ج 9 – ص 44 .

(ب) مشام : جمع يشَمّ وهو الأنف ويقال : شاممت فلانًا إذا قاربته وتعرفت ما عنده بالاختبار والكشف وهي مفاعلة من الشم ، كأنك تشم ما عنده ويشم ما عندك لتعملا بمقتضي ذلك . انظر لسان العرب (مادة شمم) – جـ 12 – ص 326 .

(جـ) نسمة : من النسيم وهو الريح الطيبة . انظر لسان العرب (مادة نسم) جـ 12 – ص 574 .

(د) سورة النساء – الآية 164 .

(هـ) سورة الأعراف – الآية 143 .

(و) حاس : يقال : حاس القوم البلد : عاثوا فيه ، حاس الذئب الغنم : اختلط بها ففرقها ، والمعنى الأخير هو المقصود . انظر المعجم الوسيط (مادة حاست) ط 2 – جـ 1 – ص 206 .

جهالة وزورًا . فالعجب العجب أيها الفلسفي والدهري أن لا تنفطر مرارتك من كسر مكيال الحسبان (1) ، وتخريق دستور البرهان ، وتوفر الحظ من الخسران ، وحرمان الحظ من الإيمان . وإلى ماذا ترجع والكشف والبيان (2) طمس تمثال الحد والبرهان ؟ فما زالت خلع المواهب السنية من بلوغ المآرب والأمنية تخلغ على الأحبار والرهبان في كل عصر وزمان ، حتى طلعت طلائع جنود الإيقان (3) من نحو جبال فاران ، تتبختر في ميادين الحجاز ، لابسة قشيب (أ) الأعجاز ، فانشق له القمر ، وسلم عليه الحجر ، وكلمه البعير ، وطاب بريقه البئر ، ونبع الماء من بين أصابعه انفجارًا ، ووردت عليه جنود الأملاك جهارًا ، وسرت أنوار الوحي المنزل في عوالم قلوب الأصحاب والأتباع ، وخلعتهم عن الارتهان بالعادات والطباع ، وأفعمت لهم سجال اليقين ، وصار كل منهم غرسًا من غزوس الدين ، حتى قال أبو بكر في صبيحة ليلة المعراج : « والذي بعثك بالحق نبيًّا ما رأيت شيئًا بعين رأسك إلا ورأيته بعين قلبي » (ب) فليت شعري عرج برسول الله ﷺ بقالبه في طبقات السموات ، أو اتسع عرصة قلبه وانشرح حتى أدرجت فيه السموات !؟ ، ومذهب أهل الحق من أهل الكتاب والسنة أنه عرج بقالبه المتصف بصفة قلبه لغلبة روحانيته على جسمانيته . وتلائم هذه (4) الحال قول القائل :

ثقلت زجاجات أتينا (5) فُرغا ... حتى إذا ملئت بصرف الراح

خفت وكادت (6) أن تستطير (7) بما حوت ... وكذا الجسوم تخف بالأرواح

قال شيخ الإسلام رضي الله عنه (8) : راح (جـ) الروح سرى في دمائه وأبشاره ، فنهض طائر همته من أوكاره ، وأزعجه فرط حنوه واستهتاره ، فنضا (د) جلباب الغين والرين (هـ) ،

(1) نسخة 4 : الحساب .
(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : والعيان .
(3) نسخة 1 : الإتقان .
(4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ويلائم هذا .
(5) نسخة 2 : أتتنا . نسخة 4 : أتتنا .
(6) نسخة 2 : فكادت .
(7) نسخة 2 : تطير .
(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « قال شيخ الإسلام رضي الله عنه » ساقطة .

(أ) قشيب : اللبس الجديد النظيف .
(ب) لم أقف عليه .
(جـ) راح : الخمر أو الشراب المسكر .
(د) نضا : خلع . يقال : نضا ثوبه خلعه وتجرد منه وألقاه عنه . انظر لسان العرب (مادة نضا) - ج 15 - ص 329 .
(هـ) الغين : لغة في الغيم وهو السحاب . ويقال : غين على قلبه أي غشي وغطى عليه وفي الحديث : « إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة » لسان العرب (مادة غين) جـ 13 - ص 316 .
- الرين : الصدأ الذي يعلو السيف والمرآة . ويقال : ران الذنب على قلبه : غلب عليه وغطاه وطبع عليه وختمه . لسان العرب (مادة رين) جـ 13 - ص 192 .

حتى توطن حريم قاب قوسين ، فكما أن لرسول الله ﷺ عروجًا [1] بقالبه ، فلأتباعه ببركة متابعته عروج قلبي روحاني ، أليس يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام : « سلوني عن طرق السماء فإني أعرف بها من طرق الأرض » [أ] . أهل قال ذلك إلا بما علم أن قلبه صار سمائيًا [2] ، والطرق التي أشار إليها أتدري ما هي ؟ . التوبة النصوح والزهد في الدنيا وصدق التوكل وصفو الرضا وخالص التسليم وموافقة الأقدار وحراسة القلوب عن الأكدار ، هي طرق السماء ، لا يزال الإنسان [3] يسلكها بقدم الصدق حتى يصير [4] قلبه سمائيًا [5] محفوظًا من خطف الشياطين ، محفوفًا بأنوار اليقين ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ [ب] ، وانظر إلى حال أبي بكر رضي الله عنه ووقوفه في موقف [6] الرجال يوم وفاة رسول الله ﷺ ، وقوله : « من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد رب محمد فإن الله حي لا يموت » [جـ] ، كاد بنيان الإسلام يصبح خاويًا على عروشه ، فأقام عموده بيد السكينة والوقار وحماه عن وليجة الأغدار [7] . وانظر إلى عمر رضي الله عنه وتدبيره وسياسته أمر الدين والدنيا بالرأي الرصين والعقل الرزين والبصيرة النافذة والروية الصادقة ، وكشف الله له وهو على المنبر بالمدينة ونعمان بن مقرن أمير العسكر بنهاوند ، وسارية صاحب الراية يناديه عمر : يا سارية الجبل [د] . أتراه قصر رأيه عن رأي سقراط الخب [هـ] المستكن في أكنان جهالته . ثم انتهى الحال إلى عثمان رضي الله عنه المجتبى بحبوة [8] [و]

---

(1) نسخة 2 : كان له عروج .

(2) نسخة 3 ، 4 : سماويًا .

(3) نسخة 1 : « الإنسان » ساقطة .

(4) نسخة 1 : صار .

(5) نسخة 3 ، 4 : سماويًا .

(6) نسخة 2 ، 4 : مواقف .

(7) نسخة 3 : الأغيار .

(8) نسخة 3 : بحياة . نسخة 4 : بحيوة .

(أ) لفظه في نهج البلاغة : « أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض ... » ص 280 (باب في الإيمان ووجوب الهجرة 189) تحقيق الدكتور صبحي الصالح – دار الكتاب اللبناني – ط 3 – 1983 م .

(ب) سورة الصافات – الآية 6 ، 7 .

(جـ) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب فضائل الصحابة – (باب لو كنت متخذًا خليلًا) – ج 4 – ص 194 .

(د) قصة عمر بن الخطاب حين كان يخطب في الناس ، فقال في وسط خطبته : يا سارية الجبل . وسارية في عسكر على باب نهاوند فسمع صوت عمر رضي الله عنه وأخذ نحو الجبل وظفر بالعدو . انظر ابن الأثير – أسد الغابة في تمييز الصحابة – باب العين والميم – جـ 4 – ص 153 . وقد أورده البيهقي في الدلائل ، واللالكائي في شرح السنن ، والزين الفعولي في فوائده ، وابن الأعرابي في كرامات الأولياء .

(هـ) الخب : الداخل في الجهالات والمختبئ فيها .

(و) حبوة : عطاء ، وقيل : الحباء العطاء بلا مَن ولا جزاء . انظر لسان العرب (مادة حبا) – ج 14 – ص 162 .

الوقار حتى استحيى منه ملائكة الرحمن ، وكان يختم القرآن في ركعة واحدة . وعلمت كلمات [1] أمير المؤمنين علي عليه السلام التي لو سمعها [2] حكماء يونان حق السماع خروا له معفرين [أ] ، وهي الكلام المقتبس من مشكاة النبوة والأخلاق الطاهرة الزكية والزهد الخالص الذي قضى به شريف حال الفتوة ، قال ﷺ : « لا فتى إلا علي » [ب] وقال علي عليه السلام : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا [جـ] : أتراه أراد بيقينه معرفة علة العلل ؟! [لا بل سيان عنده اللات والهبل وعلة العلل] [3] ، وإنما امتدت أشعة بصيرته إلى جناب من لم يزل ، فكرع من حياض اليقين حتى ارتوى وعل ونهل . فيا معشر المحبوسين في مطامير علة العلل ، العابدين لسريس [4] [د] الأفلاك الدائرة ، والنجوم الغائرة ، أنتم أجنة في مشيم [5] عالم الشهادة والملك ، بعدما ولدتم ولادة معنوية ، والجنين إذا قيل له وراء هذا المضيق المظلم الذي أنت فيه أرض وسماء وشمس وقمر وجبال وبحار ، أيفهم ذلك الجنين أو يتصوره ؟! لا بل : ﴿ ... كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ [هـ] . فأنتم أجنة [6] إذا هبت عواصف الموت الطبيعي وبرزتم من منقعر عالم الشهادة ، يقال لكم : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [و] . فقربت مسافة الأنبياء ، وأدتهم [مناهجهم إلى عليين ، وبعدت مسافة الفلاسفة والدهريين ، وأدتهم] [7] إلى سجين . وأضرب لك مثلًا مشعرًا بقرب طريق الأنبياء وبعد طريق الفلاسفة : ذكر أن ملكًا من الملوك بني إيوانا وحاول [8] تزيينه بزخارف النقوش والصور ، واستحضر [9] صناع التصوير من الصين ومن الهند ، ومد في

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : كلام .
(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الذي لو سمعه .
(3) نسخة 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(4) نسخة 3 ، 4 : القائلين بسريس .
(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : مشيمة .
(6) نسخة 2 : الأجنة ، نسخة 3 ، 4 : وأنتم تلك الأجنة .
(7) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط ، بهامشها مثبت كما هو بالنص .
(8) نسخة 3 : فحاول .
(9) نسخة 2 ، 3 ، 4 : فاستحضر .

(أ) معفرين : ممرغين وجوههم بالتراب في سجودهم .
(ب) انظر : الملا علي القاري – الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة – تحقيق أبو هاجر محمد السعيد زغلول – دار الكتب العلمية – بيروت – ص 256 – رقم الحديث 1060 .
(جـ) انظر : الملا علي القاري – المرجع السابق – رقم الحديث 749 .
(د) سريس : هو العنين ، وقيل : هو الذي لا يولد له ، أي العقيم ، انظر لسان العرب (مادة سرس) – ج 6 – – ص 106 .
(هـ) سورة الكهف – الآية 101 .
(و) سورة ق – الآية 22 .

الإيوان ستارة تحجب الفريقين بعضهم من بعض ، وأخذ [1] صناع الصين في تركيب الأصباغ وترتيب الآلات المعينة على النقوش ، واستنفدوا جهدهم في التصوير والتنقيش ، وأخذ صناع الهند في تصقيل حائطهم صقالًا ينتقش فيه ما يحاذيه من قوة الصقال ، فلما رفعت الستارة وجد [2] الملك ما نقشه أهل الصين انعكس في صقال صناع الهند ، فكان أحسن منظرًا وأينق رواء .

فخذ من هذا المثال [3] إشارة ، فالأنبياء عليهم السلام وأتباعهم لهم الحظ الوافر من محبة اللّٰه تعالى ، ولهم الاستهتار بذكره والتلذذ بعبادته والتنعم بمناجاته ، ولهم تقلب في رمضاء الأشواق ، وحنين إلى صفو التلاق ، ولهم تقلب [4] في الهيئات من الركوع والسجود والقيام والقعود ، ولهم عروج بروحانيتهم في طبقات السموات ، ورتبوا ذلك على الهيئات في الصلوات ، ولهم السلام على رب البريات في التحيات ، فأين حظك يا محجوب بعقله الدنس الضئيل وتوهمه والتخييل ، فالقوم اتصلت عبادتهم بعبادة الملائكة ، يعبدون اللّٰه على الكشف والعيان حتى يقول قائلهم : لا أعبد ربًا لم أره . وقد ورد في الخبر عن رسول اللّٰه ﷺ قال : « إن العبد إذا سجد طهر سجوده ما تحت جبهته إلى سبع أرضين » [أ] قال الشيخ رحمة اللّٰه عليه [5] وفي طريق الأنبياء عليهم السلام غوامض من العلوم ما خاضتها أفكار الفلاسفة ، ولا انتهى إليها طائر عقل الدهرية . فيا صاحب البرهان أيوازي برهانك الكشف والعيان ؟! ، فالعجب كل العجب من اتفاق [6] الفلاسفة الأوائل والأواخر الإسلاميين المتعثرين [7] في أذيال الارتياب ، المستحلسين [ب] أكنان [8] الحجاب ، المسترين [9] بالإسلام ، المصنفين للتصانيف ، كلهم مشيرون إلى علة العلل ، معتدون به ، متخذون منه [10] صنمًا إما

(1) نسخة 2 : فأخذ .
(2) نسخة 1 ، 3 ، 4 : وحضر .
(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : المثل .
(4) نسخة 2 : وتنقل .
(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « قال الشيخ رحمة اللّٰه عليه » ساقط .
(6) نسخة 1 ، 3 : إيقان .
(7) نسخة 4 : الإسلاميون المتعثرون .
(8) نسخة 2 ، 3 : أكناف .
(9) نسخة 2 : المتسترين . نسخة 4 : المتسترون .
(10) نسخة 1 : به .

(أ) الهيثمي – مجمع الزوائد – دار الكتاب العربي – ج 2 – ص 7 .
(ب) المستحلسين : الملازمين ، يقال : مستحلس : ملازم لا يبرح مكانه . انظر لسان العرب – (مادة حلس) – ج 6 – ص 55 .

ظاهرًا معلنين [1] ، وإما باطنًا مضمرين ، متفقين على أن الواحد لا يوجد منه إلا واحد ، وهذا أساس الإلحاد والزندقة والإبعاد والتحكم الباطل في لبسته [2] [أ] أمر هائل ، إذا قلت أن جرم القمر يستنير من نور الشمس ، ورأيت المدركات بشعاع القمر منتجة للتكثر ، أتضيف التكثر إلى القمر أم إلى الشمس ؟! فإذا استناد التكثر إلى العلة التي تنزهونها من [3] التكثر ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾ [ب] . يا من خلع ربقة الإسلام من عنقه ، تركت ما وردت به الأخبار في القديم الأزلي سبحانه وتعالى من التردد والتعجب والضحك وأمثال ذلك ، وقوله تعالى : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ [ج] . فكم من آحادٍ يوجدها الواحد القديم ، وكم من أفراد يبدعها [4] الصمد الكريم ، فمن اللّٰه الإيجاد وأنت واقف مع من له الإيجاب ، فكم من أفراد تنتقش في لوح الملك والملكوت من واهب الصور الكريم ، مزق دستور عقلك وفهمك ، جلت القدرة الأزلية أن يُدرك كنهها بالقياس ، أو تحصر آياتها بامتداد الأنفاس ، فما حذر السلف الصالح عن الاشتغال بعلم الكلام أنهم أنكروا [5] صحة الأصول التي يشهد بها التنزيل ، ولم يحكموا بسد [6] باب النظر والاستدلال وهو أحد طريقي [7] إثبات الوحدانية ، ولكن حذروا من الاشتغال به خوفًا أن يتسع [8] خرق الأفكار ، ويؤدي إلى علم الكلام ، وعلم الكلام يؤدي إلى علم الفلسفة ، وأنت معاشر الفلاسفة الذين حسنت ظنونكم في أوائلكم من الفلاسفة ، لما رأيتم العلوم الرياضية مبرهنة والهندسية [9] مبرهنة ، قلدتموهم في الإلهيات ، وأخطأتم الطريق ، وكان مثالكم [10] في ذلك كمن اتخذ دليلًا في العمران يؤديه من منزل إلى منزل مملوء

---

(1) نسخة 1 : « معلنين » ساقطة ، بهامشها مثبت كما هو بالنص .
(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : لبسه .
(3) نسخة 2 : عن .
(4) نسخة 3 ، 4 : يوجدها .
(5) نسخة 2 : « أنهم أنكروا » ساقطة .
(6) نسخة 1 : تحكموا لسد .
(7) نسخة 2 ، 3 : طرفي .
(8) نسخة 4 : يتسع به .
(9) نسخة 2 : والفلسفة .
(10) نسخة 4 : مثلكم .

(أ) لبسته : اختلاط أمره . يقال : لَبسٌ ولُبسةٌ أي التباس واشتباه واختلاط . انظر لسان العرب - (مادة لبس) - ج 6 - ص 204 .
(ب) سورة الأعراف - الآية 177 .
(ج) سورة الرحمن - الآية 29 .

بالحسيس والأنيس ، حتى إذا انتهى السير إلى الخراب والتنائف [أ] التي يلوح فيها السراب [1] ، فلدتموهم فضلّ الدليل ، وبطل ما كان عليه من التعويل ، فخسر وضل سعيه وصار من الأخسرين أعمالًا ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [ب] .

---

(1) نسخة 4 : التراب .

(أ) التنائف : جمع التنوفة وهي القفر من الأرض ، وقيل : التنوفة التي لا ماء بها ولا أنيس ، وقيل : هي الأرض البعيدة . انظر لسان العرب - (مادة تنف) - ج 9 - ص 18 .

(ب) سورة الكهف - الآية 104 .

الباب الثاني عشر

في سبب النظر المؤدي إلى الصواب ، المزيل للشك والارتياب

قال الشيخ رضي اللّٰه عنه (1) : بالإجارة الشريفة عن شهدة بنت أحمد بن الفرج بن عمر الأبري الكاتبة (2) قالت : أخبرنا أبو المعالي ثابت بن بندار بن إبراهيم الدينوري قال : أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن يوسف قال : حدثنا أبو علي مخلد بن جعفر بن مخلد الباقرحي قال : حدثنا أبو محمد عبد اللّٰه بن محمد بن ناجية قال : حدثنا أحمد ابن محمد بن سعد قال : حدثنا قاسم بن حكيم الأنصاري قال : حدثنا عبيد اللّٰه بن الوليد الوصافي (3) عن محمد بن سوقة عن الحارث عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « من اشتاق إلى الجنة سارع في (4) الخيرات ، ومن أشفق من النار لهى (5) (أ) عن الشهوات ، ومن زهد في الدنيا [هانت عليه المصيبات » (ب) .

قال الشيخ رضي اللّٰه عنه (6) ما من شيء يؤدي إلى النظر الصحيح المؤدي إلى الصواب كالزهد في الدنيا] (7) . وذاك بأن الداعي إلى الزهد غريزة كاملة ، عاينت الحق حقًّا فاتبعته ، ورأت الباطل باطلًا فتجافته ، ومن هذا حاله يأخذ بعنان قلبه إلى سلوك طريق الاستقامة ، فلا تزال به الاستقامة حتى تؤديه إلى المنهج القويم والصراط المستقيم : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ ﴾ (ج) . فلما رزقوا الاستقامة ظاهرًا وباطنًا ﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (د) . فالاعوجاج في طريق الدين يورث الاعوجاج في النظر المستبين . ومن اعوجاج النظر اضطراب الآراء من

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « قال الشيخ رضي اللّٰه عنه » ساقطة .

(2) نسخة 2 : « الكاتبة » ساقطة .

(3) نسخة 2 ، 3 : الرصافي .

(4) نسخة 2 : إلى .

(5) نسخة 3 : انتهى .

(6) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « قال الشيخ رضي اللّٰه عنه » ساقطة .

(7) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(أ) لهى : من اللهو والانشغال ، والمعنى هنا الانشغال بالأمور التي تبعد الإنسان عن النار .

(ب) انظر محمد بن أحمد بن عثمان – ترتيب الموضوعات لابن الجوزي – تعليق كمال بسيوني زغلول – دار الكتب العلمية – لبنان – حديث رقم 1009 .

(ج) سورة فصلت – الآية 30 .

(د) سورة الحج – الآية 24 .

أرباب الهوى ، وذلك لنكوبهم عن صراط الاستقامة ، فمبادئ النكوب إهمال الجوارح من سياسة العلم ، ثم الدرجة الثانية في النكوب الميل إلى فضول الدنيا من المال والجاه ، [ثم الدرجة الثالثة في النكوب متابعة الهوى بالمنافسة في المناصب والمراتب ، واستيلاء محبة الجاه] (1) والرفعة والمنزلة عند الخلق . فمن طلاب المنزلة عند الخلق من يطلب الرفعة على أبناء الجنس من أبناء الدنيا ، وطلب الرفعة من العلماء بمنافستهم مع أقرانهم ، وطلب الرفعة من المتعبدين المتقشفين المتزهدين بمحبتهم (2) قبول الخلق والإقبال عليهم الذي لا يؤمن عليهم التزيُّن والتصنع للخلق ، حتى يجر ذلك إلى النفاق ، وكل هذه أقسام تؤدي (3) إلى الاعوجاج في صحة النظر . فعقل أكثر الخلق عن تصفية مصادر العلم عن شوب الهوى بمعزل ؛ ولذلك (4) عوقبوا بفساد المعتقدات ، ومن ذلك تشعبت (5) آراء فرق الأمة ، وأخذوا في الإكثار من القول ، وأودعوا صحائف المصنفات ما كان سببًا لمخامرة الشكوك والارتياب في القلوب ، فليس العلم كثرة الكلام ، فكثرة (6) الكلام نتيجة الأفكار الذكية المستخرجة دقيق الكلام وكثرة البحث ، فلما كان المصدر مكدرًا أنتج في قلوب الناظرين في الصحائف والمصنفات (7) كدرًا ، حتى انتهى ذلك الكدر إلى تراكم الرين في القلوب ، وانطمس بذلك نور الإيمان ، وانهدمت مباني اليقين ، وأفضى الأمر إلى استحلاء (أ) علوم الأفكار واستملاء (ب) ما يؤدي إلى وخيم الأوزار ، ثم ارتقت النفوس (8) الدنسة بأفكارها الردية إلى مطالعة (9) علوم الفلاسفة بعد أن تخمر فيها آثارها (10) وهم في حماية سمة الأمة بإنكار علم الله تعالى بالجزئيات ، وهذا باب الجهل القبيح بمعرفة الصانع القديم جل ذكره وتعالى قدسه ،

---

(1) نسخة 4 : ما بين المعقوفتين ساقط ، بهامشها مثبت كما هو بالنص .

(2) نسخة 1 : لمحبتهم .

(3) نسخة 3 ، 4 : هوى تؤدي .

(4) نسخة 3 ، 4 : فلذلك .

(5) نسخة 2 : تشعب .

(6) نسخة 2 : لأن كثرة .

(7) نسخة 3 ، 4 : صحائف المصنفات .

(8) نسخة 2 : النفس .

(9) نسخة 3 ، 4 : لمطالعة .

(10) نسخة 1 ، 2 : آثارة ، نسخة 3 : آثارها الردية .

(أ) استحلاء : استحلى المرء الشيء وَجد له حلاوة .

(ب) استملاء : الاستمتاع بالشيء مدة طويلة . يقال : تمليت عمري : استمتعت به . ويقال : أملى عليه الزمن : أي طال عليه ، انظر لسان العرب – (مادة ملا) – ج 15 – ص 290 .

وخامر الباطن نفي الصفات عن الباري سبحانه وتعالى ، وتوهم أن ذلك مضر بالوحدانية الصرفة ، فأنزلوه منزلة الموجب والموجب والمؤثر والأثر ، ونفوا عنه الإيجاد بما صاروا إليه من الضلال ، فهو الموجد سبحانه وتعالى ، المكثر بتكثر أجزاء الكائنات والموجودات ، وحاشى أن يقدح ذلك في وحدانيته ، فيوجد ألفًا ، ويفني ألفا ، ويقضي بالقضايا (1) ويقدر بالأقدار ، ولا يحل ساحة وحدانيته حادث ، وإنما التقديرات الفاسدة من سلب التكثر مما زعموه واحدًا موهوم فاسد ومتخيل باطل وتحكم غير مستقيم ، فالتكثر رشح إرادات متعاقبات ظاهرة ، تنساق (2) إلى أزمنة مواسمها ، تجمع جملها وتفاصيلها المشيئة السابقة الأزلية (3) ، ولا يحول (4) (أ) حول حماها حادث ، ولا يطرق حريم قدسها قدم ناظر عايث ، فجهل القائل بإنكار علم الجزئيات من الله مشهود له بأنه ما عرف الخالق الصانع رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، وإنما انتهى نظره إلى ما سماه علة العلل ، فذلك (5) الذي عرفه هو الذي ليس له صفات ولا منه تكثرات ، وهذا الذي يعبرون (6) باصطلاحهم الفاسد [ينزلونه منزلة الهيولي ، وكل اصطلاحهم فاسد] (7) ، فإذن علة العلل على ما زعموه من المعلول الأول الذي جعلوه واسطة لوجود المعلول الثاني والنفس هو (8) بمثابة القطن ، الذي يكون (9) منه الملابس من العمامة والقميص واللباس (10) والفرش والبسط ، مستند ذلك كله إلى القطن الذي هو أصله .

فأيها الفلسفي ومن تقرب مقالته من مقالته ، علمنا أنك علمت صنعة وأثبتها وعلمتها ، وأسندت بسائطها ومركباتها إلى ذلك المشابه للهيولي ، واستقللت بهذا العلم كما استقل الصائغ بعلم الصياغة ، والنجار بعلم النجارة ، والحائك بعلم الحياكة ، والسقلاطي (11) (ب) بعلم

---

(1) نسخة 4 : بالقضاء .
(2) نسخة 1 : ينساق .
(3) نسخة 3 : الأزلية السابقة .
(4) نسخة 2 : ولا تجول . نسخة 4 : ولا تحول .
(5) نسخة 4 : فذاك .
(6) نسخة 3 ، 4 : يعبرون عنه .
(7) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط ، بهامشها مثبت كما هو بالنص .
(8) نسخة 2 : هي .
(9) نسخة 3 ، 4 : تكون .
(10) نسخة 2 : والسراويل .
(11) نسخة 2 : السقلاطوني .

(أ) لا يحول : لا يطوف به من جوانبه ، انظر لسان العرب (مادة حول) – ج 11 – ص 187 .

(ب) السقلاطي : السقلاطون : ضرب من الثياب ، والسقلاطي هو العارف لهذا النوع من الثياب . انظر لسان العرب (مادة سقلطن) – ج 13 – ص 211 . وجاء في هامش نسخة (1) تفسير لكلمة السقلاطون قال فيه : السقلاطون من نواحي الروم تنسب إليه الثياب .

السقلاطون] والخطائي (أ) بعلم عمل الثياب الخطائية [1] الذي يربط فيه خيوطًا في مبدأ العمل على [هيئة مخصوصة ، يظهر بتحريكها نقوش وصور على وجه العمل] [2] فذهنك أيها الفلسفي بتخيل [3] علة العلل والمركبات والبسائط ، ظهر [4] على صفيح قلبك صور قدم العالم ونقوش حركات الأفلاك السرمدية ، وإثبات حوادث لا أول لها زمانًا ، وإثبات أجسام لا آخر لها مكانًا ، وكل ذلك زور وبهتان وخطأ وطغيان ، فصور تماثيل زورك في معملة زمانك الضائع ، وعن قريب يغرق سقلاطون حسبانك وخطائي [5] هندستك ، وترى نفسك في سجن السجين ، مع [6] الذين خرجوا من الدنيا بظمأ هواجر جهلهم ، ولم يشربوا شربة من بحر اليقين ، وأضرب لك مثلًا في علم اللّٰه تعالى بالجزئيات : لو أخذت كفًّا من الخردل وتركته في وعاء ضيق ، يتراكم [7] أفراده بضيق [8] الوعاء ، لا تدرك تلك الأفراد لضيق الوعاء ونقصان الشعاع المنبعث من حدقتك المحيط بالمرئيات من الأفراد ، فإن أنت أخرجته من ضيق وعائه ، وبسطته ببسيط ينفرد [9] آحاده ، واتسع شعاع بصيرتك المحيط بالمرئيات وانطباع المفردات في شعاع حدقتك ، أدركت أفرادها وآحادها ، فاللّٰه تعالى أخرج خبأ الكائنات بالقدرة الأزلية من الكليات والجزئيات ، وبسطها ما كان وما يكون في بسيط متصل الطرفين بالأبد والأزل ، والطرف للمنتهى لا إلى المنتهى [10] إليه ، فأدركها بالعلم الأزلي ما كان وما يكون ، ودع [11] عنك الآن المزاحمة بالقول بأنك تثبت المعدوم شيئًا ، فليس هذا مما تكيله بمكيال عقلك القاصر ، وشعاع الشمس المنير مبسوط على صفحات بسيط الأرض ، ولا يتوارى من الشعاع إلا محتجب بحجاب ، فإذا برز من الحجاب أدركه الشعاع لا محالة ، فالكائنات بأسرها من [12] الجزئيات والكليات في بسيط الكون ، فما

---

(1) نسخة 4 : الخطابية .

(2) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(3) نسخة 1 ، 3 : يتخيل .

(4) نسخة 3 : أظهرت ، نسخة 4 : أظهر .

(5) نسخة 2 : وخطاي ، نسخة 4 : وخطابي .

(6) نسخة 1 ، 2 ، 3 : « مع » ساقطة .

(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : تتراكم .

(8) نسخة 3 ، 4 : لضيق .

(9) نسخة 3 : تتفرد ، نسخة 2 ، 4 : تنفرد .

(10) نسخة 2 : لا للمنتهي .

(11) نسخة 2 : فدع .

(12) نسخة 2 : « بأسرها من » ساقط .

(أ) الخطائي : العارف بعمل الثياب ، أي صاحب صنعة الخياطة والحياكة .

برز منها من حجاب العدم أدركه الشعاع ، لا لحالة (1) تتجدد في الشعاع ، بل المتجدد البارز (2) من الحجاب ، فالجزئيات تبرزها من حجاب العدم القدرة القديمة إلى شعاع العلم الأزلي : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (أ) . ثم أيها المعتد بعلة العلل هل زاد اعتدادك بعلة العلل على اعتدادك بالشمس التي جعلها اللّٰه بإجراء سنته سببًا لتربية الجمادات والناميات والحيوانات ، وتقليب الأعيان للجمادات (3) في المعادن وأجناس الجواهر ، فكما أن هذه التأثيرات مستندة إلى الشمس التي هي المؤثرة لها ، وهي (4) خلق من خلق اللّٰه ، لا توجد شيئًا ولا توجب (5) شيئًا إلا بمشيئة اللّٰه فهكذا البسائط والمركبات من العقل ثم النفس ثم العقل إلى ما تزعم أنه انتهى (6) إلى العقل الذي يتولى فلك القمر ، وإلى العناصر بزعمك ، كل (7) هذه التأثيرات مضافة إلى ذلك الأول وهو خلق من خلق اللّٰه لا يوجب على الحقيقة ولا يوجد على الحقيقة ، فأين أنت من اللّٰه القديم ، خالق الشمس والقمر والكواكب والأفلاك ، خالق العقول التي أحصيتها وعلة العلل ؟! ووقوفك مع علة العلل كالوقوف (8) مع اللات والهبل ، وعبادتك لها (9) كعبادة عبدة الشمس للشمس . فيا أيها المسلم الذي تربى في الإسلام ، وقمط في قماط الفطرة الإسلامية ، ولف في ملفاف (10) الملة الحنيفية : إياك ومجالسة الفلاسفة والدهرية ومطالعة كتبهم « فكل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » (ب) وقد علمت أن المرء بجليسه :

عن المرء لا تسأل وسل عن جليسه ... فكل جليس بالمجالس يقتدي

والميل في النفوس الإنسية مركوز في جبلتها ، وقد تميل (11) بالوصف [الأعم كميل

---

(1) نسخة 1 : لا محالة ، نسخة 4 : لا محالة لا يتجدد .

(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : التجدد للبارز .

(3) نسخة 4 : الجمادات .

(4) نسخة 2 : الذي هو المؤثر ، وهو .

(5) نسخة 2 : لا يوجد شيئًا ولا يوجب .

(6) نسخة 3 ، 4 : ينتهي .

(7) نسخة 2 : هل .

(8) نسخة 2 : كوقوفك .

(9) نسخة 2 ، 3 ، 4 : لذلك .

(10) نسخة 2 : ملفات ، نسخة 4 : ملقات .

(11) نسخة 2 ، 3 ، 4 : يميل .

(أ) سورة الملك - الآية 14 .

وهذا النص للسهروردي قد يُساء فهمه ، وقد فسرناه تفسيرًا يلائم اتجاه السهروردي ، انظر مبحث (علم اللّٰه بالجزئيات) في الدراسة على تحقيق الكتاب .

(ب) صحيح البخاري بشرح الكرماني - بيروت 1981 م - ج 7 - ص 133 - 134 .

جنس البشر بعضهم إلى بعض ، وقد تميل [1] بالوصف [[2] الأخص كميل كل طائفة إلى طائفتهم ، فإذا جالست أهل العقيدة الصحيحة وملت إليهم ملت بالوصفين جميعًا ، وإذا جالست أهل العقيدة الفاسدة ملت إليهم أيضًا بالوصفين جميعًا ، فمغفور لك الميل بالوصف الأعم ، ومنكور [3] عليك الميل بالوصف الأخص الذي به تقتبس من أباطيل غرورهم وأشاكيل زورهم ، على أنك إذا [4] أمعنت النظر تجد فساد عقيدة [5] من فسدت [6] عقيدته عقوبة له بحسن ظنه بأستاذه الذي حسن ظنه فيه فيكفر [7] تقليدًا ، ويستدبر وعدًا ووعيدًا ، ويصير شيطانًا [8] مريدًا . ولو أن الإنسان يأخذ جانبًا من كل جليس وأنيس وأستاذ ومعلم ، والتجأ [9] بصدق الضراعة إلى واهب صور السعادات ، لحصنه في حصن نور فطرته ، وخلعه عن كل مسموع خدش وجه فطرته ، ورزق حسن النظر المؤدي إلى الصواب ، وأطلق من وثاق الشك والارتياب ، [فليس العجب من أهل الشك والارتياب] [10] في الآيات والقدر وخوارق العادات ، فإن الأغبياء وأجلاف البوادي من أهل الوبر والمدر يتسارعون إلى إنكار خوارق العادات ، وإنما الشأن فيمن يؤمن بالمغيبات التي ما تحيزت في حسه ولا يقدر على إدراكها إلا بقوة كاملة مستفادة من توفيق إلهي . وقد أخذ أبي بن خلف عظمًا باليًا وفته بيده ، وقال : أو يزعم محمد أن هذا يعود حيًا ، فتسارع الجهال بعقولهم الضعيفة إلى ما تسارع إليه هذا الكافر [أ] ، وليس ذلك بالعجب وإنما العجب ممن يخبر بالأمور الغيبية وخوارق العادات والحشر والنشر ، أن يؤمن بذلك ويعلمه حقيقة ، حتى تعلم [11] أن في الأغبياء لكثرة [12] ،

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : يميل .

(2) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط ، بهامشها مثبت كما هو بالنص ، نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(3) نسخة 3 : مشكول .

(4) نسخة 3 ، 4 : إن .

(5) نسخة 2 : « فساد عقيدة » ساقط .

(6) نسخة 2 : انفسدت .

(7) نسخة 2 : فكفر .

(8) نسخة 2 : شيطانه .

(9) نسخة 2 : ويلتجئ ، نسخة 4 : ويلتجأ .

(10) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط ، بهامشها مثبت كما هو بالنص . نسخة 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(11) نسخة 2 : يعلم ، نسخة 3 : نعلم .

(12) نسخة 2 ، 3 ، 4 : كثرة .

(أ) انظر قصته عند السيوطي في الدر المنثور – ج 5 – ص 269 – 270 تفسير الآية الكريمة ﴿ وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه ... ﴾ سورة يس – الآية 78 .

فأهل الإيمان باينوا المغترين بعلومهم ، الذين قطعت عقولهم مسافات أفكارها [1] ومسارح نظرها باغترارها ، ومطارح بحثها طول أعمارها ، وناهز إيمانهم المحسوس ، وسكنت قلوبهم عن مزاحمة جهل النفوس ، المركوز فيها حظ الجهل والرسوب ، الذي هو من الطبيعة الترابية التي لا تزال تهوي في مهواة الجهل ، فمن الله على أهل الإيمان بتزكية النفوس وتطهيرها من مبادئ أصولها بنور العناية الأزلية ، حتى آمنت بالغيوب [وتبرأت من العيوب] [2] . وآخرون لحقهم درك الشقاء فمالوا إلى أباطيل خيال المبطلين ، وترامت هممهم إلى إدراك زورهم وغرورهم ، فهم مع من مالوا إليه فريقان يتعالجان في الاضطراب ويتناجيان بشهادة كل واحد منهما على صاحبه بالارتياب .

---

(1) نسخة 4 : أفكارهم .

(2) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط ، بهامشها مثبت كما هو بالنص .

الباب الثالث عشر

في إزالة التخييل عمن [1] سبق وهمه إلى التمثيل وباطل [2] التأويل

قال الشيخ رضي الله عنه [3] : القرآن المجيد بعجائبه [4] وغرائبه لا يكاد يعوم في بحره إلا من أطلعه الله تعالى على أسراره المكنونة في الملك والملكوت ، وقد أخبر التنزيل بأنواع النعيم في الجنة وما أعد الله تعالى فيها « مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » [أ] ، وقال عز من قائل : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [ب] . لأهل الجنة في أيام الدنيا مراتب في العبودية ، فقوم في الرتبة العليا وهم المقربون ، ومنهم في الرتبة الوسطى وهم الأبرار ، ومنهم في رتبة [5] دون الرتبتين وهم عامة المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [جـ] . وصفهم بنضارة النعيم وبريقه وكمال الحظ منه وتحقيقه وما صفا لهم من المشرب [6] ، وما نالهم من نفائس المنح والمطلب ، ثم أخبر أن مشربهم [7] لم يتكامل النعيم فيه إلا بمزج من التسنيم [د] الذي يشرب به المقربون ، فكان ذلك المشرب ثوابًا لهم على حظهم من مراتب العبودية وما ينالهم من التلذذ بالعبادة ، وثواب المقربين الذين [8] من شرابهم مزج في شراب الأبرار وهو شهود المعبود في تقلبات الهيئات من القيام والقعود والركوع والسجود ، فإذا أَلَمَّ بالمتعبد من الأبرار نسمة من نسمات الشهود في السجود وغيره من الهيئات ؛ فهو المزج الذي من التسنيم ،

---

(1) نسخة 2 : لمن ، نسخة 3 ، 4 : عن من . (2) نسخة 2 : بباطل .
(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « قال الشيخ رضي الله عنه » ساقط .
(4) نسخة 3 : لعجائبه . (5) نسخة 3 : الرتبة .
(6) نسخة 3 : الشرب . (7) نسخة 3 : شربهم .
(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الذي .

(أ) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب بدء الخلق – 8 باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة – جـ 4 – ص 86 .
(ب) سورة السجدة – الآية 17 . (جـ) سورة المطففين – الآيات من 22 - 26 .
(د) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾ المطففين – الآية 27 . والتسنيم هو عين يمزج بها الرحيق للأبرار المذكورين في السورة .

الذي يحتسي منه المقربون من فاتحة صلواتهم إلى خاتمتها ، وقد أخبر التنزيل عن تفاوت أقدام أهل الجنة في [1] شرابهم ، مذكور ذلك في ﴿ هَلْ أَتَىٰ ﴾ [أ] قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [ب] . أضاف التفجير إليهم إثباتًا لكسبهم فيه ، ثم رقاهم رتبة أخرى وقال [2]: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ۝ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴾ [جـ] ، سلب الكسب [3] عنهم ، وتولاهم يد الفضل بخدمة الولدان لهم بسقيهم [4] ، ثم رقاهم [5] رتبة أخرى بإزالة الوسائط وقال : ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [د] ، يأتيهم نداء من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي [لا] [6] يموت ، ليعلم بذلك تفاوت الأقدام وتفاوت الدرجات . وبالإجازة الشريفة عن عبد الرزاق بن عبد القادر عن أبي زرعة [إلى ابن ماجه القزويني قال : حدثنا سويد بن سعيد قال : حدثنا حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم عن عطاء بن] [7] يسار : أن معاذ بن جبل قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : الجنة مائة درجة ، كل درجة منها ما بين السماء والأرض ، وإن أعلاها الفردوس ، وأوسطها الفردوس ، وإن العرش على الفردوس ، منها تنفجر [8] أنهار الجنة ، فإذا سألتم الله تعالى فاسألوا الفردوس » [هـ] . قال الشيخ رضي الله عنه [9] : حارت العقول في مهامه هذه القدر ، وتنورت البصائر بمطالعة ما انعكس في مرآة العبر ، والقلوب التي ملئت إيمانًا وغذيت [10] إيقانًا ، وأخذت في السياحة حتى صادفت عيانًا ، كلما [11] مرت بها نسمة من هذه

---

(1) نسخة 3 : من .
(2) نسخة 3 : فقال .
(3) نسخة 2 : فيها الكسب .
(4) نسخة 3 : الوالدان لهم يسقيهم .
(5) نسخة 4 : رقيهم .
(6) هكذا في جميع النسخ والأصح حذفها .
(7) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(8) نسخة 2 : تتفجر ، نسخة 3 : يتفجر .
(9) نسخة 2 ، 3 ، 4 : (قال الشيخ رضي الله عنه) ساقط . (10) نسخة 3 : وعذبت .
(11) نسخة 3 : فلما ، نسخة 4 : فكلما .

(أ) إشارة إلى الآية (1) من سورة الإنسان ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا ﴾ .
(ب) سورة الإنسان – الآية 5 ، 6 .
(جـ) سورة الإنسان – الآيات من 15 - 17 .
(د) سورة الإنسان – الآية 21 .
(هـ) أخرجه الترمذي في سننه – باب 4 – كتاب صفة الجنة – رقم الحديث 2530 – ج 4 – ص 675 .

المنح تكاد تطير شوقًا وحنوًا ، وتقطع مسافات الوجود البشري [1] قربًا [ودنوًا [*] ، وقد أخبر التنزيل في آيات يكثر عددها قوله تعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [أ] ، وقوله تعالى : ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ [ب] ، وقوله تعالى : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ [ج] ، وقوله تعالى : ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ [د] . وقوله تعالى : ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ [هـ] . ماجت أبحر الأفكار ، وتلاطمت لطلب الاطلاع على هذه الأسرار ، فمن منكر لا يثبت لذلك وجودًا وعميٌّ عن إدراك شيء من الأمور الأخروية ، ومن صائر إلى أن ذلك على ضرب من التمثيل ، تقريبًا إلى الأفهام العاجزة عن إدراك الحقائق وترغيبًا لنفوس ميالة إلى الشهوات ربما [2] يتطلع إليها [و] . وتخيل هذا التمثيل تزندق وإلحاد وإضافة لبس وتمويه إلى الكلام القديم . ومن صائر إلى أن النعيم يكون روحانيًا ، وذلك بالتذاذ القلوب بمنح ومواهب يبادون [3] به ، وليس ذلك أمرًا جسدانيًا [ز] ، وكل هذه مصارف فاسدة [4] ، والحق الواضح أن الذي أخبر به القرآن هو كما أخبر به مجسدًا مصورًا في قوالب التكوين ، كما كون أنموذج ذلك في ضيق عرصة عالم الشهادة ، وأكثر الصائرين إلى

---

(1) نسخة 3 ، 4 : البشرية .

(*) نسخة 3 : ساقط من قوله [ودنوا ، وقد أخبر التنزيل ... إلى قوله : ثم ننصرف إلى منازلنا ...] بمقدار صفحة ونصف إلى السطر الخامس من صفحة أ في ورقة 28 من النسخة 1 .

(2) نسخة 2 : وربما ، نسخة 4 : فربما .

(3) نسخة 1 : ينادون .

(4) نسخة 2 : مفسودة .

(أ) سورة فاطر – الآية 33 .

(ب) سورة ص – الآية 50 .

(ج) سورة الرحمن – الآية 76 .

(د) سورة محمد – الآية 15 .

(هـ) سورة الغاشية – الآيات من 12 - 16 .

(و) يشير السهروردي إلى رأي ابن سينا في أن الشرائع ليست حجة على إثبات حشر الأجساد لأنها كما يقول : « واردة لخطاب الجمهور بما يفهمون ، مقربًا ما لا يفهمون إلى أفهامهم بالتشبيه والتمثيل ... » الأضحوية في المعاد – ص 103 – تحقيق الدكتور حسن عاصي – المؤسسة الجامعية للدراسات – بيروت – ط 2 – 1987 م .

(ز) أيضًا يشير إلى رأي ابن سينا وغيره من الفلاسفة في أن الروح هي وحدها المستحقة للبعث والحساب والنعيم والخلود . انظر المصدر السابق – ص 104 .

ذلك ممتاحون (1) (أ) من مالح بحر الفلاسفة الذين ينظرون بالعين العوراء ، كما أثبتوا الأفلاك [ولم يثبتوا الأملاك ، ولم يعلموا بأن تدوار الأفلاك] (2) ليس حركة (3) طبيعية ولا اختيارية ، بل الملك الموكل بها هو المدبر لها والمهدي بخصائصها وتأثيراتها ، وهكذا حكم الكواكب أضافوا التأثيرات إليها وسموها المدبرات ، والمدبرات هم الأملاك لا الكواكب والأفلاك ، وهكذا نظروا بالعين العوراء وأثبتوا النعيم الروحاني وأنكروا النعيم الجسماني ، ولم يعلموا أن الله تعالى أتاح للأرواح والقلوب نعيمًا روحانيًا من أنصبة القرب والنظر إلى الله الكريم . وكون نعيمًا جسمانيًا للنفوس التي شاركت الأرواح في خالص العبودية : للأرواح (4) بما يناسبها وللنفوس (5) بما يناسبها ، فمن ها هنا نظروا بالعين العوراء ، وأنكروا اشتراك الأرواح مع القوالب في النعيم المقيم . وبالإجازة الشريفة إلى ابن ماجه قال: حدثنا هشام بن عمار قال : حدثنا عبد الحميد بن حبيب قال : حدثني عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي قال : حدثني حسان بن عطية قال : حدثني سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة ، فقال أبو هريرة : « اسأل الله تعالى أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة ، قال سعيد : أَوَ فيها (6) سوق ؟ قال : نعم ، أخبرني رسول الله ﷺ قال : إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا ، فيزورون (7) الله عز وجل ، ويبرز لهم عرشه ، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة ، ويوضع (8) لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ (9) ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ، ويجلس أدناهم وما فيهم دني علي كثبان المسك والكافور ، ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسًا ، قال أبو هريرة : قلت : يا رسول الله هل نرى ربنا ؟ قال : نعم ، هل تتمارون (10) في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا : لا ، قال : كذلك لا تتمارون (11) في رؤية ربكم عز وجل ، ولا يبقي في

---

(1) نسخة 1 : ممتاحين ، نسخة 4 : ممتاجون حسن مالج .

(2) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط ومثبت بالهامش .

(3) نسخة 2 ، 4 بحركة .

(4) نسخة 2 : الأرواح .

(5) نسخة 2 : والنفوس .

(6) نسخة 2 : وفيها .

(7) نسخة 2 : ويزوررون .

(8) نسخة 2 : فتوضع .

(9) نسخة 2 : « ومنابر من لؤلؤ » ساقط .

(10 ، 11) نسخة 2 : تمارون .

(أ) ممتاحون : جمع ماتح وهو المستقي ، وهو الذي يملأ الدلو من أسفل البئر . انظر لسان العرب (مادة متح) – ج 2 – ص 588 .

ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة حتى أنه يقول للرجل منكم : ألا تذكر يا فلان ما عملت كذا وكذا ؟ يُذكره بعض غدراته في الدنيا ، فيقول : يا رب أفلم تغفر لي ؟ فيقول : بلى ، فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه ، فبينما هم كذلك ؛ إذ غشيتهم سحابة من فوقهم ، فأمطرت عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قط ، ثم يقول : قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم ، قال : فنأتي [1] سوقًا قد حفته الملائكة ، لم تنظر العيون إلى مثله ، ولم تسمع [2] الآذان ، ولم يخطر على القلوب ، قال : فيجعل لنا ما اشتهينا ، ليس يباع فيه شيء ولا يشترى ، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضًا ، قال : فيقبل الرجل ومنزلته مرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دني ، فيروعه [3] ما يرى عليه من اللباس ، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها ، قال : ثم ننصرف إلى منازلنا] [*] وتتلقانا [4] أزواجنا فيقلن : مرحبًا وأهلًا لقد جئت وإنك من الجمال [5] والطيب أفضل مما فارقتنا عليه ، فنقول : إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجلّ ، فحقنا [6] ننقلب بمثل ما انقلبنا » [أ] .

فالمنحصر في [7] مضيق عقله يقول : كيف نرى ربنا والرؤية تستدعي مثالاً وجهة وشعاعًا منبعثًا من الحدقة محيطًا بالمرئي [8] . وانطباعًا بالمرائى [9] في شعاع الحدقة ، ويشترط لذلك اعتدال المسافة ؛ إذ القرب المفرط مانع ، والبعد المفرط مانع ؟ ولم يعلم المسكين أنه بعقله اليسير مقطوع المدد ، ولا يعلم انكشاف القدرة إلا في لباس الحكمة ، وعين ألفت مطالعة الحكمة كعين تربت في الظلمة لا قدرة لها على النظر إلى الأنوار والأضواء ، فالبصر يومئذ يتشكل بالبصيرة ، والقدرة تتشكل بشكل الحكمة ، والهواء

---

(1) نسخة 1 : فيأتي .
(2) نسخة 1 : يسمع .
(3) نسخة 2 ، 4 : فيروقه .
(*) نسخة 3 : القدر الذي أشرنا إليه في الصفحات السابقة من أنه ساقط إلى هذا القوس .
(4) نسخة 2 ، 4 : فتتلقانا .
(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : وإن بك من الحال .
(6) نسخة 1 : يحقنا أن .
(7) نسخة 1 : من .
(8) نسخة 2 ، 4 : بالمرئيات .
(9) نسخة 2 ، 3 ، 4 : بالمرئي .

(أ) انظر الحافظ أبي بكر عمرو الضحاك الشيباني – كتاب السنة – المكتب الإسلامي – باب 127 – رقم الحديث 585 – ص 258 ، 259 ، 260 . وقال الألباني في تخريج هذا الحديث : إسناده ضعيف لضعف هشام وعبد الحميد .

والفضاء على غير هذه الطبيعة المألوفة المعهودة ، هذه (1) الأخبار التي أخبرت بأحوال الجنان على وفق ما أخبرت (2) صريحات القرآن ؛ هي مصارع الجهال القانصين (3) بالوهم والخيال ، المقيمين في سكر اليسير [من العلم الذي قُدر لهم ، مناسبًا ليسير] (4) الملك من عالم الشهادة ، والأيام القصيرة التي يقدر اليوم والليلة (5) بأربعة وعشرين ساعة ، والشهر يقدر بثلاثين (6) يومًا ، والسنة بمقدارها من الأيام ، وقد (7) غاب عن يوم ﴿عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ (أ) وعن بقاء سرمدي [لا آخر له ، فلا يصور العاقل (8) أن البقاء السرمدي] (9) من عظيم شأنه أن الباقي فيها يكون له نزل مناسب لذلك البقاء ، فمهما صورت من النعيم المخبر به إذا وزعته على أزمان ذلك البقاء ، تكاد (10) مقادير النعيم لا تفي بمقادير الزمان ، ولكن لا مقطوعة ولا ممنوعة الأمداد الإلهية ، تكيل من بحار الجود أمتعة التمتع ، وتكيل من خزائن البقاء الأبدي ، وتخيط (11) ملابس الأبدي ، فأين العقول (12) من الإحاطة بهذه الحقائق التي ما افتر ثغر أسرارها إلا في مرآة قلوب الأنبياء صلوات الله عليهم ؟ فتبيين هذه الأحوال من أهم ما تنصرف (13) إليه أعنة العناية ، وهو (14) من أساس الإيمان وأساس الإسلام ، فمن عدل إلى أباطيل التأويل ، وحمل ذلك على التقريب من الأوهام (15) والتمثيل ، فقد هدم أساس الإيمان لبنة لبنة ، وقد غرق في هذا البحر خلق من المنتمين إلى الإسلام ، وذاك ارتياب المخامرة للبواطن في هذا الباب ، عقوبة للناظرين في كتب الفلاسفة (16) الذين ناهز معتقدهم معتقد الدهرية ،

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : فهذه .

(2) نسخة 1 ، 3 ، 4 : أخبر .

(3) نسخة 4 : القائصين .

(4) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط ، بهامشها مثبت كما هو بالنص .

(5) نسخة 4 : والله منها .

(6) نسخة 2 : مقدر ثلاثين .

(7) نسخة 2 : فقد .

(8) نسخة 3 ، 4 : الغافل .

(9) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط ، بهامشها مثبت كما هو بالنص .

(10) نسخة 1 : يكاد .

(11) نسخة 1 : وتحيط .

(12) نسخة 3 : للعقول .

(13) نسخة 1 : ما يتصرف ، نسخة 3 : ما ينصرف .

(14) نسخة 2 ، 4 : فهو .

(15) نسخة 3 : وكمل على للتقريب من الأفهام .

(16) نسخة 2 ، 4 : « الفلاسفة » ساقط .

(أ) سورة الحج – الآية 47 ﴿ وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ .

وحيث ادعوا [1] للعالم قدمًا ولعلة العلل أزلًا [2] ، لم يشكروا على ما استزلوا ضعفاء العقول به ، من ادعاء [3] نفوس لا تتناهى [4] بتوهم [5] نعيم روحاني ، فلو ساعد التوفيق ولاحت أعلام التحقيق ، ونظروا بعين الأبد إلى الأبد وبعين [6] السرمد إلى السرمد ، وانسلوا عن مضيق عالم الشهادة . ووطئوا بساط عالم الغيب ، استقلوا نعيم الجنة بالنسبة إلى ما منحوا به من البقاء السرمد . فانظر [7] إلى عقل القروي والأجلاف من أهل البادية والأغبياء من أهل المدر والوبر ، إن ذكرت لهم ما انتهى إليه علمك من علم الهيئة ، ألست تراه منكرًا لما تقول ومستهزئ [8] برأيك وعلمك [9] ؟ فأنت أيها المتفلسف في علم عالم الغيب والأمور الأخروية ذلك القروي والجلف البدوي ، ولا أقول إن إدراك الأمور الأخروية بطور وراء العقل ، وأي حاجة لنا إلى التعدي من حريم [10] العقل ، وإثبات شيء لا يحتوي عليه حصن العقل ، ولكن نقول عقل دون عقل : عقل سايس للولد البار الذي هو القلب المطواع للأب الذي هو الروح القدس ، وهو عقل الأنبياء وأتباعهم من الصديقين ، وعقل مدبر للقلب [11] المنكوس الذي هو الولد العاق الميال إلى الأم المعوجة الناقصة ، التي هي الروح الحيواني المجنس ، الذي يُسمى نفسًا على ما سبق شرحه في غير هذا الباب ، وهذا العقل هو الذي يتبع الأم المعوجة التي هوت ورسبت بنسبة ترابيتها [12] ، فهوى العقل متابعًا لها في هويها ، فتاه في عالم [13] الملك والشهادة ، وعقل الأنبياء أخذ في العروج إلى الرفيق [14] الأعلى ، فمد له بساط عالم الغيوب [15] ، وجعل نزل قدومهم ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ

---

(1) نسخة 2 ، 4 : أثبتوا .

(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : أولًا .

(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : إثبات .

(4) نسخة 1 ، 3 ، 4 : لا يتناهي .

(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : بإثبات .

(6) نسخة 1 : « وبعين » ساقط ، بهامشها مثبت كما هو بالنص .

(7) نسخة 1 : فانظروا ، نسخة 3 : السرمدي ونظروا ، نسخة 4 : السرمدي وانظر .

(8) نسخة 1 : وتستهزئ . نسخة 3 ، 4 : ويستهزئ .

(9) نسخة 3 ، 4 : في علمك .

(10) نسخة 2 ، 3 ، 4 : تعدى حريم .

(11) نسخة 2 ، 3 : يدبر القلب .

(12) نسخة 2 ، 3 ، 4 : رسوب ترابيتها .

(13) نسخة 3 : عالم الغيب في عالم .

(14) نسخة 1 : بالرفيق .

(15) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الغيب .

ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ (أ) ، فسرحت بصائرهم في مطالعة فسيح عالم الغيوب (1) وهم في الدنيا ، ثم اتسعت لهم الفرجة حتى برزوا إلى بقاع البرزخ ؛ فهم فيها (2) متنعمون ، والأنبياء أحياء في قبورهم يصلون كما قد ورد ، ثم يسلك بهم إلى مقامات القيامة ، ثم يحملون إلى منازلهم في الجنة . واعلم أن لك في الوجود مراتب ، ولتكويناتك مواسم ، وأنت بعد ما حظيت إلا بتكوين واحد ووجود واحد ، فإذا كونت في البرزخ (3) تطالع ما كنت فيه من أيام الدنيا كأنها منام « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » (ب) كما قد ورد . ثم في كونك في البرزخ لك زمان وعالم تطالعه وتتحقق بمعرفته . « إن القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النيران » (4) (جـ) ثم تكون تكوينًا آخر في يوم البعث والنشور في منازل القيامة ، إذا اجتمعت متفرقات قالبك وبني بنيان دار خلودك في دار الخلود (5) ، ونزل الروح الذي هو صاحب المنزل في منزله ، فعند ذلك في ذلك (6) الوجود وفي ذلك الكون ترى ﴿ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ (د) . وترى روحك على ﴿ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ (هـ) . ثم أنبهك بمثل وأقول لك : ألست تصور أنك ربما نمت فرأيت في منامك نهرًا يجري من العسل إلى غير ذلك من الأشياء التي أخبرتها (7) من نعيم الجنة ، وأنت في منامك يمكن أن تبقى في تلك (8) المطالعة ساعة أو ساعتين أو أكثر من ذلك ، فماذا تنكر أن ذلك الوجود الذي هيء لك في منامك بإدراكك ما أدركت يتجسد ويتحقق (9) بالجنة ونعيمها ، ويكون ذلك وجودًا مكونًا لك (10) ، فالقادر على التكوين

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الغيب .
(2) نسخة 2 : فيه .
(3) نسخة 3 : البروج .
(4) نسخة 4 : النار .
(5) نسخة 2 ، 4 : البقاء .
(6) نسخة 4 : « في ذلك » ساقط .
(7) نسخة 2 ، 4 : أخبر بها .
(8) نسخة 1 ، 3 : ذلك .
(9) نسخة 1 ، 4 : بتجسد وبتحقق .
(10) نسخة 3 ، 4 : لك مكونًا .

(أ) سورة ص – الآية 50 .

(ب) يُعزى هذا القول إلى علي بن أبي طالب . انظر العجلوني – كشف الخفاء ومزيل الإلباس – مؤسسة الرسالة – جـ 2 – ص 414 – رقم الحديث 2795 . أيضًا محمد ناصر الألباني – سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة – مكتبة المعارف – الرياض – ج 1 – ص 219 – رقم الحديث 102 .

(جـ) أخرجه الترمذي في سننه – كتاب صفة القيامة – باب 26 – ج 4 – ص 640 – رقم الحديث 2460 .

(د) سورة محمد – الآية 15 .

(هـ) سورة الرحمن – الآية 76 .

بوجود في زمان يسير ، قادر على التكوين بوجود في زمان كثير ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ (أ) أما المنام الذي يفرغ أمتعة الحقائق في أوعية مثالية ، فهو [1] جزء من [عالم الغيب ، ولهذا ورد : « الرؤيا الصالحة جزء من] [2] ستة وأربعين جزءًا من النبوة » (ب) . هذه أبواب السعادات قد فتحتها [3] لك إن كنت ناظرًا بعقل مؤيد بالتوفيق الإلهي وأعلامًا [4] يقينية رفعتها [5] لك حتى تكون مؤمنًا بالقرآن غير مذبذب في تيه الطغيان ، فتثبت [6] ما أخبر اللّٰه به من الجنة ونعيمها والنار وجحيمها ، وقد ورد أن رسول اللّٰه ﷺ مدَّ يده في المحراب . ثم قبض يده فقيل : « يا رسول اللّٰه مددت يدك في المحراب ثم قبضتها [7] ، قال : نعم عُرض عليَّ عنقود من عنب الجنة ، فقيل : يا رسول اللّٰه هلا أخذته ؟ قال : هيهات ! حبةٌ منه لا تسعها [8] الدنيا » (جـ) وبالإجازة الشريفة إلى ابن سعد قال : أخبرنا بكارٌ بن عبد اللّٰه بن عبيدة الزيدي عن عمه موسى بن عبيدة عن إسماعيل بن أمية قال : « دخل العباس وابنه عبد اللّٰه على رسول اللّٰه ﷺ فلما خرجا من عنده قال له ابنه : يا أبت [9] هل رأيت الرجل الذي عند رسول اللّٰه ؟ قال : ما رأيت أحدًا ، فرجعا فقال له العباس : بأبي وأمي يا ابن أخي [10] أخبرني ابني أنه رأى عندك رجلًا ، فقال رسول اللّٰه ﷺ : وهل رأيته ؟ قال : نعم ، قال : ذاك جبريل » (د) فلما كان بعد ذلك ذهب بصره ، وكان رسول اللّٰه ﷺ يأتيه الملك على صورة إنسان ، فكان الاعتبار بالمعنى وهو جبريل عليه السلام يتبدى [11] في

---

(1) نسخة 1 : وهو ، نسخة 2 : هو .

(2) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(3) نسخة 1 : فتحت ، بهامشها مثبت كما هو بالنص .

(4) نسخة 2 : وأعلام .

(5) نسخة 1 : رفعت .

(6) نسخة 3 : متثبت ، نسخة 4 : مثبت .

(7) نسخة 1 كففتها ، بهامشها مثبت كما هو بالنص .

(8) نسخة 1 ، 3 ، 4 : لا تسع .

(9) نسخة 2 ، 3 ، 4 : يا أباه .

(10) نسخة 1 ، 3 : « يا ابن أخي » ساقط .

(11) نسخة 3 : يتبدل ، نسخة 1 بهامشها : يتبدل .

(أ) سورة الروم – الآية 23 .

(ب) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب التعبير – باب 4 – ص 69 . وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده – ج 2 – ص 369 .

(جـ) أخرجه بلفظ مختلف : البخاري في صحيحه – كتاب الأذان – باب 91 – ج 1 – ص 182 ، وأخرجه مسلم في صحيحه – كتاب صلاة الكسوف – باب 17 – جـ 1 – ص 626 ، وأخرجه النسائي في سننه – كتاب صلاة الكسوف – باب 17 – رقم 1491 – جـ 3 – ص 147 .

(د) ذكره ابن كثير بلفظ مختلف – انظر البداية والنهاية – مكتبة المعارف – بيروت – ط 5 – 1984 م – جـ 8 – ص 298 .

صورة ملائمة لضيق عرصة عالم الشهادة ، ويسمع رسول اللّٰه ﷺ كلام ربه فيرتوي منه رسول اللّٰه ﷺ ، ويحظى بطراوته ونضارته ، ثم يُخبر به أصحابه ويتلو [1] عليهم ، وهم بما توطنوا منازل اليقين كأنهم يسمعون من اللّٰه ، فجبريل [2] أمين الوحي ومحمد رسول اللّٰه أمين الرسالة والدعوة . ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ [أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ إلى قوله] [3] ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ... ﴾ الآية [أ] . الأصحاب بمثابة ما حول الزرع من الفروع ، وبركة الوحي شاملة [4] الأصل والفرع ، وكان أصحاب رسول اللّٰه ﷺ إذا قرأوا القرآن ولم يُرَ منهم الخشوع يقولون : هذه التلاوة ، فأين بركة الوحي ؟ واللّٰه تعالى يحشُر في زمرتهم من سلك مسلكهم بالإيمان واليقين بمنه وجوده [5] .

---

(1) نسخة 2 : ويتلوه . (2) نسخة 1 : وجبريل .

(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين ساقط . (4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : شامل .

(5) نسخة 1 : بهامشها زيادة « وجلاله وفضله وكرمه » .

(أ) سورة الفتح - الآية 29 .

الباب الرابع عشر

في غرائب منح الحق على أصحاب رسول الله ﷺ

[الدال على رزانة عقولهم وصحة نظرهم] (1)

قال اللّه تعالى في القرآن خطبة الثناء على رسوله اللّه ﷺ وعلى أصحابه بما يُستدل به على إحكام الروابط بين القلوب ، وإن رسول اللّه ﷺ جذب بمغنطيس شريف حاله قلوب الأتباع من أقطار البلاد ، وانساقت إليه صالحات (2) الاستعداد بالرابطة الروحية والتآلف القلبي ونسبة طهارة الفطرة ، أتى إليه سلمان من فارس وبلال من الحبشة وصُهيب من الروم لما نادى منادي دعوته من (3) مئذنة قوة رسالته ونبوته ، ولقحها رسول اللّه ﷺ بأقواله المصبوغة بصبغ الوحي المنزل ، فتأصل الهدى (4) ونور اليقين في قلوبهم ، ثم أيقظهم بالإيقاظ القدسي (5) النبوي ، عن رقدة الإهمال والغفول (6) عن سياسة الأقوال والأفعال ، لتكون أعين قلوبهم مذكاةً(أ) لإدراك مداخل العدوّ . وإصابات النفس الأمارة بالسوء ؛ إذ النفوس (7) المستجنة بمجَنّ الاختفاء والتواري سُكر شهواتها الخفية في الجوانح ساري ، وبالإيقاظ من رسول اللّه ﷺ دامت (8) مراقبتهم في البواطن ومحاسبتهم في الظواهر ، وقد بلغنا بالإجازة الشريفة قال : أخبرنا عبد المغيث بن زُهير الحربي قال : أخبرنا هبةُ اللّه بن محمد بن (9) الحصين قال : أخبرنا الحُسين بن علي المُذْهِّبُ قال : أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك (10) القطيعي قال : حدثنا

---

(1) نسخة 2 ، 3 : ما بين المعقوفتين ساقط ، وجاء مكانه الآتي : [وما دل على ارتباط قلوبهم بقلب رسول اللّه ﷺ ، والاستدلال بذلك على صريح الحق .

(2) نسخة 4 : عنايات .

(3) نسخة 2 : على .

(4) نسخة 3 : الهداية .

(5) نسخة 4 : القدوسي .

(6) نسخة 3 : العقول .

(7) نسخة 2 : النفس .

(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : دام .

(9) نسخة 1 ، 4 : « محمد بن » ساقط .

(10) نسخة 2 ، 4 : « بن حمدان بن مالك » ساقط .

(أ) مذكاة : من الذكاء وهو سرعة الفطنة ، ويقال : ذكُوَ قلبه يذكو ؛ إذا حيَّ بعد بلادة ، ويقال : أذكيتُ عليه العيون ؛ إذا أرسلت عليه الطلائع . لسان العرب – (مادة ذكا) جـ 14 – ص 287 ، 289 .

عبد اللّٰه بن أحمد قال : حدثني أبي قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال : حدثنا حماد بن زيد (1) قال : حدثنا عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن عبد اللّٰه بن مسعود قال : خط لنا رسول اللّٰه ﷺ خطًا ثم قال : هذا سبيل اللّٰه عز وجل ، ثم خطّ خطوطًا عن يمينه وشماله ثم قال : هذه سبل متفرقة ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ » (أ) . عُرِجَ بقلب رسول اللّٰه ﷺ إلى العالم العلوي بعد أن فُتح له باب العروج بقالبه في ليلة المعراج ، فكان له بعد ليلة المعراج عروجات متعاقبات بوجوده الفطري وروحه القدسي وقلبه النوراني ، وكل أحواله [قبل ليلة المعراج كانت دون ما كان في ليلة المعراج ، وكل أحواله] (2) بعد ليلة المعراج [كانت أعلى من حاله ليلة المعراج] (3) ، إذ لو لم يكن كذلك ، كان وقوفًا وتراجعًا ، وأحواله صلوات (4) اللّٰه عليه وسلم تقتضي الترقي ، إذ صار له بعد ليلة المعراج في العروج طريق مَهْيَع سهل المُتَناول والسلوك ، وله بكل عروج اطلاعات على عوالم الغيوب ، وتصفحات لمتجددات الحوادث في الأمة في زمانه وغير زمانه (5) إلى يوم القيامة ، وما يتضمنه هذا الخبر فيه شيء من ذلك ، فأخبر جميع الأصحاب موقظًا لهم من رقدة الإهمال والتضجع ، باعتبار متجددات الأحوال ، لينتبهوا (6) بإيقاظه لمداخل (7) الشيطان ، ووثبات النفوس الأمارة بالسوء ؛ إذ للنفوس اختفاء لا يشعر بها إلا ذوو البصائر النافذة (8) ، وقد ورد أن للنفس (9) كمونًا ككمون النار في الزناد (10) . وتفقهت قلوب أصحاب رسول اللّٰه ﷺ بهذا الإيقاظ . وبالإجازة الشريفة عن أبي الحسن علي بن عساكر عن أبي الوقت عبد

---

(1) نسخة 1 : « بن زيد » ساقط .

(2 ، 3) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط ، بهامشها مثبت كما هو بالنص .

(4) نسخة 2 : صلى .

(5) نسخة 3 : « وغير زمانه » ساقط .

(6) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ليتنبهوا .

(7) نسخة 2 : لمعرفة مداخل .

(8) نسخة 4 : الناقدة .

(9) نسخة 4 : للنفوس .

(10) نسخة 1 : بهامشها « الرماد » .

(أ) سورة الأنعام – الآية 153 .

والحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده – ج 1 – ص 435 ، وأخرجه الدارمي في سننه – جـ 1 – باب 23 – رقم الحديث 208 – ص 60 .

الأول عن الداودي الحمولي (1) عن الفربري عن البخاري قال : حدثنا سعيد بن حفص قال : حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن قال : سمعت معاوية خطيبًا يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله يُعطي » (أ) ، قال الشيخ رضي الله عنه (2) فاستقامت قلوب أصحاب رسول الله ﷺ وارتبطت بقلبه المستقيم ، وتعاضدت في إتقان (3) العلوم والمعارف ، وتناصرت (4) في مقامات القرب والمواقف ، وما زال ذلك الارتباط ميراثًا منتقلًا إلى الأمة ، لكل منهم من الارتباط قسم ونصيب ، فمن صحة ارتباط قلوب أصحاب رسول الله ﷺ مع رسول الله ﷺ [أن جعلهم الله بابًا من أبوابه ، يُلقى (ب) إلى رسول الله] (5) من ذلك الباب قسطًا من العلم ؛ ولذلك (6) قال الله : ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾ (جـ) . فكانت الاستشارة بهم (7) استطلاع المرادات الإلهية ، ويرى (8) أقوالهم مستودع الأسرار ، فيوحي الحق تعالى بطريقهم إليه كما يوحي إليه بطريق جبريل ، فأين هذه الرابطة ؟ (9) وأين هذا (10) التناصر والتعاضد المؤدي إلى المعارف والعلوم من بواطن الفلاسفة والمستقلين بأفكارهم وآرائهم ؟ ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴾ (د) وإنما هم أقوام دارت رؤوسهم بالهوسات ، وأشغلوا زمانهم بما احتقبوا به من (11) أمتعة الجهالات ، ولم يظفروا بنظر يُكسبهم تصحيح (12)

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الداودي عن الحموي .
(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : (قال الشيخ رضي الله عنه) ساقط .
(3) نسخة 3 : إيقان .
(4) نسخة 3 : وتأخرت .
(5) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط ، بهامشها مثبت كما هو بالنص .
(6) نسخة 1 ، 4 : وكذلك .
(7) نسخة 2 ، 3 : لهم .
(8) نسخة 1 : وترى .
(9) نسخة 2 : المرابطة .
(10) نسخة 1 : وهذه .
(11) نسخة 1 ، 3 ، 4 : « من » ساقطة .
(12) نسخة 1 : « تصحيح » ساقط ، بهامشها « بصحيح » .

(أ) أخرجه البخاري في صحيحه – باب 10 – كتاب الاعتصام بالسنة – ج 7 – ص 149 . وأخرجه مسلم في صحيحه – باب 33 – كتاب الزكاة – رقم الحديث 98 – جـ 1 – ص 718 .
(ب) أي يلقي الله تعالى إلى رسوله ﷺ قسطًا من العلم في كل باب من أبواب ارتباط أصحابه به .
(جـ) سورة آل عمران – الآية 159 .
(د) سورة الشعراء – الآية 101 .

الدلالات ، ولو اعتبر المعتبر بأحوالهم – أعني الصحابة [1] – مع حال رسول الله ﷺ ، يشهد البعض للبعض بالصحة والكمال ، ولم يظفر المبطلون إلا بالوهم والخيال أن الله مولى الذين آمنوا ، رابطتهم بطريق الإيمان متصلةٌ بالنبي عليه السلام ، وأخبر الله عن حالهم وحال المبطلين ، وقال [2] : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [أ] . وبتلك الرابطة كان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه : « من رأي منكم البارحة [3] رؤيا ؟ » [ب] . كل ذلك [4] استبانةً واستكشافًا عمّا عند الله لما يعلم أن القلوب صحيحةٌ ، وفي الصلوات الخمس والتحيات فيها تجديد عهد الرابطة ، يقول المصلي : سلامٌ علينا وعلى عباد الله الصالحين . وتطرق نسمات السلام قلوب الصالحين في الأرض والسموات ويتجدد لها عهدٌ برابطة [5] الجنسية والأنوار الفطرية ، ولهم اجتماعات بالرابطة الروحية ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [جـ] ، وحنينٌ متجددٌ بالأنفاس مُتلَقى فيما ورد بقول [6] الله تعالى « ألا طال شوق الأبرار إلى لقائي وإني إلى لقائهم لأشد شوقًا » [د] . كلما لاح لائح من مطالع [7] الجود الأزلي ، تفيق [8] له الأرواح وتموج [9] بالتلاقي بظهر الغيب ، تكاد [10] بتموجها يضيق عنها نطاق الأشباح :

أيـدري الـربـعُ أيَّ دَمٍ أراقـا وأيَّ قلوب هذا الربع شاقا

---

(1) نسخة 1 ، 3 ، 4 : « أعني الصحابة » ساقط .

(2) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط ، بهامشها مثبت كما هو بالنص .

(3) نسخة 2 : « من رأي رؤيا » ، نسخة 3 : « من رأى البارحة رؤيا » .
نسخة 4 : « من فيكم من رأى رؤيا » .

(4) نسخة 1 : « كل ذلك » ساقط ، نسخة 4 : كان ذلك .

(5) نسخة 3 : بواسطة .

(6) نسخة 2 ، 3 ، 4 : يقول .

(7) نسخة 3 : مطالعة .

(8) نسخة 1 : يفيق .

(9) نسخة 1 : ويموج .

(10) نسخة 1 : يكاد .

(أ) سورة محمد – الآية 11 .

(ب) أخرجه البخاري في صحيحه – باب 93 – ج 2 – ص 104 ، وأخرجه مسلم في صحيحه – باب 3 – كتاب الرؤيا – ج 2 – ص 42 – رقم الحديث 2269 .

(جـ) سورة القمر – الآية 55 .

(د) انظر الفتني – تذكرة الموضوعات – تصوير بيروت – ص 196 .

لنا ولأهله أبدًا نفوس [1] تلاقي في جسومٍ ما تلاقى

لقاح الأنفاس النبوية وصل إلى قلوب مستعدة ، فتلقحت بالعلوم والمعارف ، واقتنت [2] المنائح والعوارف ، وصدرت منهم كلماتٌ لو أدركها حكماء يونان لخروا لها سجدًا [3] ، ومما يُنقل من حكايات الفلاسفة : أن واحدًا منهم أرسطاطاليس أو غيره ، قال يومًا في جمع من تلامذته : القنية بيت الأحزان ، فخروا له ساجدين استعظامًا لكلمته ، فكم من كلمات حكيمة تُسمع من آحاد هذه الأمة مما تربو على قول هذا المسجود له . وبالإجازة الشريفة إلى ابن سعد [4] قال : حدثنا عبد الله بن جعفر عن ابن خيثم عن مجاهد قال : سمعت ابن عباس يقول : « خدمتُ عمر خدمةً لم يخدمها إياها أحد من أهله ، ولطفت به [5] لطفًا لم يلطفه أحد من أهله ، فخلوت معه ذات يوم في بيته وكان يُجلسني ويكرمني ، فشهق شهقة ظننت أن نفسه سوف تخرج منها ، فقلت : أمِن جزع يا أمير المؤمنين ؟ فقال : من جزع ، فقلت : وما ذاك ؟ فقال : اقترب فاقتربت منه فقال : لا أجدُ لهذا الأمر أحدًا ، فقلت : وأين أنت من فلانٍ وفلانٍ وفلان . وسمَّى [6] له ستةً من أهل الشورى فأجابه في كُل واحدٍ منهم بقول ثم قال : إنه لا يصلح لهذا الأمر إلا قويٌّ من غير عُنف ، ليِّنٌ من غير ضعف ، جواد من [7] غير سرف ، ممسك من غير بخل » [أ] انظر إلى هذا الصراط الذي أشار إليه عمر في قوله ، وهو صراط الاعتدال بين الإفراط والتفريط ، كلامٌ مستفادٌ من مشكاة النبوة ، وقد خطب خطيب الأفضال على منبر الآثار مخبرًا عن شريف الحال عن النبي والآل بقوله عز وجل : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [ب] إشارة إلى الخُلق مع الخلق ، ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ [جـ] إشارة إلى الصدق مع الحق ، ﴿ سِيمَاهُمْ

(1) نسخة 2 ، 3 : قلوب .
(2) نسخة 1 : واقتفت .
(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ساجدين .
(4) نسخة 3 : مسعود .
(5) نسخة 4 : له .
(6) نسخة 3 : فسميت ، نسخة 2 ، 4 : فسمى .
(7) نسخة 3 ، 4 : في .

(أ) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى – جـ 3 – ص 343 . مختصرًا على السطر الأخير وبلفظ مختلف وعزاه إلى وكيع بن الجراح عن أبي معشر عن مشايخه عن عمر : « أن هذا الأمر لا يصلح إلا بالشدة التي لا جبرية فيها ، وباللين الذي لا وهن فيه » وحكم عليه بأنه حديث معضل ؛ لأن فيه رواة لم يسموا . وأخرجه ابن أبي شيبة بنفس الاختصار وعزاه إلى محمد الكاتب عن عمر . انظر المصنف – جـ 11 – ص 98 .

(ب ، جـ) سورة الفتح – الآية 29 .

فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (أ) ، أيدري الفلسفي ما ذلك السيماء ؟! أو يدرك كيف ذلك النور ؟! أو سجد لله قط سجدة [1] في جميع عمره يتنور بها قلبه أو وجهه ؟! دعه يسجد لعلة العلل ، ليعود من سجوده مكفهرًا قد غشيته كآبة الضلال وعلاه ظلمة الخبال [2] . ومما نقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كلماتٌ دالةٌ على الحكمة البالغة ، منها قوله عليه السلام : « الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر . وقال : العلم علمان : مطبوع ومسموع ، ولا ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع » . وقال عليه السلام : « صواب الرأي بالدول ويذهب بذهابها . وقال : العفاف زينة الفقر ، والشكر زينة الغنى » . وقال : « يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم » . وقال : « الأقاويل محفوظة ، والسرائر مَبلوة [3] وكل نفس بما كسبت رهينة ، والناس منقوصون مدخولون إلا من عصمه الله ، سائلهم متعنت ، ومجيبهم متكلف ، يكاد أفضلهم رأيًا يرده عن فضل رأيه الرضا والسخط » (ب) . فهذه كلمات يستدل بها على ما آتاه الله تعالى من العلوم والحكم ، أترى مَن هذا مقاله [4] يكون على غير بصيرة من أمره ؟ بل كان لديه من قوة اليقين ما يقول : « لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا » (جـ) فكان يطالع الأمور الأخروية بعين بصيرته ، ويستمد من صحبة رسول الله ﷺ أقوالًا وأحوالًا وأعمالًا يتعلمها ويتحقق بها من مشكاة نبوته . وقد نقل عن جعفر الصادق رضي الله عنه [5] أنه قال : لقد تجلى الله لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون ، انظر إلى هذا العلم وإلى هذا اليقين كيف ارتقى من مطالعة الكلام إلى مطالعة المتكلم . وقيل : إنه كان في الصلاة فغشي عليه حتى خرج من صلاته ، فقيل له : ما سبب ذلك ؟ قال : مازلت أردد الآية حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت لها قدمي . ألك أيها الفلسفي من هذا نصيب ؟! أم تظن أن جعفرًا الصادق عليه السلام كان ضعيف الرأي قليل العلم ، آمن برسول الله ﷺ عن قصور في العلم وضعف في الرأي ؟! بل لك الرأي الضعيف والعقل السخيف . ونقل

---

(1) نسخة 2 : أو سجد سجدة لله .
(2) نسخة 4 : الخيال .
(3) نسخة 4 : متلوة .
(4) نسخة 2 ، 4 : مقامه ، نسخة 3 : هذه المقالة .
(5) نسخة 4 : عن النبي ﷺ .

(أ) سورة الفتح – الآية 29 .
(ب) كل هذه الأقوال وردت في نهج البلاغة – المصدر السابق – ص 534 ، 535 – من رقم 337 إلى رقم 343 .
(جـ) القاري – الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة – المرجع السابق – ص 256 – رقم الحديث 1060 .

عن بعضهم أنه قرأ القرآن على شيخه ، ثم قرأ عليه ختمة أخرى ، ثم جعل يقرأ الثالثة فقال له : قم من عندي واقرأ على الله . يبلغون من اليقين ما يطوون أطوار الخلقة ويرتقون إلى أنوار (1) عالم الفطرة ، فيسمعون من الله ، ويقرأون على الله ، بل يسمعون كلام الله من القارئ كما سمع [موسى صلوات الله عليه نداء ﴿ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ من الشجرة (2)] (أ) ، فيكون لسان القارئ عندهم كشجرة موسى ، بل من التالين من يعلم أن (3) كلام الله القديم كما قال رسول الله ﷺ : طرفٌ بيده (4) وطرفٌ بأيديكم (ب) . يرتقون بصفاء بواطنهم إلى أن يقرأوا بالطرف الذي يلي الحق ، وعند ذلك يمكنهم قراءة القرآن من فاتحة إلى خاتمته من غير أن يزاحمهم (5) حديث النفس (6) . وهذه آيات وكرامات ودلالات تدل (7) على جدوى الإيمان بالغيب وإجابة دعوة رسول الله ﷺ . وقد قيل : كرامات الأولياء من تتمة معجزات الأنبياء . ونقل أن الحصري كان يحضر عند الشبلي كل يوم جمعة فيقول له الشبلي : إن خطر بقلبك من الجمعة (8) إلى الجمعة الأخرى غير الله فحرام عليك أن تحضرني . فيقول القاصر العلم : من لم يجد من هذا حالًا كيف يتصور ذلك ، وأنا أصوره لك : إذا اجتمعت أنوار اليقين واستكنت في القلب ، يكون لها نورٌ يتصاعد من القلب بمثابة ماء يفور من فوارة بالقوة ، فلو ألقي على ذلك الماء تبنةٌ (جـ) يقذفها (9) الماء بقوته [فلا تنزل إلى الموضع الذي يصعد منه

---

(1) نسخة 2 : أطوار .
(2) نسخة 2 : ما بين المعقوفتين كالآتي [نداء « أني أنا الله » موسى عليه السلام من الشجرة] .
(3) نسخة 2 ، 4 : بأن ، نسخة 3 : « أن » ساقطة .
(4) نسخة 2 : بيد الله .
(5) نسخة 2 ، 3 : يزاحمه .
(6) نسخة 1 : نفس .
(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « تدل » ساقطة .
(8) نسخة 1 : « من الجمعة » ساقط .
(9) نسخة 1 : تقذفها .

(أ) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين ﴾ سورة القصص - الآية 30 .
(ب) أخرجه ابن حبان في صحيحه - جـ 1 - ص 329 - 330 - رقم الحديث 122 - مؤسسة الرسالة ط 1 - 1988 م . قال : « عن ابن شريح الخزاعي قال : خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال : أبشروا وأبشروا ، أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ قالوا : نعم ، قال : فإن هذا القرآن سبب طرفه بيده وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدًا » . وأخرجه عبد بن حميد في المنتخب من مسنده - ص 175 - رقم 483 والطبراني في الكبير - جـ 2 - ص 126 - رقم 1539 ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد - جـ 1 - ص 169 : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .
(جـ) تبنة : عصيفة الزرع من البر ونحوه ، وهو علف للدواب . انظر لسان العرب (مادة تبن) - جـ 13 - ص 71 .

الماء] [1]، فهكذا نور اليقين يقذف حديث النفس فلا يتخلل القلب حديث النفس . وأضرب لك مثلًا آخر : مَن رزُق شرح الصدر بنور الإيمان والإسلام يتسع وعاء قلبه فيرى حديث النفس يجري في النفس ، وقلبه مُصانٌ من أن يتخلله ذلك ، فيكون بمثابة إنسان على جبل وحوله وادٍ [2] فيه الحيات والعقارب ، يطالعها من ذروة الجبل [3] ، وهو في مأمن من وصولها إليه . ولهذا المعنى كان [4] عمر رضي اللّٰه عنه يجهز [5] الجيش وهو في الصلاة [أ] ، فيجعل حديث نفسه بتجهيز الجيش [بين يدي الحق في صلاته ، بمنظر من اللّٰه ومسمع ، لا يلهيه تجهيز الجيش] [6] ولا يحول ذلك بينه وبين صفو المناجاة مع اللّٰه ، لا جرم من كان تجهيزه الجيش في مثل ذلك المقام بهذا المعنى ، يكون من كرامته أن يُنادي : يا سارية الجبل ، وهو في المدينة ، فيسمع سارية قوله وهو بنهاوند [ب] ، وهذه قطرة [7] من بحار ما شربت منها [8] الفلاسفة شربة ، ولا مرت بساحة قلوبهم منها نسمة :

دع الهوى لأناس يعرفون به قد مارسوا الحب حتى لان أصعبه

يا معشر الفلاسفة ، يا مخانيث الرجال ، يا راكبين متون الأباطيل والمحال ، المغترين بالآل ، الممنوعين من الماء الزلال ، لو عرفتم حقيقة [9] ما فاتكم من السعادة الكبرى لتقطعت أكبادكم كمدًا ..

---

(1) نسخة 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(2) نسخة 1 : وادي .
(3) نسخة 2 : ذلك الجبل .
(4) نسخة 2 : أن .
(5) نسخة 2 : كان يجهز .
(6) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط . بهامشها مثبت كما هو في النص .
(7) نسخة 1 ، 2 : قدرة .
(8) نسخة 2 : منه .
(9) نسخة 1 ، 3 : حقيقته ، نسخة 2 : « حقيقة » ساقطة .

(أ) إشارة إلى قول عمر بن الخطاب (رضي اللّٰه عنه) : « إني لأجهز جيشي وأنا في الصلاة » أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب العمل في الصلاة – باب 18 – جـ 2 – ص 64 .

(ب) انظر ابن الأثير – أسد الغابة في تمييز الصحابة – باب العين والميم – ج 4 – ص 153 ، وأورده السيوطي في تاريخ الخلفاء في ترجمة عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه – ط 2 – 1969 م – ص 125 .

الباب الخامس عشر

في ذكر أحوال نخبة (1) هذه الملة الحنيفية ، وما منحوا به ببركة متابعة رسول الله ﷺ من الكرامات وخوارق العادات الدال (2) على صحة ما صاروا إليه ، وتبيين بطلان ما ركن (3) إليه الفلاسفة

قال اللّه تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (أ) . في الآيات خزائن الأسرار ، يؤسس (4) سائرها على اليقين وهو قوله : ﴿ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (ب) ، أخبر التنزيل بما ظفر به أهل هذه الملة (5) . بأعز الكنوز وهو اليقين ، وهذا الكنز لم يُعطِ منه ذرةً أحدًا (6) من الفلاسفة والدهريين ، وأبى اللّه أن يكون لهم حظ من ذلك . ومن أحظى أرباب اليقين من جعل قدوة للمتقين ، قال اللّه تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (جـ) . وقد ورد فيما رواه أبو إمامة الباهلي قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إن من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ، فمن أوتي حظه منهما لا يبالي ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ، ولأن يأتيني واحد منكم بمثل ما أنتم عليه الآن أحبُّ إليَّ من (7) أن يأتيني واحدٌ منكم بمثل عمل جميعكم ، ولكني (8) أخاف أن تفتح (9) عليكم الدنيا بعدي ، فينكر بعضكم بعضًا وينكركم أهل السماء ، فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ، ثم تلا : ﴿ مَا

---

(1) نسخة 1 : « نخبة » ساقطة .

(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : الدالة .

(3) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ما صار .

(4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : تأسس .

(5) نسخة 2 ، 4 : « هذه » ساقطة .

(6) نسخة 2 ، 3 ، 4 : أحد .

(7) نسخة 3 : « أحب إلي من » ساقط .

(8) نسخة 1 : ولكن .

(9) نسخة 1 : يفتح .

(أ) سورة البقرة – الآيات من 1 - 5 .

(ب) سورة البقرة – الآية 4 .

(جـ) سورة السجدة – الآية 24 .

عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ (أ) . فأصحاب اليقين يرون اطلاع الله على ضمائرهم ، ويستحيون منه حياء الرجل من عظيم يستحيى منه ، والتحق إيمانهم بالمحسوس حتى إنهم بعباداتهم يعبدون حاضرًا لا غائبًا ، الله بينهم وبين محرابهم الذي يستقبلونه ، ومن أرباب اليقين من رفع في اليقين رتبة حتى يرى أنه إذا سجد يسجد (1) تحت العرش ، ومنهم من يرفع (2) رتبة أخرى حتى يرى أنه يسجد على طرف رداء العظمة ، ومن وراء ذلك مقامات في اليقين [يعز ذكرها لغير أهلها ، وتصان أن تودع بطون الصحف ، ومن ذلك حق اليقين ومنه] (3) إلمامات يسيرة في الدنيا . فيا معشر الفلاسفة تخرجون من الدنيا بأكباد عطاش ، ما شربتم من بحر اليقين شربة ، ولا طرق أسماعكم من أستاذيكم نسمة ، فتخرجون من الدنيا بعين مكفوفة عن الاطلاع على العلم ، وإنما كثر عندكم علوم الأفكار ، وبضاعتكم من ذلك مزجاة (4) ، غير أنكم ما اشتريتم ببضائع علومكم مثقال ذرة من يقين ، ومراتب هذه الأمة في اليقين متفاوتة ﴿ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ (ب) ، فأول من امتار (جـ) من ذخائر اليقين من هذه الأمة أصحاب رسول الله ﷺ ، بلغ اليقين بهم إلى بذل الأرواح ، ورأوا الظفر بالشهادة من أنفس الأرباح ، حتى استسهم (5) (د) النساء من ذلك في زمن رسول الله ﷺ ، ومنهن من شهدت الآيات والقُدَرَ ، كأم أيمن رضي الله عنها حيث خرجت مهاجرة إلى رسول الله ﷺ فأجهدها الجوع والعطش وهي صائمة حتى أشرفت على التلف ، فرأت سقاء برشاء نزل من السماء فشربت منه ، فصارت بعد ذلك تتعمد ثواب العطش بصومها في الهواجر ، فلم تجد أثرًا من العطش ، ثم تفاوتت الأقدار ، فمنهم من باشره روح اليقين من غير سابقة

---

(1) نسخة 2 : سجد .

(2) نسخة 1 : بهامشها « رفع » ، نسخة 3 ، 4 : رُفع .

(3) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط بهامشها مثبت كما هو النص .

(4) نسخة 1 : غير مزجاة . (5) نسخة 3 : استهم .

(أ) سورة النحل – الآية 96 .

والحديث أورده العجلوني مختصرًا – كشف الخفاء ومزيل الإلباس – ج 1 – ص 305 – رقم الحديث 802 .

(ب) سورة المجادلة – الآية 11 .

(جـ) امتار : من الميرة وهو جلب الطعام والميار هو جالب الميرة . والمقصود به هنا هو أول من جلب وأخذ وابتاع من ذخائر اليقين هم أصحاب الرسول ﷺ . انظر لسان العرب – (مادة مور) جـ 5 – ص 188 .

(د) استسهم النساء : أخذوا سهمًا وحظًّا من الكرامات .

عمل ، وذلك بكمال (1) الاستعداد : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ (أ) ، ومنهم من قرع باب الكسب ودرج في مدارج التزكية والتحلية حتى ارتفع الحجاب عن قلبه ، فالأول بجذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين ، والثاني بكسب أرشد إليه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (ب) ، ويجمع الحالين قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (جـ) ، الأول اجتباء من غير علة ، والآخر هداية معلولة بكسب الإنابة . ومن أهل الإيقان من عومل بخرق العادات ورؤية القدر والآيات ، من (2) طي الأرض والمشي على الماء والهواء وقد بلغنا بالإجازة إلى أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن أبي الفضل التيمي بإسناده إلى ابن أبي الدنيا قال : حدثنا [هارون بن عبد الله قال : حدثنا حجاج بن محمد قال : حدثنا] (3) أبو هلال محمد ابن سالم عن بكر بن عبد الله المزني قال : فقد الحواريون نبيهم عليه السلام فقيل لهم : توجّه (4) نحو البحر فانطلقوا يطلبونه ، فلما انتهوا إلى البحر إذا هو (5) يمشي على الماء يرفعه الموج مرة ويضعه أخرى ، وعليه كساء مرتد بنصفه [ومتزر بنصفه ، حتى انتهى إليهم ، فقال له بعضهم] (6) : ألا أجيء إليك يا نبي الله ، قال : بلي ، فوضع إحدى رجليه في الماء (7) ثم ذهب ليضع الأخرى ، قال : آه غرقت يا نبي الله ، قال : أرني يدك يا قصير الإيمان ، لو أن لابن آدم من اليقين شعيرة (8) لمشى على الماء . قال بعض العلماء من العارفين : من أساس الإيمان الإيمان بالقدرة والإيمان بالقدر ، فقيل له : ما معنى الإيمان بالقدرة ؟ قال : هو أن تؤمن ولا تشك بأن يكون لله عبدٌ بالمشرق نائم على جنبه ، فينقلب إلى الجانب (9) الآخر فإذا هو بالمغرب . ولهذا المعنى قال أبو حنيفة رحمه الله بإثبات الفراش للمشرقي إذا تزوج بالمغربية (د) ، وهذه الأمة يعرفون هذا

---

(1) نسخة 2 ، 3 ، 4 : لكمال . (2) نسخة 2 ، 3 : في .

(3) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط بهامشها مثبت كما هو بالنص .

(4) نسخة 4 : توجهوا . (5) نسخة 4 : إذ هو أقبل .

(6) نسخة 4 : ما بين المعقوفتين ساقط . (7) نسخة 2 : « في الماء » ساقط .

(8) نسخة 2 : شعيرة من اليقين . (9) نسخة 4 : الجنب .

(أ) سورة النور – الآية 35 . (ب) سورة العنكبوت – الآية 69 . (جـ) سورة الشورى – الآية 13 .

(د) هذا رأي أبي حنيفة في شروط ثبوت النسب ، وهو بذلك يخالف جمهور العلماء ؛ حيث إنهم اشترطوا لذلك « دخول الرجل بالمرأة أو إمكانه » أما هو فقد اكتفى بصحة عقد النكاح دون الدخول أو إمكانه . =

ويوقنونه [1] ، وليس هذا مما يدركه عقل الفلسفي وهو غير مستحيل ، وقد يطوى لهم الزمان كما يطوى لهم المكان . وقد قال لي من لا أشك في قوله بما علمت من صحة حاله وصدقه : أنه كان بمكة وهناك رجل من صالحي أهل المغرب ، يُنسب إلى الكرامات وخوارق العادات ، قال : فاتفقت معه [في الطواف ومشيت معه] [2] من الركن العراقي وسمعت قراءته [3] ما بين الركن العراقي وركن الحجر ، قرأ من حم المؤمن إلى آخر القرآن . وهذه كرامة يشترك فيها القارئ والسامع [4] . فأيها المسكين المحجوب الفلسفي والدهري [5] ، من عاين هذا وعلمه ، يدخل في سمعه زخارف علوم الفلسفة [6] ، ويقال لك : سلم لك [7] ما علمته بطريق الهندسة وعلم الهيئة ، ولكن ما يساوي جميع ما علمت [8] ذرة من اليقين ، وأصبحت خاسرًا لا لك بزعمك إله [9] ولا رسول ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا نشور ، بل عندك خزائن مملوءة من الزور والغرور . أدركنا في زماننا شابًا من أهل قزوين ، وقصته مشهورة : أن اللّٰه منحه ومكنه من أن يحضر رجال الغيب عنده ، وكان يجتمع عنده جمع من الناس ، فيسمعون قراءة القرآن من البيت ، ويصلون الفرائض بإمامة رجال الغيب الصلاة الكاملة بقراءتها وهيئتها ، ثم يدخلون البيت وما هنالك أحد ، وقد كان رآه بعض أصحابنا ، حتى إنه صافح واحدًا منهم وناوله خرزة وهي عندي الآن . وحكايات أرباب الكرامات من هذه الأمة ومن

---

(1) نسخة 4 : يوقنون به .

(2) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(3) نسخة 4 : قرابة .

(4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : والمستمع .

(5) نسخة 1 : « الفلسفي الدهري » ساقط بهامشها مثبت كما هو بالنص .

(6) نسخة 2 ، 4 : الفلاسفة .

(7) نسخة 2 ، 3 : « لك » ساقط .

(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : ما يساوي ما علمته .

(9) نسخة 2 ، 3 : لا لك إله ، نسخة 4 : مالك إله .

= وأحسب أن الإمام أبو حنيفة في ذلك اعتمد على اعتقاده في قدرة اللّٰه تعالى فيما يهبه لبعض خلقه من كرامات لذلك فالمغربي قد يتزوج بالمشرقية وبينهما مسيرة سنة ، وإذا جاءت بولد بعد ستة أشهر منذ العقد فإن النسب يثبت لقيام الفراش ؛ لأنه ربما طويت له المسافة أو كان مستخدمًا لوسائل أخرى كالجن والطيران ... وهكذا . - انظر حاشية ابن عابدين - المسمى رد المحتار على الدر المختار - جـ 3 - ص 512 مصطفى البابي الحلبي - مصر . ويقول السرخسي في ذلك « السبب الحقيقي في ثبوت النسب هو علوق المرأة بالولد من ماء الرجل ، وهذا العلوق أمر خفي لا يمكن معرفته ، وكذلك التمكن من الوطء الذي هو مظنة هذا العلوق أمر خفي أيضًا لا يمكن الوقوف عليه ، ولهذا يجب تعليق الحكم بالسبب الظاهر وهو عقد الزواج الذي لا يعقد شرعًا إلا لهذا المقصود » المبسوط - مطبعة السعادة بمصر 1924 م - جـ 17 - ص 156 .

غير هذه الأمة [من غير النسخ والتبديل] (1) كثيرة مشحون (2) بها الكتب والمجلدات . ولك (3) أيها الفلسفي ما يقارب شيئًا من هذا ، من طريق النيرنجات والطلسمات والغيبة عن العيون (4) ، ولكن كل ذلك استدراج لك ومكر ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (أ) ، لتبقى في أوطان الطرد والبعد ، وأنا بهذا الكلام أنادي عليك بين يدي الحق ، رحمة لك بظهر الغيب ، لعل اللّٰه تعالى ينقذك من غمرات جهلك ، فقد أنقذ من شاء من ذلك . وقد صحبنا من بقي في هذه العلوم المذمومة برهة من الزمان ، وكان (5) قرئ عليه وصار له تلامذة فيها (6) ، ثم إن اللّٰه تعالى أنقذه فقضى الصوم والصلاة لسنين كثيرة ، حتى لعله (7) كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة قضاء ، وربي عالم بي وبنيتي في إنشاء هذا الكتاب أني (8) غير طالب لشيء من عروض الدنيا من جاه أو تقرب إلى أحد ، بل ألقى اللّٰه بنية صالحة فيه وأبتهل ، وقد يكون من (9) لا يكاشف بالقدر والآيات وخوارق العادات أتم حالًا ممن كوشف بذلك .

قال بعضهم : مشى على الماء أقوام بيقينهم ، ومات من العطش أقوام أقوى منهم يقينًا ، والسر في ذلك أن الذي كوشف بالقدر والآيات كان في استعداده ضعف لم يبلغ ذروة الإيقان ، فكوشف بالقدر ليقوى (10) يقينه ويحظى بذلك بأحوال الرجال ، ومن رزق كمال الاستعداد رفع عن قلبه الحجاب ، وجذب بجذبة من جذبات الحق (11) التي توازي عمل الثقلين ، وكشف القدرة ممن بلغ هذه الرتبة لا يقتضي الحكمة ، فإنه غير محتاج إلى إكمال اليقين ، فكشف القدرة له رفع حجاب الحشمة ، وحجاب الحشمة للنبلاء من العارفين ليزدادوا هيبة ، يأخذون (12) بها فرارًا في مطاوي الانكسار والحياء ، وذلك الانكسار والانفصال هو غاية الاتصال . يقول بعضهم : الاستسلام عند التلاقي

---

(1) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط بهامشها مثبت كما هو بالنص .

(2) نسخة 4 : مشحونة .

(3) نسخة 1 : ولكن .

(4) نسخة 4 : الغيوب .

(5) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « وكان » ساقطة .

(6) نسخة 2 ، 3 ، 4 : فيه .

(7) نسخة 2 : أنه .

(8) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « أني » ساقطة .

(9) نسخة 1 : بهامشها « ممن » .

(10) نسخة 3 : فلو كوشف ليقوى .

(11) نسخة 4 : اللّٰه .

(12) نسخة 1 ، 2 : يأخذوا .

(أ) سورة آل عمران – الآية 54 .

جرأة ، والانبساط في محل الأنس غرة [1] ، واللياذ بالهرب من علم الدنو وصلة . ومن غرائب ما نازل بعض العارفين في مقامات حق اليقين ، الذي منه إلمامات يسيرة في الدنيا لبعض العارفين ، قال : في البكاء رتبة من أعز الرتب ، وذاك [2] أن البكاء قد يكون بكاء الخوف ، وقد يكون بكاء الحزن ، [وقد يكون بكاء الشوق] [3] ، وقد يكون بكاء الفرح كما قيل :

طفح السرور عليّ حتى أنني   من عظم ما قد سرني أبكاني [أ]

وقد يكون بكاء الوجدان وهو مما يوجد في مقامات حق اليقين من حظ وافر من القرب ، فيحدث البكاء لمغايرة [4] بين القديم الأزلي والعبد العاجز الضعيف الترابي ، فيحصل من ذلك بكاء هو رشح الحدثان ، لوهج سطوة عظمة الرحمن ، ويقرب من ذلك مثلًا في الشاهد قَطرُ الغَمام بتلاقي مختلف [5] الأجرام . فأيها الفلسفي هل تسمع أو تعقل ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [ب] ﴿ أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [جـ] ، ريْنُ الأفكار العفنة دوّخ [6] رأسك ، ومتولدات قريحتك الدنسة حشت قلبك . ولعلك تقول : أين هذا القول من كلام فلان وفلان ؟ ، أتظن أن من أهّل للمواهب الإلهية تقصر قريحته عن [7] إدراك ما أدركت أنت ؟ ، ولكن حماية الله تحرس قلوب عباده من التدنس بوخيم الأدناس ، وتحميهم من تلويثات الأنجاس ، وغاية ما يومئ إليه كلام ابن سينا الذي تفهمه [8] ، والركون إليه كفرك [9] تقليدًا ، وهو عند العلماء الراسخين فشار لا حاصل له ، ولعل من عنده حظٌّ من العلم يَرى قرائحك وقرائح مَن تعتقد فيه قاصرة ، ويقول : لو أن

---

(1) نسخة 1 : عزة .
(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : وذلك .
(3) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(4) نسخة 4 : المغايرة .
(5) نسخة 1 : « مختلف » ساقط بهامشها مثبت كما هو بالنص .
(6) نسخة 2 : دوخت .
(7) نسخة 3 ، 4 : من .
(8) نسخة 4 : يفهمه .
(9) نسخة 1 : كفرت ، نسخة 4 : كفر .

(أ) وقيل هذا البيت بلفظ آخر :

هجم السرور عليّ حتى أنه   من فرط ما قد سرني أبكاني

(ب) سورة المطففين – الآية 14 .
(جـ) سورة الأعراف – الآية 100 .

أرسطاطاليس وأفلاطون ومن يشاكلهما وجدهم لطمع [1] فيهم لما عنده من الاستعداد ، وأنه [2] لو أدركهم بما عنده [من قوة اليقين لقلب أعيان عقائدهم بما عنده] [3] من إكسير نور اليقين . وقد سمعت من بعض العارفين كلامًا أذكره [4] لتأخذ [5] منه الإشارة ، لا أني أعتد به كل الاعتداد [لما أخشى أن] [6] يخامر قلوب بعض الأخوان من ذلك [7] وحشة ، وذلك [8] أنه قال : الكرامية بالنسبة إلى الحنابلة مشبهةٌ ، والحنابلة بالنسبة [[9] إلى الأشعرية مشبهة ، والأشعرية بالنسبة إلى المعتزلة مشبهة ، والمعتزلة بالنسبة إلى الفلاسفة مشبهة ، والفلاسفة بالنسبة إلى من علم العلم الذي هو ميراث الأنبياء [10] عليهم السلام مشبهة ، فعلماء الأمة كأنبياء بني إسرائيل لهم الحظ الوافر من بحر العلم ، لهم منه الجداول ولهم من معينه المناهل ، وليس لبحر العلم المتصل بعلم النبي ﷺ ساحل ، حتى ينتهي إلى بحار العلم الأزلي التي تنفذ البحار دون نفادها ، وتنفد [11] أعداد الرمال دون الوفاء بكنه أعدادها ، ولو ساعدك التوفيق وطالعت كلام رسول الله ﷺ ووصاياه لاستهنت بعلم الفلاسفة ، ولكنت تعده خبالًا وسفهًا ، وقد بلغنا بالإسناد إلى أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي قال : أخبرنا أحمد ابن عبد الرحمن الذكواني قال : أخبرنا أبو بكر مردويه قال : حدثنا عبد الرحمن بن الحسن قال : حدثنا إبراهيم بن الحسين قال : حدثنا أبو بكر بن شيبة الحزامي [المدني قال : أخبرني محمد بن إبراهيم بن المطلب بن أبي وداعة] [12] السهمي عن زهرة [13] ابن عمرو التيمي عن ابن حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يا فتى ألا أعلمك كلمات تنتفع بهن ؟ ، قلت : بلي يا رسول الله ، قال : « احفظ الله يحفظك احفظ الله [14] تجده أمامك ، تعرف إلى الله [في الرخاء يعرفك

---

(1) نسخة 2 ، 4 : ومن يشاكلهم لو وجدهم طمع .

(2) نسخة 2 ، 3 ، 4 : إنه .

(3) نسخة 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(4) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « أذكره » ساقطة .

(5) نسخة 2 : لنأخذ ، نسخة 3 ، 4 : نأخذ .

(6) نسخة 1 : ما بين المعقوفتين ساقط وذكر مكانه : فلا يكن .

(7) نسخة 2 ، 3 ، 4 : « من ذلك » ساقط .

(8) نسخة 2 : وذاك .

(9) نسخة 1 : من هنا بدأ السقط إلى آخر الكتاب . وقد اعتمدنا على النسخة الثانية من المخطوط كأصل لمقابلة النسختين 3 + 4 عليها .

(10) نسخة 4 : نبينا ﷺ .

(11) نسخة 4 : وينفد الزمان دون الوفاء وتنفد .

(12) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(13) نسخة 4 : نهرة .

(14) نسخة 3 : احفظ الله واتقه ، نسخة 4 : واتق الله .

في الشدة ، وإذا سألت فاسأل [1] [2] الله وإذا استعنت فاستعن بالله فقد جف القلم بما هو كائن ، فلو[3] جهد الخلق على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه ، ولو جهد الخلق على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك [4] لم يقدروا عليه ، فإن استطعت أن تعمل لله بالصدق في اليقين فافعل ، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا ، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرًا » [أ]
وبالإسناد إلى أبي القاسم إسماعيل قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الخطيب الأنباري ببغداد قال : أخبرنا أبو الحسين بن بشران قال : حدثنا أبو علي بن صفوان ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا قال : حدثنا سلمة بن شبيب [5] قال : حدثنا مروان ابن محمد عن ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ، ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل » [ب] .
وبالإسناد إلى ابن أبي الدنيا قال : حدثنا أحمد بن عيسى قال : حدثنا عبد الله بن وهب قال : حدثني سعيد بن أبي أيوب عن عبد الرحمن بن نوح قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « ما أخاف على أمتي إلا ضعف اليقين » [جـ] فحظ اليقين هو الصفو الخالص المستفاد من الروح القدسي ، المحظوظ بالقرب من الجود الأزلي الذي عرّفه الله تعالى إلى بني آدم بقوله : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [د] . فطريق [6] الأنبياء عليهم السلام مسلوك بنور الروح القدسي ، وعلوم الفلاسفة مستفادة من العقل على ما زعموا ، والنفس الكلي والأجرام الفلكية والكواكب ، وهي علوم مقطوعة [7] المدد ، انتهت على ما زعموا في [8] زخارفهم إلى علة العلل ، ثم

(1) نسخة 1 ، 2 : فسل .
(2) نسخة 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(3) نسخة 3 ، 4 : ولو .
(4) نسخة 3 : لك ، نسخة 4 : « عليك » ساقطة .
(5) نسخة 4 : شيبة .
(6) نسخة 4 : وطريق .
(7) نسخة 4 : منقطعة .
(8) نسخة 4 : من .

(أ) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده – ج 1 – ص 307 ، وأخرجه الترمذي في سننه – كتاب صفة القيامة – باب 59 – رقم الحديث 2516 – ج 4 – ص 667 ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .
(ب) انظر المنذري – كتاب الترغيب والترهيب – ضبط وتعليق مصطفى عمارة – ج 4 – ص 241 – رقم 14 .
(جـ) انظر الهيثمي – مجمع الزوائد – دار الكتاب العربي – جـ 1 – ص 107 (باب في ضعف اليقين) . قال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .
(د) سورة الحجر – الآية 29 .

انقطع مددها ونفد عددها . وبالإجازة الشريفة عن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلي قال : أخبرنا أبو مسعود [1] سليمان بن مسعود الشحام قال : [أخبرنا أبو الحسين مبارك بن عبد الجبار الصيرفي قال [2] :] أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان البزار قال : أخبرنا أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير الخلدي قال : أخبرنا الحارث بن أسامة قال : حدثنا داود بن المحبر ، قال : حدثنا صالح المُري عن الحسن بن أبي الحسن يرفعه قال : قال رسول اللّه ﷺ : لما خلق اللّه العقل قال له : أقبل فأقبل ثم قال له : أدبر فأدبر فقال : ما خلقت خلقًا هو أحب إليّ منك ولا أكرم عليَّ منك ، لأني بك أُعْرَف وبك أُعْبَد وبك آخذ وبك أعطي [أ] . فالعقل [3] خلقُ اللّه ، وأنت تجعله المعلول الأول وله إقبال وإدبار ، فإقبال العقل للأنبياء والصديقين من أتباعهم يسلك بهم في عوالم الغيوب بعد الاطلاع على عالم الشهادة ، وإدبار العقل للفلاسفة حيث أدبر فعاد من منتهى مطرح نظره ومسرح قوته ، فتفرق في الإحاطة بالكائنات [4] من عالم الشهادة ، فهو في هُويّه إلى الطبيعة السفلى من الأرض المتصلة بسجين . فالعقل حجة اللّه يُضلُّ به كثيرًا ويهدي به كثيرًا ، وقد شرحنا تدبيره للأمرين [5] ، ولولا حضوره في الأمرين من قسمي السعادة والشقاوة ما ثبتت [6] الحجة ولا اتضحت المحجة ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ [ب] ، وقد كنت منذ سنين أغار للأنبياء صلوات اللّه عليهم كيف يظهر قوم في آخر الزمان من هذه الأمة يحيدون عنهم ويحادون اللّه ورسوله بالميل إلى علم الفلاسفة ، ويتناهى بهم الجهل إلى أن يتعرضوا بذكره متفاخرين متباهين ، فلم يقدر اهتمامي بإنشاء ما يراغم علمهم المذموم ، ويسلك بي في مسالك العلم الذي هو ميراث نبينا ﷺ . حتى أخذت العناية الأزلية بمجامع قلبي وصدق اهتمامي بإنشاء هذا الكتاب في جمادي الأول من شهور

---

(1) نسخة 3 ، 4 : أبو محمد .

(2) نسخة 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(3) نسخة 3 ، 4 : العقل .

(4) نسخة 4 : بالإحاطة والكائنات .

(5) نسخة 3 ، 4 : في الأمرين .

(6) نسخة 3 : ما يثبت .

(أ) أخرجه الحافظ العراقي في الإحياء – جـ 12 – ص 142 .

(ب) سورة الأنفال – الآية 42 .

سنة إحدى وعشرين وستمائة ، وفي بصري ضعف يمنع من المطالعة [1] والكتابة ، فاستعنت بمن يكتب ما أملي ، ويقرأ عليَّ ما أريد ، وأنا أسأل اللّٰه التوفيق لما يحب ويرضى وأن ينفع بذلك ويثيبني [2] عليه ، وأختم الكتاب [3] بما بلغني بالإسناد إلى أبي القاسم إسماعيل بإسناده إلى ابن أبي الدنيا قال : حدثنا قاسم بن هاشم [4] السمسار قال : حدثنا آدم بن إياس قال : حدثنا شهاب بن حراش قال : حدثنا عبد اللّٰه بن راشد عن عون [5] بن أبي خالد قال : وجدت في بعض الكتب : « أن آدم عليه السلام ركع إلى جنب الركن اليماني ركعتين ثم قال : اللهم إني أسألك إيمانًا يباشر قلبي ، ويقينًا صادقًا حتى أعلم أنه لن يُصيبني إلا ما كتبت لي ورضا بما قسمت لي ، فأوحى اللّٰه إليه : يا آدم إنه حق علي أن [6] لا يلزم أحد من ذريتك هذا الدعاء إلا أعطيته ما يحب ، ونجيته مما يكره ، ونزعت أمل الدنيا والفقر من بين عينيه ، وملأت جوفه حكمة » [أ] والحمد للّٰه رب العالمين وصلى اللّٰه على سيدنا محمد نبيه وآله وسلم تسليمًا .

---

(1) نسخة 4 : المطالع .

(2) نسخة 3 ، 4 : ويثبتني .

(3) نسخة 4 : الكلام .

(4) نسخة 3 ، 4 : هشام .

(5) نسخة 4 : عوف .

(6) نسخة 3 ، 4 : أنه .

(أ) هذا الخبر فيما نعلمه ورد عن رسول اللّٰه ﷺ ، انظر الهيثمي – كشف الأستار عن زوائد البزار – تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي – مؤسسة الرسالة – جـ 4 – ص 58 – رقم الحديث 3191 . أيضًا الزبيدي – إتحاف السادة المتقين – جـ 4 – ص 358 ، جـ 5 ، ص 71 .

خاتمةُ مترجمةُ [1]

بسنوح الفتوح في ذكر الروح

نختم بها كتاب رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية

سبحان من عزت معرفته إلا بتعريفه ، وقصرت خطا [2] الاهتداء في بيداء تكييفه ، ظفر الأنبياء صلوات الله عليهم وأتباعهم ببركة متابعتهم بصريح العرفان ، وتوطنوا بحبوحة السكينة والإيقان وذلك بسطوع نور الفيض الإلهي ، الذي نازل قلوب الأنبياء ، وتجلى لقلوبهم الجلال والجمال الأزلي ، وأخذ بمجامع قلوبهم تجلى عظمة الذات ، فارتوت قلوبهم من ذلك وسرت أنوار بحر الفيض في جداول أخلاقهم ، فطهرت [3] الأخلاق ، وكملت السجايا والأعراق ، وتزكت نفوسهم بسياسة ما تجلى لهم بصريح العلم ، وحصرتهم [4] القوانين العلمية الإلهية ، من مزج الطباع النافرة عن صريح العلم ، وهذا لمن فهم واعتبر دليل على بطلان مصير من لم يتقيد بمتابعتهم ؛ لأنهم حرموا لا محالة هذه التزكية والتخلية ، وهذه آية من آيات الله ميزت الأنبياء ومتبعيهم عن غيرهم ممن يدعي العلم والحكمة ، فإنه إذا اعتبرت أحوالهم يظهر [5] للمعتبر حظوة الأنبياء بهذه المنح ، وحرمان من لم يتقيد بمتابعتهم كالفلاسفة والدهريين ، وكل من يتخطى [6] حريم المتابعة ، ثم كان من رشح قلوب الأنبياء السياسات الشرعية من تقرير الحدود والأحكام والمواريث ومقادير العبادات ، وتقسيمها على الواجب والفريضة والمندوب والمكروه ، وما للفلاسفة في [7] هذا حظ ولا [8] نصيب ، فتفرع العلم ونمى في الأمم ميراثًا من الأنبياء ، وورث الفلاسفة علومًا فكرية غرقوا في بحارها ولم يصلوا إلى ساحل النجاة ، بمعرفة البارئ فتنورت أقاليم القلوب بالسياسات [9] الشرعية ، وتوطنت الأمم المتابعة حريم الوعد والوعيد ، فنهضت بصريح الشوق إلى اقتناء ذخائر

---

(1) نسخة 4 : الخاتمة الأولى مترجمة .

(2) نسخة 3 : خطى .

(3) نسخة 3 ، 4 : وطهرت .

(4) نسخة 4 : وحضرتهم .

(5) نسخة 4 : تظهر .

(6) نسخة 3 : تخطى . نسخة 4 : يخطى .

(7) نسخة 3 : من .

(8) نسخة 3 ، 4 : « ولا » ساقطة .

(9) نسخة 3 ، 4 : بالسياسة .

الموعود [1] ، وجمحت عن الهجوم على فضاء [2] الوعيد فتأدبت في مظان العبودية ، منتهجين سبيل الرشاد ، وهذا باب مسدود على الفلاسفة والدهريين وغيرهم ، فكان [3] بطريق الأنبياء النفع البين الظاهر ، والإنسان [4] المنتفع الظافر يلوح من ناصيته بشر الظفر بالمراد ، فما ضل السعي ولا كذب الفؤاد ، ونور بركة حسن الارتياد كما أخبر التنزيل بقوله : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [أ] ثم لما حصل للأنبياء كنوز [5] المعرفة بالمبدع المكون الخالق البارئ بنور معرفة الذات ، كبّروا على الأكوان [6] بمعرفتها ، وانعكست جملها وتفاصيلها في مرآة قلوبهم المصقولة بنور التسوية الإلهية [7] ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [ب] فعرفوا الكون بالمكون [8] ، بانصباب أنصبة الفيض الإلهي إلى قلوبهم ، والفلاسفة أخذت بأزمة آرائهم في البحث والتفتيش عن أجزاء الملك ، وعالم الشهادة وهو عالم من عوالم [الله ، قنعوا بمعرفته وحرموا معرفة عوالم] [9] مطوية في طي الغيب ، لم تكتحل بصائرهم بمعرفتها ، فشرعوا في معرفة العناصر والطبائع ، ثم ارتقوا منها إلى معرفة النجوم والإحاطة بأجرامها وسيرها في تقسيم التثليث والتربيع والمقابلة والمقارنة والكسوف والخسوف ، ومعرفة أبعاد الأفلاك من الكرة الأرضية ، والابتداء بمعرفة فلك القمر الذي حشوه العناصر إلى أن انتهوا إلى فلك البروج ، ثم ساروا [10] في عوالم [11] البسائط إلى ما سموه علة العلل ، وها هنا انقطع سيرهم وقام دليل جهلهم ، وذلك أن السلوك في بحار الأفكار [12] العقلية انتهى عند علة العلل إلى [اليبس ، وجهلوا أن ما سموه علة العلل] [13] هو الروح القدسي المخبر عنه قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [جـ] ، وقد

---

(1) نسخة 4 : الوعود .

(2) نسخة 2 ، 3 : قضاء .

(3) نسخة 3 : وكان .

(4) نسخة 4 : والإكساب .

(5) نسخة 3 : لنور .

(6) نسخة 3 : كرّوا على الألوان ، نسخة 4 : كرّوا على الأكوان .

(7) نسخة 4 : الإلهي .

(8) نسخة 3 ، 4 : والمكون .

(9) نسخة 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(10) نسخة 3 : صاروا .

(11) نسخة 4 : عالم .

(12) نسخة 4 : الأفلاك .

(13) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(أ) سورة الفتح – الآية 29 .

(ب ، جـ) سورة الحجر – الآية 29 .

ورد : « أن ليس فيما خلق الله أعظم من الروح إلا العرش ، ولو أمر الروح ابتلع السموات والأرض » ، وهو الذي أخبر التنزيل عنه بقوله : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾ (أ) . فاللّٰه تعالى جعله مفتاح خزائن عالم الشهادة فكان منه العقل الذي هو لسانه وترجمانه ، ثم منه ما أدركه [1] الفلاسفة وعبروا عنه بالنفس الكلي [2] ثم العقل والعقل والأجرام الفلكية ، فهو ممكن الوجود ولا طرف له إلى الإيجاب كما زعموا بأن له طرفًا إلى الإمكان وطرفًا إلى الإيجاب ، وإنما غلطوا في معرفته لكونهم حجبوا بالموجب عن الموجد ، فلما حكموا لعلة العلل بالموجب ، جعلوا العقل موجبًا ، فالروح الذي سموه علة العلل هو ممكن الوجود [3] ، وأضافوا الأكوان إلى أنهم موجبات بموجب علة العلل ، ولا موجب هناك إلا اللّٰه البارئ الإله وما سواه ممكن الوجود من الروح وغيره ، ثم إن اللّٰه تعالى هو الموجد ، والروح إن [4] أضيف إليه الإيجاب [يكون كإضافة الإيجاب] [5] إلى الشمس في التنوير وتربية ما في الكون ، وتأثيره [6] في المعادن والحيوانات والجمادات ، فإيجاباته [7] من ورائها موجد ، [فهكذا إيجابات الروح من ورائها موجد] [8] والموجد هو البارئ القادر القاهر ذو الأسماء والصفات ، فأسماؤه دالة على صفاته ، وصفاته دالة على ذاته ، وذاته الموجد بصفات تقاضت الفعل في الكون ، فإذا ثبت وجود الموجد وعدم الموجب بطل قول الفلاسفة بأن لا يوجد من الواحد إلا واحد ، نظروا بالعين العوراء فأدركوا الموجب الذي هو الروح ، بجعل اللّٰه إياه موجبًا للبسائط والمركبات ، ولم يدركوا الموجد الذي من إيجاده هذا الموجب ، ولم يحيطوا علمًا بسر قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (ب) ، فلما أراد اللّٰه تعالى أن يستخرج من الأرض من جرمه وجسمه أنواع الحيوانات ، استخرج وأوجد من

---

(1) نسخة 3 ، 4 : أدركته . (2) نسخة 4 : الكل .

(3) نسخة 3 ، 4 : فهو ممكن الوجود غير واجب الوجود .

(4) نسخة 3 : وإن . (5) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(6) هكذا في جميع النسخ : والأصح : تأثيرها والضمير هنا يعود للشمس .

(7) نسخة 4 : فإيجابته . (8) نسخة 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(أ) سورة النبأ – الآية 38 .
والخبر أورده البيهقي في الأسماء والصفات – ص 366 ، 368 ، وأيضًا السيوطي في الدر المنثور – جـ 6 – ص 506 – تفسير الآية 38 من سورة النبأ .

(ب) سورة البقرة – الآية 30 .

جرمه سائر الحيوانات ، واصطفى جسمه واتخذه مصدرًا لسره الأكبر في جعل الخليفة في الأرض ، فخمر الأجزاء الأرضية الجسمية أربعين صباحًا ، تقلبه أيدي القدرة لإيداع [1] أسرار ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [أ] ، ثم صقل مرآة وجوده بالتسوية ، ثم نفخ فيه من روحه ، فاستعدت جداول أجزائه وأبعاضه لجريان مدود بحر الصفات الأزلية ، فصار سمعه واعيًا وبصره ناظرًا ولسانه ناطقًا ويده باطشة وقدمه ساعيًا وقلبه مريدًا ، تنشأ منه القدرة ، فصارت [2] الصفات من العلم والإرادة والسمع والبصر والقدرة والكلام ، التي هي الصفات الذاتية متشكلة في مرآة قالب الخليفة ، فصار الخليفة على ضرب من المحاكاة للمخلف ، ولاحت أعلام الاستدلال من الشاهد على الغائب ، وعلم بذلك أن الصفات متعددة للقديم الأزلي ، وتعدد الصفات غير قادح في الوحدانية الصرفة ، وبتحقق هذا الأمر يبطل توهم : أن لا يوجد من الواحد إلا واحد . وخذ في تصحيح هذا إشارة من قول [3] : « إنّ اللّه خلق آدم على صورته » [ب] ودع عنك النفور عن [4] التأويل ، فإنا لا نؤول ، ولكن المقصود إشارة يفهم بها المقصود ، فلكل صورة معنى ولكل معنى صورة ، والصفات الأزلية معنى لها صورة ، والصفات الآدمية الحاكمة بالتسخير والتمليك محاكية للصورة ، ثم نوضح لك ذلك بأن تعلم أن التمليك والتسخير تفرد به الإنسان والصفات المتضادة من الشهوانية والغضبية الدافعة والجالبة محاكية للجلال والجمال الأزلي واللطف والقهر الإلهي ، وهذا وصف يختص به الإنسان والأملاك مع شرف حالهم مجبولون على صفة واحدة ، فمنهم أملاك الرحمة لا [5] غضب فيهم وأملاك الغضب لا رحمة فيهم ، فالجمع [6] بين المتضادين الدال بمحاكاته على اللطف والقهر الأزلي يختص به الآدمي ، وبهذه الخاتمة يتبرهن بطلان علة العلل والقول بأن لا يوجد من الواحد إلا واحد و ودع عند ذلك [7] المطالبة

---

(1) نسخة 4 : لإبداع .

(2) نسخة 3 : صارت .

(3) نسخة 3 : قوله .

(4) نسخة 4 : على .

(5) نسخة 4 : ولا .

(6) نسخة 3 : والجمع .

(7) نسخة 3 ، 4 : « عنك » بدلًا من « عند ذلك » .

(أ) سورة البقرة – الآية 31 .

(ب) سبق تخريجه وبيان معناه ، أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها – باب 11 – جـ 3 – ص 2183 .

بالبرهان ، فالبرهان ميزان [1] الحسبان للعقل [2] الذي [هو الثالث من البسائط ، لا العقل الأول الذي هو لسان الروح] [3] الذي تسميه أنت أيها الفلسفي المعلول الأول [4] ، فالعلوم [5] التي [6] هي مقتبسة بالعقل الأول ليست برهانية بل هي عرفانية ووجدانية ، فالبرهان مكيال بيد كيال العقل الخلقي ، ومثال البرهانيات [7] إلى الوجدانيات كمن يُعطي مكيالًا يكيل [8] به بعض ما في المنثر [9] (أ) ، والوجدانيات والعرفانيات بمثابة من سلم إليه المنثر بأجمعه ، فقد قصر نظرك وقل حظك أيها المتفلسف المدعي الحكمة وفصل الخطاب ، فليتك لم تعلم قط ما علمت ، فقد صار علمك سبب ضلالك ، وحالك [10] كما قال القائل :

ولقد سررت بما جهلت فسرني [11] جهلي كما قد ساءني ما أعلم
فالصعو [12] (ب) يرتع في الرياض وإنما حبس الهزار (جـ) لأنه يترنم (د)

مسلم لك أيها الفلسفي ما وصلت إليه بالبراهين ، وليتك [13] لم تعلم شيئًا من تلك البراهين وبعتها بذرة من اليقين ، ثم اعلم أن العلم المقتبس من مشكاة النبوة حكم بأن العقل عقلان : فطري وخلقي ، فالفطري هو المعلول الأول بزعم القائلين بعلة العلل ،

---

(1) نسخة 4 : ميراث .
(2) نسخة 2 ، 3 : العقلي .
(3) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(4) نسخة 2 : « الأول » ساقط .
(5) نسخة 2 : « فالعلوم » ساقط .
(6) نسخة 3 : الذي ، نسخة 4 : الذي هو .
(7) نسخة 2 : البرهان .
(8) نسخة 4 : مكيال يكال .
(9) نسخة 4 : المنثور .
(10) نسخة 4 : وخيالك .
(11) نسخة 2 : وسرني .
(12) نسخة 2 ، 3 : فالصعر .
(13) نسخة 4 : فليتك .

(أ) المنثر : ما توضع فيه الأطعمة أو الحبوب كالحنطة مثلًا والشعير ونحوهما وهو جامع لها وإذا قيل : نثر الشيء أي رمى به متفرقًا وأخرجه من موضعه .
والسهروردي – يمثل – هنا عالم الغيب بالمنثر الجامع للغيبيات والتي لا يستطيع أن يعرف منها البرهان إلا القليل القليل . أما الوجدان والذوق والعرفان فيعلم منه الكثير لدرجة يظن أن المنثر قد سُلم لها بأجمعه حسب تعبير السهروردي .
(ب) الصعو : طائر أصغر من العصفور ، ويقال الصعو والوصع بمعنى واحد . انظر لسان العرب (مادة صعا) – جـ 14 – ص 460 .
(جـ) الهزار : طائر حسن الصوت . وهو لفظ فارسي معرب ، ويقال له : هزار دستان لأنه يغني ألحانًا كثيرة ، وهزار في الفارسية بمعنى الألف . انظر المعجم الوسيط – (مادة هزار) – طبعة مجمع اللغة العربية – القاهرة 1972 م – جـ 2 – ص 984 .
(د) هذان البيتان ينسبان إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه ، كما ورد من الناسخ في هامش نسخة 2 .

والعقل الخلقي هو المتأخر عن النفس الكلي ، واستجهل أرسطاطاليس ومن تابعه بجهله أن النفس الكلي بتوسطها بين العقلين كسفت نور العقل الثاني ، كما كسفت كرة الأرض نور القمر ، وبنقصان النور قصرت خطاه عن ولوج عالم الغيوب [1] ، وصار سيره سير السواني [يتردد بين البسائط والمركبات والعناصر والأجرام الفلكية] [2] ، وصار النفس الكلي سدًّا بينه وبين عوالم الغيوب ، فأنكر الأمور الأخروية من الجنة والنار والبعث والنشور وحشر الأجساد من القبور ، وسلك مسلك الدهريين في قدم العالم .
واعلم أن علوم الفلاسفة من نتائج العقل الخلقي ، وهي علوم تتحير في التصوير [3] والتصديق عند قوم ، وفي الحد والبرهان عند آخرين ، يصب في قوالبها المفردات والمركبات ، فأين [4] نظرهم من العلوم الكلية التي طفحت على البرهان ، وحكمت على البرهان ولم يحكم البرهان عليها ، وهي العلوم الوجدانية العرفانية الربانية ، مقتبسة [5] من مشكاة النبوة ، أفاضها [6] الجود الأزلي على أرباب العقول الفطرية من أتباع الأنبياء صلوات الله عليهم ، والحظ الوافر من [7] [ذلك للصديقين من أصحاب محمد ﷺ ، فحكمت بأن مبادئ المكونات من] [8] البسائط والمفردات موجبات لموجب [9] جعله الموجد القديم الواحد الأزلي المنفرد [10] بالأسماء والصفات التي أفاض منها معنى على جنس البشر ، افتتح إفاضتها بآدم أبي البشر ، إذ أفرغ في وعاء وجوده ضربًا من الصفات ، وبذلك علم آدم الأسماء كلها ، فأجلسه الجود الإلهي [11] على منصة التفرد بها دون الملأ الأعلى ، فأذعن له رقاب الملأ الأعلى ، فسجدوا لآدم ، فورث العلم من الله تعالى وتوزع ميراثه على الأنبياء من ولده وعلى التابعين لهم ، فامتدت أشعة علومهم إلى الموجب الأول الذي [جعله الموجد الأزلي أولًا [12] وهو الروح الأعظم الذي] [13] ليس في المخلوقات أعظم منه إلا العرش ، فزل حمار الشيخ

---

(1) نسخة 3 ، 4 : الغيب .
(2) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(3) نسخة 4 : التصور .
(4) نسخة 4 : وأين .
(5) نسخة 4 : المقتبسة .
(6) نسخة 3 : أضافها .
(7) نسخة 2 : في .
(8) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .
(9) نسخة 4 : بموجب .
(10) نسخة 4 : المتفرد .
(11) نسخة 4 : الأزلي .
(12) نسخة 2 ، 3 : أول .
(13) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

الفيلسوف وسماه علة العلل ، وزعم أنه المنتهى ، وإنما هو الروح الأعظم ، والعقل الفطري جوهره ولسانه ، وله نسبة الذكورة ، ثم أوجب النفس الكلي الذي جوهره ولسانه العقل الخلقي ، وجعل له نسبة الأنوثة ، وبنسبة (1) الأنوثة ضعف نظر العقل الخلقي الذي هو جوهره ولسانه ، فقصر خطاه عن ولوج عوالم الغيوب ، وارتد راجعًا في تصفح أجزاء عالم الشهادة ، والعقل الفطري بنسبة الذكورة وقوته ارتقى حنوًّا وشوقًا (2) إلى الموجد البارئ ، وانكشف له عوالم الغيوب واطلع على الجنة والنار والبعث والنشور ، فصار بتكوين اللّٰه بين الروح الأعظم والنفس الكلي ، ازدواج موجب لأحداث الأجرام الفلكية والكواكب العلوية ، ثم ما ظهر من الموجبات والعناصر (3) والمفردات والمركبات ، وانتقل تأثير ذلك الازدواج إلى أن وصل إلى آدم أبي البشر وله نسبة الذكورة ، وإلى حواء ، ولها نسبة الأنوثة ، فسواه الحق بعد تركيبه من (4) القبضة الترابية ونفخ فيه من روحه ، فحكم الروح غلب (5) عليه ، ومزج النفس من النفس الكلي اتصل به ، فأخذ معنى من الروح الكلي وخلق منها حواء بمزج (6) من الروح ، وتوفر حظها (7) من النفس الكلي فظهر فيها أثر الأنوثة مستندًا ذلك إلى أنوثة الأرض وذكورة الماء ، مقايسة بين أنوثة (8) الهواء وذكورة النار ، وبازدواج مقدر من اللّٰه ظهرت الذرية التي هي ودائع اللّٰه من (9) الذر التي هي مستودع سر ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ (أ) ، فصار الإنسان بذلك نسخة الكون الذي هو العالم المحسوس الموجب للموجب الأول ، الذي هو الروح المكون بتكوين الموجد الأزلي ، ثم انتسخ من آدم وحواء نسخة في كل إنسان بالروح الجزئي والنفس الجزئي (10) ، وصار من تلك النسخة مُوَلَّدٌ (11) وهو القلب الذي هو البرزخ بين الروح الجزئي والنفس الجزئي ، كما أن (12) العقل الفطري برزخ بين الروح

---

(1) نسخة 2 ، 3 : ونسبة .

(2) نسخة 3 : واشتياقًا .

(3) نسخة 4 : من العناصر .

(4) نسخة 2 : في .

(5) نسخة 4 : غالب .

(6) نسخة 3 : لمزج .

(7) نسخة 2 ، 3 : حظ .

(8) نسخة 3 ، 4 : بأنوثة .

(9) نسخة 2 : « من » ساقطة .

(10) نسخة 2 : « والنفس الجزئي » ساقط .

(11) نسخة 4 : ولد .

(12) نسخة 2 : « أن » ساقطة .

(أ) سورة الأعراف – الآية 172 .

الكلي والنفس الكلي ، وبتوارد [1] تأثيراتهما على القلب حكم السعادة والشقاوة قال الله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [أ] ، وقد سبق في بعض أبواب الكتاب تأثيرات القلب وانجذابه إلى الروح الذي هو الأب والنفس التي هي الأم ، فارتقت العلوم المقتبسة من مشكاة النبوة من ازدواج النفس والروح في الذرية إلى ازدواج آدم وحواء اللذين هما مصدر الذرية حتى ارتقت إلى ازدواج الروح الأعظم والنفس الكلي ، وهذا باب مسدود على كل فيلسوف منقطع المدد ضئيل [2] السير ، [انبهر [3] نظر عقله بشعاع فكره فحار وتردد في الموجبات ، فلها] [4] انتهى سير نظره إلى [5] الموجب الأول بإيجاب الله إياه ، قصرت خطى نظر عقله الخلقي عن طروق بيداء عوالم الغيوب ، فعاد قهقرًا [6] ورجع إلى وراء ، وأثبت علة العلل ، وحكم بأنه المنتهى ولم يعلم بأن ما توهمه المنتهى هو الروح الأعظم ، وإنما الانتهاء [7] إلى ربك الذي إليه المنتهى ، الموجد لهذا الروح الذي هو الموجب ، والمتولدات من الموجبات ما صيرته موجبًا منتهى ، كما أن الشمس تأثيراتها موجبات الشمس [8] الذي هو الموجب [9] لها ولم يصيرها الموجبات من التأثيرات موجبًا منتهى [10] . وقيل لابن سينا ما قال هو في كتابه القانون في حق جالينوس ، أنه أحب أن يكون فيلسوفًا وما هذا من شأنه ، وهذا [11] أيضًا بحر عميق ليس ركوبه من شأن ابن سينا ولا شأن أرسطاطاليس الذي هو [12] قبلته وإليه وجهته ، فهذا القول والبيان فيه قطع دابر علوم الفلاسفة لا الفلاسفة المقلدين [13] للفلاسفة المقلدين [14] الأولين ، فإنهم ساروا في ضوء أفكار الأوائل ، فقوم في ضوء أفكار أرسطاطاليس القائل بقدم العالم ، وقوم في ضوء أفكار أفلاطون القائل

---

(1) نسخة 4 : ويتولد .

(2) نسخة 3 : وضئيل .

(3) نسخة 4 : انتهي .

(4) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(5) نسخة 3 ، 4 : في .

(6) نسخة 3 ، 4 : قهقرى .

(7) نسخة 2 : المنتهى .

(8) نسخة 3 : للشمس .

(9) نسخة 4 : التي هي الموجبة .

(10) نسخة 3 : « موجبًا منتهى » ساقط .

(11) نسخة 3 ، 4 : فهذا .

(12) نسخة 2 : « هو » ساقط .

(13) نسخة 3 : « لا الفلاسفة المقلدين » ساقط .

(14) نسخة 4 : « للفلاسفة المقلدين » ساقط .

(أ) سورة الشمس – الآيتان 7 ، 8 .

بحدوثه حيث تميز [1] من بين الفلاسفة بكسر مكيال البرهان ، وزعم أنه ظفر بفيض الوجدان ، ولولا درك الشقاء ما تخلف عن متابعة الأنبياء فعند ذلك أي قدر يبقى لمصنفات ابن سينا والفارابي ، التي هي من [2] نتائج البحث الفكري الذي لا يزال يُنشيء [3] بكثرة البحث ، ويبقى كالزبد الكبير الجرم الضئيل الجوهر ، فعلمهم بمثابة صانع يتفرع من صنعته بكثرة الدربة أشياء يعجز عنها غيره ، ويولدها فكره ، فهكذا علومهم وإن كثرت ؛ يُظن بأنها أمر هائل ، ولكن ليس تحتها طائل ، ولا لهم علم ذاتي فيضيء كعلم [4] الأنبياء عليهم السلام ، وما ذكرنا فليس على قدر أوعية [5] أفهام [6] المتفلسفين في هذا الزمان ؛ لأنهم مقلدون كفروا بالتقليد ، وإنما لو ألقي ما أشرنا إليه على المتقدمين من الأوائل ، أدركوا غوره ، وفهموا طوره ، وعادوا إلى الإذعان ، وظفروا بكنز الإيمان ، وقد ارتفع بهذا العلم علم الدين وانتشرت [7] رايات الإسلام واندحضت [8] أباطيل الفلسفة [9] ، واللّٰه المعين وهو خير معين ، فتبارك اللّٰه أحسن الخالقين .

---

(1) نسخة 4 : ميّز .

(2) نسخة 2 : « هي من » ساقط . نسخة 3 : « هي » ساقط .

(3) نسخة 4 : يفنى .

(4) نسخة 3 : مضيء لعلم .

(5) نسخة 3 : أوعيته .

(6) نسخة 4 : أوهام .

(7) جميع النسخ : انتشر .

(8) جميع النسخ : اندحض .

(9) نسخة 4 : الفلاسفة .

خاتمةُ لخاتمة الكتاب [1]

مترجمة بكشف الغطاء عن كنه العطاء والجزاء [2]

اعلم أن العقول الخلقية كلت بمساحتها [3] بسيط عالم الشهادة ، فقصرت خطاها عن ولوج عوالم الغيوب ، وعند طلائع عوالم الغيوب نكصت على أعقابها ، وجهلت حقيقة مآبها [4] ، وكنه ثوابها وعقابها ، وذلك عند قطع حبل الحياة ، وظهور طليعة [5] الممات ، فليعلم [6] أن الموت الطبيعي ليس هو فوات حقيقة [7] الإنسانية ، بل حقيقة الإنسانية باقية بعد الموت وهي النفس التي قال اللّه تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّنَهَا ﴾ (أ) ، وكما أن الحدقة حاملة للشعاع [8] المنبعث منها ، هكذا القالب حامل للنفس الإنسانية ، وقد قال القائل :

[يا خادم الجسم يسعى [9] في عمارته	وتطلب الربح فيما فيه خسران] [10]
عليك بالنفس فاستكمل فضائلها	فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان (ب)

فالموت زمانة كل الجسد ، وبزمانة الجسد لا تبطل حقيقة الإنسانية ، كما أنه لو تعطل عضو من الأعضاء لغلبة الرطوبة والبلغم بترجيح [الأخلاط الثلاثة على هذا

---

(1) نسخة 4 : خاتمة الثانية لخاتمة الكتاب هي .

(2) نسخة 2 : « والجزاء » ساقط .

(3) نسخة 3 : لمساحتها .

(4) نسخة 4 : ما بها .

(5) نسخة 4 : طبيعة .

(6) نسخة 4 : وليعلم .

(7) نسخة 3 : قوة حقيقة .

(8) نسخة 3 : الشعاع .

(9) نسخة 3 : تسعى .

(10) نسخة 4 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(أ) سورة الشمس – الآية 7 .

(ب) هذا البيتان وردا في المخطوط محرفان ، وصحتهما :

يا خادم الجسم تسعى لخدمته	أتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها	فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وهما من (نونية) أبي الفتح البستي المتوفى ببخارى (400 هـ) . والنونية تقع في ثلاثة وستين بيتًا ومطلعها :

زيادة المرء في دنياه نقصان	وربحه غير محض الخير خسران

انظر الثعالبي – يتيمة الدهر جـ 4 – ص 384 ، وعمر فروخ – تاريخ الأدب العربي جـ 3 – ص 49 – 51 ، وعيون الحكم لأبي الفتح البستي – ضبط وتعليق عبد الفتاح أبو غدة – حلب – مكتبة المطبوعات الإسلامية .

الخلط] [1] فيزمن ، وبزمانته لا تبطل إدراكات الإنسان ، فهكذا إذا تداعت الأعضاء كلها بالزمانة لا تبطل حقيقة الإنسانية ، وبالموت الطبيعي فقدان الروح الحيواني وهو [2] باعتدال مزاج دم القلب ، والمعنى بالقلب المضغة الصنوبرية المودعة في الجانب الأيسر من الجسد ، وقيام الروح بهذه اللحمة قيام الشعاع بالحدقة ، وهي لسائر الحيوانات ، ومنه تفيض قوى الحواس وتنتشر في تجاويف العروق الضوارب ، وهي باعتدال مزاج دم القلب ، ويتصرف فيها بعلم الطب وتدبر [3] بالأدوية التي تعيد الأخلاط إلى الاعتدال ، والنفس الإنسانية قائمة بهذا الروح ، وبها تجنس الروح وتميز بها من سائر أرواح [4] الحيوانات ، والفلاسفة أثبتوا هذه النفس ، ولكن زعموا أنها جزء من النفس الكل وبالموت يتصل الجزء بالكل ، فمشكورون على اقتطاعهم من الدهرية القائلين بفناء الإنسانية بفناء القالب ، ومؤاخذون بقولهم : إن بالموت يتصل الجزء بالكل ، بل مواطن السعادة والشقاوة تقطع طريق الاتصال ، ويأخذ كل من الجزئي سلوكًا في طريقه إلى مستقره من دار النعيم ودار العذاب الأليم ، بعد أن كان مستقره الروح الحيواني ، ومقام النفس الجزئي من الروح الحيواني مكان الشعاع من الحدقة ، وبالموت الطبيعي ينفصل النفس الجزئي من الروح الحيواني ، ويبقى انطباع قوى الحواس في النفس ، ولا تزال قوى الحواس متصلة به ؛ إذ الحدقة لم تكن مدركة بجزء منها ، بل [5] بالمعنى القائم بها من الشعاع المدرك . والشعاع المدرك [6] كان من النفس وانتقل الشعاع مع انتقال النفس ، وإذا انقطعت رابطة الروح الحيواني من أجزاء القلب [7] ، تبقى رابطة النفس الجزئي مع أجزاء القلب [8] بعد الدثور في طي الغيوب ، وبتلك الرابطة يكون الحشر والنشر يوم الجزاء ، وبذلك يتحقق أن الميت يسمع ويرى ويحس حتى بحرارة يد الغاسل على برودة جسمه ، وقد ورد فيما بلغنا بالإجازة الشريفة عن أبي الحسن علي بن عساكر بن المرحب بن العوام عن أبي الوقت عبد الأول السجزي عن الداوودي عن الحموي عن الفربري عن البخاري قال : حدثني عبد الله بن محمد أنه سمع روح بن عبادة قال :

---

(1) نسخة 3 ما بين المعقوفتين عبارته كالآتي : [هذا الخلط على الأخلاط الثلاثة] .

(2) نسخة 3 ، 4 : الحيوانية وهي .

(3) نسخة 4 : ويدبر .

(4) نسخة 2 : « أرواح » ساقطة .

(5) نسخة 2 : « بل » ساقط .

(6) نسخة 4 : « والشعاع المدرك » ساقط .

(7 ، 8) نسخة 4 : القالب .

حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة : « أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلًا من صناديد قريش ، فقذفوا في طوى (أ) من أطواء بدر خبيث مخبث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال ، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا : ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته ، حتى قام على شفير الركى (ب) ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يا فلان ويا فلان ابن فلان ، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ؟ وأنَّا [1] قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا ؟ فقال عمر : يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها . فقال النبي ﷺ : والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » (جـ) وتحقيق ذلك أن الأعيان المدركة بالحواس لها روحاني [2] متحد في جنسه ، مقسم [3] على المدركات من الأعيان ، وللحواس روحاني هو [4] الرابطة بين الحواس والمدركات لجنسية الروحانية ، فالمدركات سائرها لها اتصال بالمدركات من الحواس ، [بها] [5] إدراك الحواس المدركات بعد الموت ، ليتبين لك أن الميت يسمع ويرى ، وما ذكرناه من اتحاد الروحانية في نفسها ثم انقسامها على المدركات ، والمدركات هو مفهوم من قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ (د) . وفي هذه الآية دليل قاطع على أن الله تعالى عالم بالجزئيات ؛ إذ يستحيل أن المسبح لا يعلم المسبح ، وأن المكون لا يعلم التكوين ؛ إذ [6] التكوين يستدعي إرادة ، ولا إرادة إلا [7] من مريد قادر ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ (هـ) ، نطق المسبحات مشاكل

---

(1) نسخة 4 : فإنا . (2) نسخة 3 : روحانية .

(3) نسخة 3 ، 4 : منقسم .

(4) نسخة 3 : هي . نسخة 4 : والحواس لها روحانية هي .

(5) نسخة 3 ، 4 : ما بين المعقوفتين (فافهم من هذا) .

(6) نسخة 2 ، 3 : (إذ) ساقطة . (7) نسخة 2 ، 3 : والإرادة .

(أ) طوى : بئر مطوية أي مبنية بالحجارة ، وهو موضع بمكة المكرمة . انظر مختار الصحاح - (مادة طوى) - ص 401 .

(ب) الركى : البئر . لسان العرب (مادة ركا) جـ 14 - ص 333 .

(جـ) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب المغازي - باب 8 - جـ 5 - ص 8 .

(د) سورة الإسراء - الآية 44 . (هـ) سورة سبأ - الآية 3 .

لإدراك المدركات ، ومدرك المدركات [1] ، والسمع الذي يسمع تسبيح المسبحات هو كالسمع والبصر بعد الموت ، وعند هذا ينبغي أن يقول [2] الفلاسفة ما أخبر اللّٰه تعالى بقوله [3] : ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ [أ] وهذا وقر وصمم وبكم مختص بالفلاسفة وغيرهم ممن حُرِم متابعة الأنبياء ، وذلك الإدراك لا يزال يرتقي إلى أوائل زمان نفخ الصور ، الذي هو الحد الفاصل بين الدنيا والآخرة ، وهو – أعني هذه الروحانية هي – من الملكوت ، والملكوت هو العالم الذي أدركه الأنبياء وأخبروا عنه ، ووراء عالم الملكوت الذي هو منتهى سير الأنبياء عالم الجبروت وهو مواطن جلال القديم الأزلي سبحانه وتعالى ، فانتهت أشعة بصائر الأنبياء إلى أوائله ، وهو عالم لا آخر له ولا انتهاء [4] ، وإنما ينتهي إلى الذات الأزلي ، وبين عالم [5] المحسوس وعالم الملكوت رتبة ذات طرفين : طرف منها إلى الملكوت ، وطرف إلى العالم المحسوس ، وفيها [6] سير حكماء اليونان وفلاسفة الهند ، وهو حدهم ما تجاوزه إلى عالم الملكوت ، فلذلك تقاعس سير أفكارهم باكتحال [7] بصائرهم بضوء من الملكوت أدركوا ما لم يدركه عوام الخلق ، ولكن صار علمهم حجة عليهم ، حيث لم يهدهم إلى إثبات حقائق النبوات وحرموا السعادة بمتابعتهم ، وأنكروا الأمور الأخروية . وقد ورد بالإجازة الشريفة قال : أنبأنا أبو سعيد بن عبد الجبار بن هلال قال : أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين بن أيوب البزار قراءة قال : أخبرنا أبو طاهر عبد الغفار بن محمد بن جعفر المؤذن قال : أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن بن إسحاق بن الحسن بن ميمون الحربي قال : حدثنا ابن حسين محمد بن بهرام أبو محمد المروزي قال : حدثنا شيبان عن قتادة قال : وجدت [8] أنس ابن مالك قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم » ثم قال : « يأتيه ملكان فيقعدانه ... الحديث » [ب] وبانطباع قوى الحواس

---

(1) نسخة 3 : « ومدرك المدركات » ساقط .
(2) نسخة 4 : تقول .
(3) نسخة 2 ، 4 : « بقوله » ساقط .
(4) نسخة 3 ، 4 : ولا منتهى .
(5) نسخة 3 : من العالم . نسخة 4 : وبين العالم .
(6) نسخة 3 ، 4 : وفيه .
(7) نسخة 3 : وباكتحال .
(8) نسخة 3 : « وجدت » ساقط . نسخة 4 : عن .

(أ) سورة فصلت – الآية 5 .
(ب) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الجنائز – باب 87 – ج 2 – ص 102 .

يكون القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار [1] ، وفي إدراكات الحواس في النوم مقايسة بإدراكات الحواس بعد الموت ، ولكن لبقاء علاقة الروح الحيوانية ينكشف نور إدراكات الحواس من النفس [2] ، ويمتزج به إدراك القوة المتخيلة لاستصحاب حكم اليقظة ، وبالموت تنقطع [3] علاقة الروح الحيوانية ، وتصفو الحواس ومدركاتها من غشاوة عثار [4] العلاقة ، ولا تزال ترتقي [5] إدراكات الحواس في موجبات الإلهام والفجور ، قال الله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [أ] إلى أن تصل إلى دار الجزاء ، وتتصل [6] مدركاتها من النعيم المقيم والعذاب الأليم ، وهذا أساس الدين [7] ومواطن أرباب اليقين من المؤمنين وأتباع الأنبياء والمرسلين ، والحظ الوافر من ذلك لأمة محمد نبي الأميين والعلماء الراسخين ، وقد قال عليه السلام : « علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل » [ب] . بما علم أنهم بحسن [8] المتابعة يهتدون [9] إلى الحق المبين ، والله [10] يتولى الصالحين ، وقد ورد من الأخبار في ذكر الأموات وحكم الأرواح بعد الموت ما يكثر نقله ، فمن ذلك ما روى عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « إن أرواح المؤمنين لتتلاقى على مسيرة يوم ، وما رأى صاحبه قط » [جـ] . قال أبو عبد الله الترمذي : فالأرواح تجول في البرزخ فتبصر أحوال الدنيا والملائكة ، وتتحدث [11]

---

(1) نسخة 3 ، 4 : النيران .
(2) نسخة 3 : النفوس .
(3) نسخة 2 ، 3 : ينقطع .
(4) نسخة 3 ، 4 : غشاء .
(5) نسخة 4 : ولا يزال يرتقي .
(6) نسخة 4 : وتصل .
(7) نسخة 3 : أهل الدين .
(8) نسخة 4 : ببركة جنس .
(9) نسخة 4 : يهتدي .
(10) نسخة 4 : وهو .
(11) نسخة 2 ، 4 : تتحدث .

(أ) سورة الشمس - الآيتان 7 ، 8 .

(ب) العجلوني الجراحي - كشف الخفاء ومزيل الإلباس - مؤسسة الرسالة - 1983 م - ط 3 - ج 2 - ص 83 - رقم الحديث 1744 . قال الألباني : « لا أصل له باتفاق العلماء ، وهو مما يستدل به القاديانية الضالة على بقاء النبوة بعده ﷺ ، ولو صح لكان حجة عليهم كما يظهر بقليل من التأمل » ، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة - جـ 1 - ص 480 - رقم الحديث 466 .

(جـ) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده - شرح أحمد محمد شاكر - دار المعارف بمصر - ج 9 - ص 124 - رقم الحديث 6636 ، وانظر الحكيم الترمذي - كتاب نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول - دار صادر - بيروت - الأصل 128 - ص 164 .

في السماء عن [1] أحوال الآدميين ، وأرواح تحت العرش ، وأرواح طيارة إلى الجنة وإلى حيث شاءت على أقدارهم من السعي إلى اللّه [2] أيام الحياة . وروى سعيد بن المسيب عن سلمان قال [3] : أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض حتى يردها إلى جسدها ، فإذا ترددت هذه الأرواح هكذا علمت بأحوال الأحياء [4] ، وإذا ورد عليهم من الأحياء [ميت التقوا وتحدثوا وتساءلوا عن الأحياء] [5]. والمنامات من الصالحين وغيرهم فيها دلائل يعلم منها قدرة الحق تعالى ، ويزداد [أرباب اليقين] [6] بها يقينًا ، وهذا باب مسدود على المرتهنين بالعقول العَرِيّة عن نور الهداية التي لم تكتحل بمتابعة الأنبياء ، وإنما هذا أمر [7] مقتبس من مشكاة النبوات ، ولغير متابعيهم [8] ما إليه طريق ، وقد ورد من المنامات العجيبة ما نقل في حديث طويل في قصة ثابت بن قيس بن شماس ، وأن رسول اللّه ﷺ حكم له بالشهادة ، فلما كان في حرب مسيلمة باليمامة رأى ثابت من المسلمين بعض الإنكار ، وانهزمت منهم طائفة فقال : أف لهؤلاء وما يصنعون ، ثم قال ثابت لسالم بن عبد اللّه : ما كنا نقاتل أعداء اللّه مع رسول اللّه ﷺ مثل هذا ، ثم ثبتا ولم يزالا يقاتلان حتى قتلا واستشهد ثابت كما وعده رسول اللّه ﷺ وعليه درع ، فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام أنه [9] قال له : اعلم أن فلانًا - رجل [10] من المسلمين - نزع درعي فذهب به [11] وهو في ناحية من العسكر ، وعنده فرس يستن في طوله [أ] ، وعلى درعي برمة [ب] ، فأت خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعي ، وأت أبا بكر خليفة رسول اللّه فقل له : إن [12] عليَّ دينًا حتى يقضي عني ، وفلان من عبيدي عتيق ،

(1) نسخة 2 : من .

(2) نسخة 3 : السعي .

(3) نسخة 3 : قال : قال رسول اللّه ﷺ .

(4) نسخة 3 ، 4 : الأجساد .

(5) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(6) نسخة 3 : المؤمنين .

(7) نسخة 3 ، 4 : الأمر .

(8) نسخة 4 : متابعتهم .

(9) نسخة 2 : « أنه » ساقطة .

(10) نسخة 3 ، 4 : عنى رجلًا .

(11) نسخة 3 ، 4 : بها .

(12) نسخة 3 : أنه .

(أ) يستن في طوله : من السنن وهو السير الشديد ، والمعنى في مجمله أن هذا الفرس شديد السرعة ، وهو مستويًا في طوله ، فيقال : مسنون طَوَّلَه ؛ أي جعله طويلًا مستويًا . انظر لسان العرب (مادة سنن) جـ 13 - ص 226 ، 227 .

(ب) برمة : هي نوع من الثياب ، والمبرم من الثياب هو للفتول الغزل . انظر مختار الصحاح - (مادة برم) - ص 50 .

فأخبر الرجل خالدًا فوجد درعه والفرس على وصفه ، فاسترد الدرع ، وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا ، فأجاز أبو بكر وصيته . قال مالك بن أنس : لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه (أ) . وهذا باب مسدود على من لم يكن علمه مقتبسًا من مشكاة النبوة] (1) ، فإن كشف القدر للعاملين للّه تعالى بالصدق والإخلاص . والجامدون على العقول العرية عن الشرائع ومتابعة الأنبياء مسدود عليها ذلك الباب ، واللّه تعالى المشكور على ما وهب من الإيمان ورزق من السكينة التي هي مزيد الإيمان ، واللّه المسؤول أن يختم بخير . والروحانية التي ذكرنا اتحادها في نفسها وانقسامها على المدركات ، والمدركات هي من الملكوت وهو عالم الغيب ، فالملكوت باطن الكون والملك ظاهر الكون ، وهو العالم المحسوس ، وللإنسان بالموت الطبيعي انسلاخ من الملك ودخول (2) في الملكوت ، وقول القائلين (3) من أهل اللغة أن الملكوت هو الملك كالرغبوت من الرغبة ، فهذا مسلم لهم من حيث الاشتقاق (4) اللغوي ، وليس الفرق بين الملك والملكوت من شأنهم ، بل لهذا العلم أرباب يعلمونه ، وقول اللّه تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ (ب) إشارة إلى باطن الملك ، وللأنبياء اطلاع في حال الحياة على طرف من عالم الملكوت ، وبذلك امتازوا عن الجامدين على العقول التي لم تكتحل بنور الهداية (5) ، وبذلك علموا أحوال الأموات بعد الموت ، وذلك أن علومهم مقتبسة من الروح الأعظم بواسطة العقل الفطري الذي هو لسانه ، وعلوم الفلاسفة مقتبسة من النفس بواسطة لسانه الذي هو العقل الخلقي ، ونسبة النفس الكلي إلى الروح الأعظم نسبة الأنثى إلى الذكر ، فلذلك قصرت خطى (6) أفكار المقتبسين من النفس (7) لقصور النفس في

---

(1) نسخة 4 : إلى هذا القوس تنتهي مخطوطة رقم (4) .
(2) نسخة 3 : ودخوله .
(3) نسخة 2 ، 4 : القائل .
(4) نسخة 3 : الاشتقاق والاصطلاح .
(5) نسخة 3 : الهداية بصائرهم .
(6) نسخة 2 : خطا .
(7) نسخة 3 : النفوس .

(أ) أورد هذا الخبر ابن حجر في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة في ترجمة ثابت بن قيس بن شماس ، وعزاه إلى البغوي عن عطاء الخراساني . انظر جـ 1 – ص 195 - 196 ، ط السعادة – الطبعة الأولى 1328 هـ .
(ب) سورة الأنعام – الآية 75 .

نفسها [1] لنسبتها إلى الأنوثة ، وهذه [2] الذكورة والأنوثة من الروح والنفس انتقلت من عالم الأمر إلى عالم الخلق ، واكتسبت ملابس البشر ، وتسمت بآدم وحواء عليهما السلام ، والأجرام الفلكية والعناصر مولدات الذكر والأنثي في عالم الأمر ، والذرية المتولدة من آدم وحواء في عالم الخلق احتوت على جوهرية الكائنات المتولدة من الذكر والأنثي في عالم الأمر ، واستحقت شرف قول رسول الله ﷺ : « إن الله خلق آدم على صورته » [أ] ، ثم انتسخت في كل إنسان نسخة الذكر والأنثي بكل [3] روح ونفس جزئي ، ومن هذا فهم نسبة الذكورة إلى الروح وكماله وكمال لسانه الذي هو العقل الفطري ، واختص بهذا العقل الأنبياء وأتباعهم ، وتأخر من لم يتابعهم ، لكون علومهم مستندة إلى العقل الخلقي الذي هو لسان النفس القاصرة بنسبة الأنوثة ، فلذلك ظهر الفرق بين الإدراكين والعلمين من إدراك الأنبياء وأتباعهم العلوم الأخروية ، وجهل غيرهم ذلك بقولهم : أن لا يوجد من الواحد إلا واحد الذي هو عماد متمسكهم ، وغاية نتيجة فكرهم قولهم [4] : أن لا يوجد من الواحد إلا واحد ، ولكن جهلوا أن ذلك الواحد هو الروح الأعظم فسموه علة العلل ، وذاك [5] الواحد الذي حرفوا الكلم فيه مصدر الموجبات ولكن مستند إلى موجد له هو الواحد القديم القادر المريد ، ذو الصفات والأسماء الموجبات ، والموجَبات خلقهُ وإيجاده ، فالموجَباتُ بمثابة موجبات الشمس وكونه موجبًا ، وسائر الموجبات تنتهي إلى موجد لا تقدح في وحدانيته تعددات الموجبات ، فإذا تبين أن ما سموه علة العلل موجب له موجد ، فهذا الذي يقصم ظهر الفلاسفة ، ويقطع حجتهم ودابر أفكارهم ، والحكم بأن لا يوجد من الواحد إلا واحد حكم العقل الخلقي في الملك ، وأن يوجد موجدات غير متناهية غير قادحة في الوحدانية الصرفة حكم العقل الفطري ، وهو [6] للأنبياء صلوات الله

---

(1) نسخة 3 : نفسه .

(2) نسخة 3 : فهذه .

(3) نسخة 3 : لكل .

(4) نسخة 3 : « قولهم » ساقطة ، وبدلها « القول إلى أولئك العلم » .

(5) نسخة 3 : وذلك .

(6) نسخة 3 : فهو .

(أ) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الجنة وصفة نعيمها – باب 11 – جـ 3 – ص 2183 . والزيادة في كلام السهروردي تعليقًا على الحديث موجودة في التوراة بسفر التكوين – الإصحاح الأول – ص 4 .

عليهم ، وفي هذا العلم غلق باب [عالم الملك واعتزاله عن الارتقاء إلى عالم الملكوت ، وفتح] (1) باب الملكوت ممتد ذلك إلى البقاء الأبدي الذي لا نهاية له إلى أبد الآباد ، وللأنبياء سير فيه في حال الحياة وبعد الممات ، وتوهم أن تعدد (2) الموجبات حُكمٌ بكون القديم الأزلي [محل الحوادث تعثر في أذيال الجهل بكنه الجلال الأزلي] (3) والأمر العظيم الإلهي .

فتم الكتاب بتمام الخاتمتين ، والله المسؤول أن ينفع به ، فهو حجة للمؤمنين وحجة من الله على المحرومين من متابعة النبيين ، والحمد لله رب العالمين [وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله الطاهرين وسلم تسليمًا كثيرًا] (4) .

---

(1) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(2) نسخة 2 : تعداد .

(3) نسخة 3 : ما بين المعقوفتين ساقط .

(4) نسخة 3 : عبارة ما بين المعقوفتين كالآتي : [حمد الشاكرين ، والصلاة على محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين أبد الآبدين ودهر الداهرين] .

مصادر ومراجع الدراسة والتحقيق

1 - القرآن الكريم

2 - أمهات كتب الحديث النبوي الشريف والأخبار .

3 - ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد الجزري) .

أسد الغابة في تمييز الصحابة – القاهرة – دار الشعب – 1970 م .

4 - ابن حبان (الحافظ الإمام أبي حاتم محمد البُستي) – الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان – حققه وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة – ط 1 – 1988 م – بيروت .

5 - ابن رشد (محمد بن أحمد الأندلسي 595 هـ) – الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة – المكتبة المحمودية التجارية – ط 3 – القاهرة 1968 م .

6 - ابن سينا (أبو علي الحسيني) :

أ – الإشارات والتنبيهات – شرح نصير الدين الطوسي – تحقيق د . سليمان دنيا – ط 2 – دار المعارف بمصر – 1968 م .

ب – الأضحوية في المعاد – تحقيق د . حسن عاصي – المؤسسة الجامعية – ط 2 – بيروت 1987 م .

جـ – النجاة – مطبعة السعادة بمصر 1331 هـ . أيضًا طبعة الكردي – القاهرة 1938 م .

د – الشفاء – قسم الإلهيات – تحقيق محمد يوسف موسى وآخرون – مصر 1960 م .

7 - ابن عربي (محيي الدين الملقب بالشيخ الأكبر) :

أ – الفتوحات المكية – دار الكتب المصرية – 1329 هـ .

ب – رسالة الأنوار – حيدر آباد – 1361 هـ .

8 - ابن كثير (الحافظ أبو الفدا) - البداية والنهاية - مكتبة المعارف - بيروت - 1984م .

9 - الأزرقي (أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد) : أخبار مكة (ما جاء بها من الآثار) - تحقيق رشدي الصالح ملحس .

10 - الأصبهاني (الحافظ أبي نعيم) : حلية الأولياء - مطبعة السعادة - 1974 م .

11 - الآمدي (سيف الدين) : المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين ، تحقيق د. حسن محمود الشافعي - القاهرة 1983 م .

12 - البارون كارا دوفو : الغزالي - ترجمة عادل زعيتر - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ط 2 - بيروت 1984 م .

13 - البستي (علي بن محمد بن الحسين أبي الفتح) - عيون الحكم - ضبط وتعليق عبد الفتاح أبو غدة - حلب - مكتبة المطبوعات الإسلامية .

14 - البغدادي (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر) :

أ - أصول الدين - إستانبول - 1928 م .

ب - الفرق بين الفرق - بيروت 1991 م .

15 - البغدادي (الحافظ أحمد بن علي الخطيب) - تاريخ بغداد - دار الكتاب العربي - بيروت .

16 - البغوي (الحسين بن محمد الفراء) :

أ - معالم التنزيل - دار طيبة - ط 2 - 1995 م .

ب - شرح السنة - المكتب الإسلامي .

17 - البهي (د محمد) : الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي - دار الكتاب العربي - القاهرة 1967 م .

18 - البيهقي (الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين 458 هـ) - كتاب الأسماء والصفات - المركز الإسلامي للكتاب .

19 - الجرجاني (علي بن محمد الشريف) - التعريفات - مكتبة لبنان - 1978 م .

20 - الحفني (د . عبد المنعم) - معجم مصطلحات الصوفية - دار المسيرة - بيروت - 1980 م .

21 - الحنفي (ابن أبي العز صدر الدين محمد) شرح العقيدة الطحاوية - المكتب الإسلامي - بيروت - 1391 هـ .

22 - الزمخشري (محمود بن عمر) - الكشاف - دار الكتاب العربي - بيروت 1986 م .

23 - السهروردي (أبو حفص عمر شهاب الدين 623 هـ) :

أ - عوارف المعارف - مكتبة القاهرة بمصر - 1973 م .

ب - زاد المسافر وأدب الحاضر - مخطوط بمعهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة - رقم 246 تصوف .

جـ - أعلام الهدى وعقيدة أرباب التقى - مخطوط بدار الكتب القطرية - رقم 412 .

24 - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن 911 هـ) : الدر المنثور في التفسير بالمأثور - دار الكتب العلمية - ط 1 - بيروت - 1990 م .

25 - الشنتناوي (مترجم) : دائرة المعارف الإسلامية .

26 - الشهرستاني (أبي الفتح محمد بن عبد الكريم 548 هـ) : الملل والنحل - تحقيق أمير علي وعلي حسن - دار المعرفة - ط 2 - بيروت - 1992 م .

27 - شودكيفيتش (ميشيل) - الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي (بالفرنسية) - ترجمة الدكتور أحمد الطيب - دار القبة الزرقاء - مراكش - المغرب - ط 1 - 1999 م .

28 - الصالح (الدكتور صبحي) - نهج البلاغة - دار الكتاب اللبناني - ط 3 - 1983 م .

29 - صليبا (جميل) - المعجم الفلسفي - دار الكتاب اللبناني - 1982 م .

30 - الطبراني - المعجم الكبير - تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي - مكتبة ابن تيمية .

31 - الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير 310 هـ) : جامع البيان في تأويل القرآن - دار الكتب العلمية - ط 1 - بيروت - 1992 م .

32 - - العجلوني (إسماعيل الجراحي) : كشف الخفاء ومزيل الإلباس - مؤسسة الرسالة - بيروت - 1983 م .

33 - العراقي (د . محمد عاطف) : مذاهب فلاسفة المشرق - دار المعارف بمصر - ط 6 - 1978 م .

34 - الغزالي (الإمام أبو حامد محمد 505 هـ) :

أ - تهافت الفلاسفة - تحقيق سليمان دنيا - دار المعارف بمصر - ط 6 - 1980 م .

ب - المنقذ من الضلال - تحقيق الإمام عبد الحليم محمود - دار المعارف بمصر - 1981 م .

جـ - معارج القدس - القاهرة - 1927 م .

د - مقاصد الفلاسفة - تحقيق سليمان دنيا - دار المعارف بمصر 1961 م .

35 - الكتبي (محمد بن شاكر) : فوات الوفيات - دار صادر - بيروت .

36 - محمد بن أحمد بن عثمان - ترتيب الموضوعات لابن الجوزي - تعليق كمال بسيوني زغلول - دار الكتب العلمية - لبنان .

37 - المكي (عبد الملك بن حسين) : سمط النجوم العوالي - المطبعة السلفية .

38 - نصار (د . محمد عبد الستار) : في الفلسفة الإسلامية - مكتبي لطباعة الأوفست - القاهرة - 1981 م .

39 - هروي (نجيب مايل) : تحقيق كتاب رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية للسهروردي (بالفارسية) ترجمه للفارسية معين الدين جمال محمد - ط 1 - إيران .

الفهرس